السيد محمد تقي المدرسي

من هدى القرآن

الجزء الخامس

سورة الفاتحة - سورة البقرة - سورة آل عمران

دار القارئ

بسم الله الرحمن الرحیم

من هدى القرآن

کاتب:

آیت الله سید محمد تقی مدرسی

نشرت فی الطباعۀ:

دار محبی الحسین (علیه السلام)

رقمی الناشر:

مرکز القائمیۀ باصفهان للتحریات الکمبیوتریۀ

الفهرس

من هدى القرآن المجلد ۵

اشاره

سرشناسه:مدرسی، محمدتقی، - ۱۹۴۵

عنوان و نام پدیدآور:من هدی القرآن/ محمدتقی المدرسی

مشخصات نشر:تهران: دار محبی الحسین، ۱۳۷۷.

مشخصات ظاهری:ج ۱۸

شابک:۱۸--ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۹-X۱۵-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۲۰-۳۱۶-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۲۱-۱۱۷-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸
۱۴-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۵-۷۱۱-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۶-۵۱۲-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۷-۳۱۳-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۸-۱۱۴-
۶۶-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۰-۴۷-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۱-۲۸-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۲-۰۹-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۳-۹۱۰-
۸۲-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۶-۶۳-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۷-۴۴-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۸-۲۵-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۹-
۳-۰۳-۵۶۴۸-۹۶۴۰۰۰۰۱۱۸-۰۴-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۵-X۱-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸ ؛ ۱۸--۱۱۷-۲۱-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸
۳۱۳-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۷-۱۱۴-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۸-X۱۵-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۹-۳۱۶-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۲۰-
۰۹-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۳-۹۱۰-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۴-۷۱۱-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۵-۵۱۲-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۶-
۲۵-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۹-۶۶-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۰-۴۷-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۱-۲۸-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۲-
X۱-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۵-۸۲-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۶-۶۳-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۷-۴۴-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۸-
۳-۰۳-۵۶۴۸-۹۶۴۰۰۰۰۱۱۸-۰۴-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸

وضعیت فهرست نویسی:فهرستنویسی قبلی

یادداشت:عربی

یادداشت:کتاب حاضر در سالهای مختلف توسط ناشرین مختلف منتشر شده است

یادداشت:کتابنامه

موضوع:تفاسیر شیعه -- قرن ۱۴

رده بندی کنگره:BP۹۸/م ۴م ۸ ۱۳۷۷

رده بندی دیویی:۲۹۷/۱۷۹

شماره کتابشناسی ملی:م ۷۷-۱۲۵۶۱

ص :۱

اشاره

سوره هود

اشاره

ص:۳

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

فضل السوره

عن النبی محمد صلی الله علیه و آله قال:

«من قرأها أعطی من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح و کذب به و هود و صالح و شعیب و لوط و إبراهیم و موسی و کان یوم القیامه من السعداء» مجمع البیان-ص-۱۴۰-الجزء-۵،۶

عن رسول اللّه صلی الله علیه و آله قال:

«شیبتنی سوره هود و أخواتها» نور الثقلین-ص-۳۳۴-الجزء-۲-

عن الامام الباقر علیه السلام قال:

«من قرأ سوره هود فی کل جمعه بعثه اللّه یوم القیامه فی زمره النبیین و حوسب حسابا یسیرا و لم تعرف له خطیئه عملها یوم القیامه» مجمع البیان-ص-۱۴۰-الجزء-۵-

ص:۵

الإطار العام

لعلّ الآيات(۱۱۲-۱۲۰)فی نهایه السوره تحدّد الإطار العام لها.حیث تأمر الرسول بالاستقامه،و الابتعاد عن الظالمین،و اقامه الصلاه،و الصبر،و الإحسان.

کما تذکره بدور بقیّه اللّه-ممن ینهون عن الفساد-فی التاریخ،و کیف ان اللّه أنجاهم وحدهم بینما أهلک الظالمین الذین اتبعوا ما أترفوا فیه.و کانوا مجرمین! و تبیّن:انّ اللّه لم یهلک القری الاّ حین انعدم الصلاح بینهم.

و ان الاختلاف سنه تاریخیّه بین الناس و ان اللّه لم یخلق الناس لیعذبهم-بل لیرحمهم-بید انه قد قضی بان یملأ جهنّم من الجنه و الناس أجمعین.

و انّ القصص التی ذکرها الرب کانت بهدف تثبیت فؤاد الرسول.کما لبیان الحق،و لتوفیر الموعظه و الذکری للمؤمنین.

و تکاد تکون آیات سوره هود تفصیلا لهذه البصائر المحکمه ببیان جوهر

ص:۷

رسالات اللّه.الذى حملها النبيّون عليهم السلام الى الناس،و تحمّلوا-من أجلها- ألوانا من العناء،و أنجاهم الربّ من بطش قومهم،و انزل العذاب الأليم على الكافرين برسالاته.

و هكذا..اضحت الرسالات هذه محور النجاه و العذاب فمن اتبعها أنجاه اللّه.

و من خالفها لحقه العذاب و اللعنه فى الدنيا. و النار و الشقاء فى الآخره.

جوهر رسالات اللّه،و فى طليعتها رساله القرآن التى أحكمت آياته ثم فصّلت، هى:توحيد العبوديه للّه.و الإنذار و البشاره.و الأمر باستغفار الربّ فى الدنيا و التوبه اليه.لضمان حياه سعيده.(٣/١) و اتقاء يوم البعث.و الخشيه من اللّه الذى يعلم سرهم و إعلانهم و يعلم كل شىء أو ليس قد خلق السماوات و الأرض فى سته أيام.و الهدف هو ابتلاء الناس.

و لأن تم تأخير العذاب عن هؤلاء الذين كفروا باللّه.و رسالاته و بيوم الدين.

فلأنّه يوم يأتيهم لا يؤخر عنهم.(٨/۴).

و بعد بيان طبيعه الجزع عند البشر الا المؤمنين منهم يثبت القرآن فؤاد النبى صلى الله عليه و آله بأنه منذر اما المنتقم فهو اللّه الوكيل على كل شىء،ثم يأمره بتحديهم بان يأتوا بمثل القرآن.و إذ يظهرون عجزهم فليعلموا:ان القرآن انزل بعلم اللّه.(١۴) و هكذا جاءت رسالات اللّه على لسان نوح.و كانت فصول الجدل...و الصراع بينه و بين قومه تعكس حاله العناء عند قومه.و قوه الاستقامه عند نوح عليه السلام، و انتهت بالطوفان.حيث أنجى اللّه نوحا و الذين آمنوا و أغرق الظالمين و بينهم ابن نوح الذى لم يغن عنه انه ابن نوح لأن محور النجاه هو توحيد اللّه.(۴٨/٢۵) و من بعد نوح جاء هود يدع قومه عادا.بتلك الرسالات فلم يستجيبوا له و جرى

بینهم صراع مشابه.و عاندوا و تحداهم و أیده اللّه و اهلکهم بعذاب غلیظ.(۶۰۰) و کذلک ثمود حین جاءهم أخوهم صالح.و أمرهم بتوحید عباده الرب و جاءهم بآیه هی ناقته التی لم یلبثوا ان عقروها فجاء امر اللّه و نجیّ الرب عبده و رسوله صالحا و أخذ الذین ظلموا الصیحه.(۶۸/۶۱).

و هکذا..إبراهیم و لوط و شعیب و موسی.و بالرغم من أن جوهر رسالات اللّه واحد.الاّ ان هناک بعض التفاصیل المختلفه بسبب اختلاف الظروف.

و بعد بیان کل تلک القصص یبین السیاق العبره منها.و تذکر بالقیامه.حیث ان عذاب اللّه فی الدنیا،ایه عذابه فی الآخره،کما ان رحمته و نجاته هنا آیه نعیم الجنه التی هبتها للمؤمنین و أخیرا یذکر القرآن رسوله بضروره الاستقامه.ذلک الأمر الذی شیب الرسول-صلی اللّه علیه و آله-کما جاء فی حدیث مشهور.

[سوره هود (۱۱): الآیات ۱ الی ۴]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ . الر کِتٰابٌ أُحْکِمَتْ آیٰاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَکِیمٍ خَبِیرٍ (۱) أَلاّٰ تَعْبُدُوا إِلاَّ اَللّٰهَ إِنَّنِی لَکُمْ مِنْهُ نَذِیرٌ وَ بَشِیرٌ (۲) وَ أَنِ اِسْتَغْفِرُوا رَبَّکُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَیْهِ یُمَتِّعْکُمْ مَتٰاعاً حَسَناً إِلیٰ أَجَلٍ مُسَمًّی وَ یُؤْتِ کُلَّ ذِی فَضْلٍ فَضْلَهُ وَ إِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّی أَخٰافُ عَلَیْکُمْ عَذٰابَ یَوْمٍ کَبِیرٍ (۳) إِلَی اَللّٰهِ مَرْجِعُکُمْ وَ هُوَ عَلیٰ کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ (۴)

ص:۱۰

كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ

هدى من الآيات:

ما هو الكتاب؟انه آيات محكمه قد اتقنتها حكمه الرب،ثم فصلتها و أوضحت الحقائق بها،و الذى بعث بالكتاب هو الرب الحكيم الذى يمنع الفساد و يخلق الصلاح،و الخبير العالم بألطاف الأمور سبحانه.

و من محكمات آيات الكتاب التذكره باللّه،و الأمر بإخلاص العبوديّه له،و أن الرسول نذير و بشير منه،و كلما أبعدت الخطايا و الذنوب و الغفلات البشر عن رحاب ربهم،فعليهم ان يستغفروه و يتوبوا إليه ابتغاء الحياه السعيده فى عاجل الدنيا حتى يبلغ أجله،و ابتغاء فضل اللّه،و إذا استمر البشر فى غيّه،و تابع سيره الضلاله و الانحراف،فانه يخشى عليه من عذاب يوم كبير،و غدا حينما يرجع البشر الى ربهم،يبعثهم من جديد بقدرته الواسعه..آنئذ يحاسبون عند اللّه.

بينات من الآيات:

اشاره

[١]ماذا تحمل هذه الكلمات الثابته المكتوبه(الر)فى طياتها؟انها تحمل

آیات تشیر إلی الحقائق،تذکر بها و تهدی العقول إلیها.

الر کِتٰابٌ أُحْکِمَتْ آیٰاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ فالقرآن لیس أفکارا بل هو آیات تشیر مباشره الی الحقیقه لکی یراها البشر فور ما تشیر إلیها،و الآیه بمعنی العلامه و الکلمه مأخوذه من ماده(أوی)بمعنی الذهاب إلی البیت و کأن العلامه تذهب بک الی رحاب الحقیقه ذاتها،و القرآن هو ذلک الکتاب الذی یبصرک بالحقائق.

و آیات القرآن محکمه و مفصله،اما الأحکام فهی آتیه من حکمه اللّه،التی لا تدع ثغره فی کلماته،و لا سبیلا للباطل إلیها،بل یصبّ الکلمات علی مقیاس الحقیقه دون زیاده بوصه أو نقیصه بوصه،أو فراغ فی جزء،فهو یقول کل الحقیقه و بکل أبعادها،و اما التفاصیل فهو تحدید تلک البصائر المحکمه ضمن واجبات و محرمات فرعیه،فالقرآن مثله مثل الشجره راسخه الجذور منتشره الفروع.

و الأحکام بحاجه الی حکمه،فمن لا یعرف الخطوط العامه لأنظمه الحیاه، کیف یتسنی له ان یضع برنامجا متکاملا لها،و یعطی رؤیه صادقه،کما ان التفصیل بحاجه الی خبره و معرفه سابقه لدقائق الأمور و لطائفها،و اللّه حکیم خبیر.

مِنْ لَدُنْ حَکِیمٍ خَبِیرٍ و تلک الحکمه التی نشاهدها فی الإطار العام للکون،و تلک الخبره التی نراها فی أدّق الأمور،و ألطفها مثل صنع أوجه النمله و مفاصل أرجلها،أو فی صنع الخلیه الحیه،أو صنع الذره المتناهیه فی اللطف.إن کل ذلک شاهد علی حکمه اللّه و خبرته،و أن خالق المجرات الحکیم و صانع الذره الخبیر،هو الذی أمر بحکمته إخلاص العبودیه له،و وضع بخبرته برنامجا تفصیلیا لهذه العباده.

ص:١٢

التوحيد و فروعه:

[۲]و من الآیات المحکمه الموجوده فی الکتاب دعوته الصریحه إلی نبذ الشرکاء من دونه.

أَلّٰا تَعْبُدُوا إِلَّا اللّٰهَ إذ أن التوحید بصیره عامه تتفرع عنها سائر الشرائع الإلهیه،و بعدها تأتی الرساله التی هی بدورها فرع من فروع التوحید.

إِنَّنِی لَکُمْ مِنْهُ نَذِیرٌ وَ بَشِیرٌ [۳]و استغفار اللّه فرع ثان للتوحید.إذ حینما یعمر قلب الفرد بأیمان صادق باللّه،و یعرف عظمته و کبریاءه و نعمه التی لا تحصی،آنئذ یشعر الفرد بالصغار امام اللّه،و یستغفره و یتوسل الیه،لذلک جاء فی آیه اخری فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاٰ إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ وَ اسْتَغْفِرْ لِذَنْبِکَ (۱)حیث ان الاستغفار جاء بعد الایمان باللّه لأنه فرع متصل به، و بعد حاله الاستغفار تأتی مرحله التوبه و هی العوده الی اللّه و خلوص العباده له و إخلاص العمل فی سبیله،فلا یکفی الندم علی ما مضی من الذنوب،بل لا بد من إصلاح المستقبل.

وَ أَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّکُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَیْهِ و بالاستغفار و التوبه یوفّر الرب لعباده حیاه طبیعیه هنیئه،إلی وقت محدود.

یُمَتِّعْکُمْ مَتٰاعاً حَسَناً إِلیٰ أَجَلٍ مُسَمًّی وَ یُؤْتِ کُلَّ ذِی فَضْلٍ فَضْلَهُ

ص:۱۳

۱- ۱) سوره محمد آیه ۱۹

أی کلما زاد الفرد من تقربه إلی اللّه،و استغفاره له و توبته الیه،کلما منحه اللّه فضلا أکثر.

وَ إِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّی أَخٰافُ عَلَیْکُمْ عَذٰابَ یَوْمٍ کَبِیرٍ من نوع عذاب عاد و ثمود،حیث انه فی یوم واحد حطّم مکاسب دهر طویل.

لذلک سمّی بالیوم الکبیر.

[۴]و بعده یعود الناس الی اللّه،حین یبعثون فی القیامه إلی اللّه،و ذلک بقدرته البالغه التی لا یقف فی طریقها شیء.

إِلَی اللّٰهِ مَرْجِعُکُمْ وَ هُوَ عَلیٰ کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ و یبدو من هذه الآیه و من آیات أخری أن أهم حاجز نفسی امام إیمان الناس بالقیامه،هو عدم إیمانهم بقدره اللّه علی البعث الجدید،لذلک یذکرنا السیاق بعد ذکر القیامه بقدره اللّه.

ص:۱۴

[سوره هود (۱۱): الآیات ۵ الی ۸]

اشاره

أَلاٰ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلاٰ حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيٰابَهُمْ يَعْلَمُ مٰا يُسِرُّونَ وَ مٰا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذٰاتِ اَلصُّدُورِ (۵) وَ مٰا مِنْ دَابَّةٍ فِي اَلْأَرْضِ إِلاّٰ عَلَى اَللّٰهِ رِزْقُهٰا وَ يَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهٰا وَ مُسْتَوْدَعَهٰا كُلٌّ فِي كِتٰابٍ مُبِينٍ (۶) وَ هُوَ اَلَّذِي خَلَقَ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيّٰامٍ وَ كٰانَ عَرْشُهُ عَلَى اَلْمٰاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَ لَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ اَلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ اَلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هٰذٰا إِلاّٰ سِحْرٌ مُبِينٌ (۷) وَ لَئِنْ أَخَّرْنٰا عَنْهُمُ اَلْعَذٰابَ إِلىٰ أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مٰا يَحْبِسُهُ أَلاٰ يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفاً عَنْهُمْ وَ حٰاقَ بِهِمْ مٰا كٰانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ (۸)

اللغه

(۵)[يثنون]:أصل الثّنى العطف،و المقصود يطوونها على العداوه و على ما هم عليه من الكفر.

[ليستخفوا]:الاستخفاء طلب إخفاء الشيء،يقال استخفى و تخفّى.

[يستغشون ثيابهم]:يتغطّون بثيابهم.

۸[أمّه]:حين من الزمان.

ص:۱۵

إحاطه علم اللّه

هدى من الآيات:

فی الـدرس الأول من سوره هود،بینّ القرآن بعض الآیات المحکمات و استعرض الخطوط العریضه للرساله،و فی هـذا الـدرس یدخل الکتاب فی التفاصیل، بدء بواقع کفر و جحود الناس،و یبدو أن أحد الأسباب الاساسیه للجحود هو الجهل بإحاطه علم اللّه بهم،و بالـدوافع الأصیله لکفرهم،فتراهم یثنون صـدورهم و یعطفونها بهـدف إخفـاء حقیقتهم بینما اللّه یعلم أسرارهم حتی فی لحظه تسترهم بالثیاب.

و کـلّ حی یـدب فی الأرض رزقه علی اللّه،و یعلم أیـام حیاته،و میعاد موته.کل ذلک مکتوب فی الکتاب الواضـح،و اللّه خلق السـماوات و الأرض فی سته أیـام، و کانت سلطته و قـدرته مهیمنه علی الماء المخلوق الأول الـذی جعل منه کل شـیء حی.و حکمه الخلق هی ابتلاء النـاس لیعلم من هو الأحسن عملا،فیجازی فی الاخره،بینما لا یؤمن البعض بالآخره،و یزعمون أنها سـحر مبین،الغایه من طرحه

ص:۱۷

تمویه الحقیقه،أما لو أخّر اللّه عنهم عـذاب الـدنیا الـذی هو طریق آخر لتنبههم فتراهم ینکرونه أصـلا،و یقولون:ما الذی یحبس العذاب عنا ما دمنا مسـتحقین له،و لا یعلمون ان العذاب لو نزل بساحتهم فلا یصـرف عنهم،و سوف یحیط بهم ذلک الذی کانوا به یستهزءون.

بینات من الآیات:

إحاطه علم اللّه:

[۵]الکفار یثنون صدورهم،اسـتخفاء للحقیقه،فتراهم یسـرون فی قلوبهم و کأنهم یطوون صدورهم فوق الشـر،و یعطفونها علیه،أو کأن المرء منهم حین یرید ان یقول سرا ینحنی و ینثنی-تبعا لذلک-صدره،و لکن هل ینفعهم ذلک شیئا.

کلا..لأـن اللّه علیم بسـرهم و علاـنیتهم،و مـا یتـداخل فی صـدر البشـر من شـهوات و أهـواء و عوامـل مختلفه للرفض و الإنکـار کالاستکبار و الجهل و اللامبالاه و حب الدنیا و الدعه.

أَلاٰ إِنَّهُمْ یَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِیَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلاٰ حِینَ یَسْتَغْشُونَ ثِیٰابَهُمْ فی اللحظات التی یختلون بأنفسـهم تحت غشاء الثیاب،حیث یبقی الفرد و وجدانه و یحاکمه وجدانه علی إنکاره للرساله،و کذبه و نفاقه،و اللّه شاهد آنئذ علیه.

یَعْلَمُ مٰا یُسِرُّونَ وَ مٰا یُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِیمٌ بِذٰاتِ الصُّدُورِ [۶]و علم اللّه محیط بکل شیء و کذلک رحمته،فهو الذی یرزق کل دابه فی الأرض،فکیف لا یعلم بها.

وَ مٰا مِنْ دَابَّهٍ فِی الْأَرْضِ إِلاّٰ عَلَی اللّٰهِ رِزْقُهٰا وَ یَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهٰا

وَ مُسْتَوْدَعَها أىّ يعلم حياتها و موتها..أو فى بيتها و فى رحلتها.

كُلٌّ فِى كِتابٍ مُبِينٍ مكتوب بوضوح و بتحديد.

الكفار بين عذاب عاجل و آجل:

[۷]فاللّه محيط علما و رحمه بما فى الأرض من دابه،و قبل ذلك خلق السماوات و الأرض فى سته أيام خلقا بعد خلق،فارضا هيمنته و سلطانه على الكون،و فى ذات الوقت ناشرا رحمته و بركته فى سته أيام.

وَ هُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ فِى سِتَّهِ أَيّامٍ وَ كانَ عَرْشُهُ عَلَى الْماءِ يبدو أن عرش اللّه هو قدرته و سلطانه،و لأنه لم يكن آنئذ شيئا،غير ماده سائله كالماء،فان عرش ربنا كان مستويا على الماء و اللّه العالم.

لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ـ ان حكمه خلق البشر هى امتحان إرادته و عقله،و هذه الحكمه لا تتحقق من دون الإيمان بالآخره.و لأنهم يكفرون بالآخره تراهم لا يخضعون للرساله الإلهيه.

وَ لَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هذا إِلاّ سِحْرٌ مُبِينٌ يبدو ان الكفار كانوا يتخذون موقفا سلبيا من الرساله و من توجيهاتها،و يعتبرون كل كلماتها تمويها و تضليلا-كما السحر-فلا يفكرون فيها ليعرفوا صحتها،

ص:۱۹

بينما لو تـدبروا قليلاـ فى خلق السـماوات و الأـرض لرأوا آيات الحكمه،و أن تطور الكون و تكامله،و تحقيق كل جزء منه لغايه معينه،شاهد على ان البشر خلق أيضا لتحقيق هدف محدد،و انه لا يكون إلا بالابتلاء،و تمام الابتلاء هو الجزاء فى يوم البعث.

[۸]و الجزاءات عاجلاـ أم آجلاـو إن تـأخيره ليس إلاـ لحكمه مثـل الابتلاـء، بيـد انهم يتخـذون من هـذا التـأخير مـبررا للكفر و الجحود.

وَ لَئِنْ أَخَّرْنٰا عَنْهُمُ الْعَذٰابَ إِلىٰ أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مٰا يَحْبِسُهُ ان التـأخير ليس بلاـخطه حكيمه و تقـدير رشـيد،انمـا هـو لـوقت معين(امه معـدوده)و لكنهم يتسـاءلون عن سـبب تـأخيره،و كـأن التـأخير دليل عـدم العـذاب، و هـذا من أبرز نواقص البشـر،انهم يخشون الجزاء العاجل،و يكفرون بالجزاء الآجل، و لكن عليهم أن يعلموا.

أَلاٰ يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفاً عَنْهُمْ وَ حٰاقَ بِهِمْ مٰا كٰانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ فلقد كانوا يستهزئون بالعذاب،و ها هو محيط بهم،يحاصرهم دون أن يقدروا على ردّه،بينما استهزءوا سابقا به.

ص:۲۰

[سوره هود (۱۱): الآیات ۹ الی ۱۴]

اشاره

وَ لَئِنْ أَذَقْنَا اَلْإِنْسانَ مِنّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْناها مِنْهُ إِنَّهُ لَيَؤُسٌ كَفُورٌ (۹) وَ لَئِنْ أَذَقْناهُ نَعْماءَ بَعْدَ ضَرّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ اَلسَّيِّئاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ (۱۰) إِلاَّ اَلَّذِينَ صَبَرُوا وَ عَمِلُوا اَلصّالِحاتِ أُولٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ أَجْرٌ كَبِيرٌ (۱۱) فَلَعَلَّكَ تارِكٌ بَعْضَ ما يُوحىٰ إِلَيْكَ وَ ضائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْ لاٰ أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّما أَنْتَ نَذِيرٌ وَ اَللّٰهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (۱۲) أَمْ يَقُولُونَ اِفْتَراهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَياتٍ وَ اُدْعُوا مَنِ اِسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اَللّٰهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (۱۳) فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّما أُنْزِلَ بِعِلْمِ اَللّٰهِ وَ أَنْ لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (۱۴)

ص:۲۱

الإنسان بين اليأس و الفخر

هدى من الآيات:

فى هـذا الـدرس يذكرنا اللّه بما فطر عليه البشـر قبل التربيه و التزكيه من صـفات جاهليه.إنه يتعرض لليأس و الكفر بالنعم إذا فقد نعمه.

اما إذا أصاب نعمه بعـد شـده،يزعم ان هـذه الحاله سـتبقى عنـده،فينغمس فى غمرات الفرح و الفخر،اما الصابرون الذين يقيمون الأحـداث كلهـا السابقه و القادمه و الحاضـره تقييما سـليما فحالتهم مختلفه،فهم ليسوا بحيث تفقـدهم النعمه أو الشـده توازنهم و لذلك فلهم مغفره و أجر كبير.

و الرسول ينبغى ان يجسـد أعلى الصـفات الحسـنه و منهـا الاسـتقامه،فلاـ ينبغى له ان يهـتز للمواقف الجـاهليه الـتى تنبع من هـذه النفسيه الضيقه الأفق،التى تطالبه بكنز ينزل عليه،أو ملك يساعده،أو ما يقولونه:ان الرسول قد افترى الرساله،بينما يتحداهم القرآن بأن يأتوا بعشـر سور مثله مفتريات بمسـتوى القرآن فى علمه و بلاغته، و يقارنوها مع القرآن،و يشـهدوا على ذلك بمن شاؤوا ان كانوا صادقين فى اتهام

ص:۲۲

القرآن بأنه مفترى.

و لكنهم لا يستجيبون حتما لهذا التحدى و لا بد ان نعلم ان الذى انزل انما انزل بعلم اللّه و هو صنيعه ذلك العلم المحيط بكل شيء،و علينا أن نسلم للقرآن بكل جوانحنا و جوارحنا.

و يبدو ان هذا الدرس تمهيد لبيان حقيقه الرساله و قصص استقامه الرسول ضد خرافات الجاهليه.

بينات من الآيات:

بين النعماء و الضراء:

[٩]ما دامت النعمه من اللّه،فزوالها عن البشر لفتره أو وجودها عنده فى وقت آخر ليس دليلا على بقائها أو زوالها الى الأبد،إذ ان تلك القدره التى منحت النعمه أو إزالتها انما الحكمه بالغه،و اللّه قادر على ان يعيدها وفق تلك الحكمه و مع توافر شروطها،لذلك لا ينبغى ان يحيط اليأس بالبشر عند افتقاد النعم،و لا يجوز ان يكفروا بسائر النعم التى أسبغها اللّه عليهم،و يلبسوا نظاره سوداء يبصرون الحياه من خلالها،فلا يرون شيئا الا ملبّسا بالسواد.

وَ لَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسٰانَ مِنّٰا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنٰاهٰا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَؤُسٌ كَفُورٌ [١٠]و عند النعماء و هى حاله هبوط النعمه التى لو جاءت بعد الشده و الضراء لكانت اعمق أثرا فى النفس و لذلك قد تفقد توازن الإنسان،و يحسب ان الصعاب قد و دعته الى الأبد،فيستبد به الفرح و السرور البالغ،و لا يرى اى نقص أو عجز فى ذاته،بل يظل يركز نظره حول تلك النعمه و يفتخر بها.

وَ لَئِنْ أَذَقْنٰاهُ نَعْمٰاءَ بَعْدَ ضَرّٰاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئٰاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ

فَخُورٌ [۱۱]و سواء الكفر و نكران النعم،أو الفخر و الغفله عن النواقص فانها من صفات الإنسان قبل ان تزكيه الرسالات السماويه،التی تبين له ان النعمه إذا جاءت فهی محكومه بشروطها و أهدافها،و الحكم التی ورائها،و كذلك النقمه،و ان على الإنسان الا ييأس مع زوال النعمه التی هی(رحمه اللّه)و لم تكن جزءا من ذات البشر.لأن هذه النعمه قد تعود اليه هی أو أحسن منها،ثم لأن هناك نعما اخری أعظم منها لا تزال قائمه عنده فباليأس و الكفر سوف تزول-لا سمح اللّه-تلك النعم أيضا،فلا يخرجك الفرح عن طورك و تفتخر بالنعمه،فان هناك نواقص كثيره لا تزال تحيط بك،و عليك ان تعمل من أجل إصلاحها جميعا و هكذا تجد المؤمنين صابرين يقيمون الاحداث جميعا،فيبصرون فی أيام شدّتهم أيام رخائهم المنتظره، و يتذكرون ايامهم الماضيه،و يعلمون ان الحياه فی تغيّر دائم،و ان سبب التغير المباشر و غير المباشر هم أنفسهم فعليهم إذا ان يعملوا صالحا فی أيام الشده لكی لا تدوم،و فی أيام الرخاء لكی لا تزول،و لكی يبلغوا درجات أعلی منه.

إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ أُولئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ يغفر اللّه ذنوبهم فترتفع أسباب الشده.

وَ أَجْرٌ كَبِيرٌ بسبب أعمالهم الصالحه فهم فی تقدم مستمر.

انما أنت نذير:

[۱۲]لأن رسالات السماء جاءت لتزكيه البشر،فيجب ان يستقيم الرسول صلی الله عليه و آله فی إبلاغها حتی و لو عارضت أهواء الناس،و ليس لهم ان يتركوا بعض

ص:۲۴

الرسـاله تنازلاـ لرغبه النـاس أو خشـيه من غضـبهم لأـنهم آنئـذ لا يقـدرون على تحقيق هـدف الرساله و هو إصـلاح ما فسـد من النـاس،و لقـد رأينـا فى الآيات السابقه كيف ان الإنسان بطبعه جاهل و عجول لولا التربيه الايمانيه إذا على الرسول الاسـتقامه فى إصلاحه حتى يخرج من هذه النفسيه الجاهليه.

فَلَعَلَّكَ تٰارِكٌ بَعْضَ مٰا يُوحىٰ إِلَيْكَ وَ ضٰائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ كلا عليك ان تبقى صابرا امام ضغط أهوائهم و دعاياتهم التى منها.

أَنْ يَقُولُوا لَوْ لاٰ أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جٰاءَ مَعَهُ مَلَكٌ انهم لاـ ينتظرون قليلاـ حتى يروا ان تطبيق الرسـاله كفيـل بأن يفتـح لهم أبواب الرحمه،و أكـثر بكـثير من مجرد كنز ينزل على الرسول،و أن انتصـارات الرسول صـلى الله عليه و آله أكـبر من مجرد نزول ملك معه،لان(روح القدس)و هو أعظم ملك يهبط معه،و لا يفقهون هذه الحقيقه.

ان عملهم و ليس اى شيء أخر يضمن مستقبلهم،و انما دور الرسول هو التذكره و التوجيه.

إِنَّمٰا أَنْتَ نَذِيرٌ وَ اللّٰهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ فهو الذى يوفر الحياه السعيده بقدرته لمن يعمل بالرساله،و يسلبها ممن يكفر بها.

فأتوا بعشر سور مثله:

[۱۳]و لاـ يسع الجـاهليون الاـ انكـار الرسـاله و اتهـام الرسول صـلى الله عليه و آله بـأنه قـد افـتراه كـذبا على اللّه تعـالى،و القرآن يتحداهم بأن يأتوا بعشر سور مثل القرآن افتراء على اللّه كذبا إن كانوا صادقين.

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَ ادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ [۱۴]و لكنهم فاشلون حتما فى ذلك لأن القرآن جاء بعلم اللّه تعالى المحيط بكل شىء،فيه قيم خالصه من شرك الجاهليه و من عصبياتهم،و قيم إنسانيه ساميه تتجاوز اطار القبيله و العشيره و القوم و الأرض و اللغه و الدم،و سائر ما ابتلى به البشر منذ هبوطه إلى الأرض و حتى اليوم،و كل الكتاب و الشعراء و المفكرين كانوا خاضعين لهذه القيم الا الرسل و المخلصون من المؤمنين،كما ان القرآن حمل الى الناس برامج لكل حقول الحياه مما عجزت ادمغه الفلاسفه و فقهاء القانون و السياسه و الاقتصاد عن ان تبلغ جزء منه فى مطابقتها لأنظمه الحياه،و سنن الطبيعه،و فى تناسقها و متانه علاقاتها بطبيعه البشر،و دوافعه و دواعيه و نقاط ضعفه و..و..فهل يقدر البشر على مثله؟! فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللّهِ و ان الإله الذى يجب ان يطاع،و تتبع مناهجه و رسالاته هو اللّه تعالى و على البشر ان يسلم نفسه للّه.

وَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاّ هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ

[سوره هود (۱۱): الآیات ۱۵ الی ۱۶]

اشاره

مَنْ كٰانَ يُرِيدُ اَلْحَيٰاةَ اَلدُّنْيٰا وَ زِينَتَهٰا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمٰالَهُمْ فِيهٰا وَ هُمْ فِيهٰا لاٰ يُبْخَسُونَ (۱۵) أُولٰئِكَ اَلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي اَلْآخِرَةِ إِلاَّ
اَلنّٰارُ وَ حَبِطَ مٰا صَنَعُوا فِيهٰا وَ بٰاطِلٌ مٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ (۱۶)

اللغه

۱۵ لاٰ يُبْخَسُونَ :البخس نقصان الحق.

ص:۲۷

الإنسان بین الدنیا و الآخره

هدی من الآیات:

من الشبهات التی تحوم حول قلوب الکفار ضد الرساله،ما یرونه من تقدم ظاهر فی معیشتهم فی الدنیا،و اللّه یذکرنا فی هذا الدرس بأن للعمل جزاءه،فمن عمل للآخره فان جزاءه یوفر الیه هناک و فی الدنیا یعطی له نصیب منه،و من عمل للدنیا فأن کل جزائه یعطی له فی الدنیا دون ان یبخس منه شیء،و لکن ذلک یعنی فی المقابل أن جزاءهم فی الآخره هو النار،لأن ما عملوه فی الدنیا من خیر قد أحبط و بطل،فلم یبق الا أعمالهم السیئه و مسئولیاتهم التی لم یقوموا بها.

بینات من الآیات:

رَبَّنا آتِنا فِی الدُّنْیا وَ ما لَهُ فِی الْآخِرَهِ مِنْ خَلاقٍ:

[۱۵]کثیرا ما یخدع البسطاء من الناس ما یرونه من ازدهار و تقدم للکفار و المنافقین سواء لمجتمعاتهم أو لأفرادهم،و یزعمون أنه لو کانت الرساله صحیحه و انها علی حق،و أعداؤها علی باطل إذا لم یتقدم أعداء الرساله فی الدنیا؟و ینسی

هذا الفريق الساذج من الناس حقيقتين:

الأولى:ان دار الدنيا دار ابتلاء و اختبار،و ان اللّه لم يقدر الجزاء العاجل فيها لحكمه ابتلاء الناس بما يفعلون،و اختبار وعيهم و عقلهم و إرادتهم و حسن أو سوء اختيارهم،و لو عجل ربنا فی عقاب الكافرين أو ثواب المؤمنين، لانعدمت فرصه ابتلائهم،و كما

جاء فی الحديث عن الامام علی عليه السلام فی موضوع الأنبياء انه.

«لو كانت الأنبياء أهل قوّه لا ترام،و عزه لا تضام،و ملك تمد نحوه أعناق الرّجال،و تشد إليه عقد الرحال لكان ذلك أهون على الخلق فی الإعتبار و أبعد لهم فی الاستكبار،و لأمنوا عن رهبه قاهره لهم،أو رغبه مائله بهم،فكانت النّيات مشتركه،و الحسنات مقتسمه» (1)الحقيقه الثانيه:ان طبيعه عمل الكفار صلاح ظاهره و فساد باطنه،فهو كشجره مسوسه أو بناء أنيق يكاد يتهدم بسبب تزلزل قواعده.و كل جزاء يرتبط بظاهر العمل،و صورته الخارجيه،فانه يعجل لهم دون نقيصه، بينما يبقى الجزاء الحقيقی الباقی لأولئك الذين يصلحون واقع عملهم.

فالشجره المسوسه تعطيك البهجه و الظل،و لكنها لا تعطيك الثمر،و هكذا العمل الذی يفقد عنصر الايمان و الصدق مثل الذی يرائی الناس فی أعماله،يكسب بعض الشهره عندهم،و لكن الصلاه التی يقيمها رياء لا تعرج بنفسه فی سماء الفضيله و التقوى،و كذلك المجتمع الكافر الذی يعمل من أجل الرفاه فقط فان حياته الماديه العاجله سوف تتحسن ظاهرا،و لفتره محدوده إذ ان الذنوب و المعاصی،و ظلم بعضهم لبعض،و ظلمهم لسائر المجتمعات كل ذلك يصبح كالسوسه التی تنخر فی أعماقهم

١- ١) نهج البلاغه خ ١٩٢ ص ٢٩٢.

حتی ینهار بناؤهم الأنیق،و یکون مصیرهم مصیر عاد و ثمود و أصحاب الرّس و أصحاب الایکه،الذین انهارت حضاراتهم التی اغتروا بها،و زعموا انها خالده.

مَنْ کٰانَ یُرِیدُ الْحَیٰاهَ الدُّنْیٰا وَ زِینَتَهٰا نُوَفِّ إِلَیْهِمْ أَعْمٰالَهُمْ فِیهٰا وَ هُمْ فِیهٰا لاٰ یُبْخَسُونَ [۱۶]و لکن مثل هذا الفریق مثل الشاب الذی یستنفذ کل طاقاته فی أیام صحته و فراغه و قوته،فاذا حل بساحه الشیب لم یجد شیئا ینفعه..أمواله صرفت، طاقاته استنفذت،و امکاناته أنفقت،کذلک المجتمع الذی یفکر فی لحظته لا یفکر فی القیم و لا فی المجتمعات الثانیه،و لا فی مستقبله انه لا حظ له فی الآخره،بل إن اعماله السابقه تبطل لأنها لم تکن قائمه منذ البدء علی أساس ثابت.

أُولٰئِکَ الَّذِینَ لَیْسَ لَهُمْ فِی الْآخِرَهِ إِلاَّ النّٰارُ وَ حَبِطَ مٰا صَنَعُوا فِیهٰا وَ بٰاطِلٌ مٰا کٰانُوا یَعْمَلُونَ لقد بنوا حضارتهم علی قاعده الاعتداء و الظلم و الفساد،فهی علی شفا جرف هار.تنهار بهم فی نار جهنم.

[سوره هود (۱۱): الآیات ۱۷ الی ۲۲]

اشاره

أَ فَمَنْ كانَ عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَ يَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ وَ مِنْ قَبْلِهِ كِتابُ مُوسى إِماماً وَ رَحْمَةً أُولئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَ مَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ اَلْأَحْزابِ فَالنّارُ مَوْعِدُهُ فَلا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ اَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَ لكِنَّ أَكْثَرَ اَلنّاسِ لا يُؤْمِنُونَ (۱۷) وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ اِفْتَرى عَلَى اَللّهِ كَذِباً أُولئِكَ يُعْرَضُونَ عَلى رَبِّهِمْ وَ يَقُولُ اَلْأَشْهادُ هؤُلاءِ اَلَّذِينَ كَذَبُوا عَلى رَبِّهِمْ أَلا لَعْنَةُ اَللّهِ عَلَى اَلظّالِمِينَ (۱۸) اَلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اَللّهِ وَ يَبْغُونَها عِوَجاً وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كافِرُونَ (۱۹) أُولئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي اَلْأَرْضِ وَ ما كانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اَللّهِ مِنْ أَوْلِياءَ يُضاعَفُ لَهُمُ اَلْعَذابُ ما كانُوا يَسْتَطِيعُونَ اَلسَّمْعَ وَ ما كانُوا يُبْصِرُونَ (۲۰) أُولئِكَ اَلَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَ ضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ (۲۱) لا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي اَلْآخِرَةِ هُمُ اَلْأَخْسَرُونَ (۲۲)

اللغه

۱۷[مريه]:شکّ.

۱۸[الاشهاد]:جمع شاهد.

۱۹[عوجا]:العوج العدول عن طريق الصواب.

۲۰[معجزين]:الاعجاز الامتناع عن المراد بما لا يمكن معه إيقاعه.

ص:۳۱

الخساره عاقبه الكفار

هدى من الآيات:

هناك فريقان فى الناس لو قارنا بينهما لعرفنا إلى أى واحد منهما ينبغى الانتماء.

أولا:المؤمنون الذين هم على طريق هدى بينه لهم ربهم،و يقودهم شاهد من اللّه هو الرسول و الامام،و هم على خط تاريخى ذى تجربه غنيه،حيث موسى الشاهد جاء بكتاب بين إمام و رحمه.

ثانيا:الكافرون الذين تشتتوا أحزابا مختلفين،و النار موعدهم و مصيرهم فهل يبقى شك فى ان الحق هو الذى يؤمن به المؤمنون،بيد أن أكثر الناس لا يؤمنون! و بينما المؤمنون هم على بينه من ربهم،ترى الكافرين يفترون على اللّه الكذب ظلما لأنفسهم،و غدا يعرضون على ربهم ليشهد عليهم الشهداء و يميزوهم، و يقولوا: هؤُلاَءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلىٰ رَبِّهِمْ ،و هؤلاء هم الظالمون،الا لعنه اللّه على

ص:٣٣

الظالمين.

و من صفاتهم أنهم يصدون عن سبيل اللّه،و يريدونه منحرفه مثل مجتمعهم الزائغ و نفوسهم المعقده،و يكفرون بالآخره،و لكن اين يهربون،و هل يقدرون على الخلاص من عذاب اللّه،و هل هناك من ينصرهم و يمنع عنهم جزاء ربهم؟كلا..

بل يضاعف لهم العذاب بقدر قدراتهم السمعيه و البصريه التى لم يستفيدوا منها للهدايه،و الواقع أنهم خسروا أنفسهم،و ما خوّلهم ربهم من طاقات و امكانات،و اما مفترياتهم و أكاذيبهم فقد تبخرت و لا بد بالتالى ان يكونوا هم الأخسرين فى يوم القيامه لأنهم لا شيء يملكون.اللهم الا جبالا من الذنوب!

بينات من الآيات:

و منهم من يؤمن به و منهم من يكفر:

[۱۷]اى الناس أفضل حياه،و أرقى هدى النموذج الايمانى أم الكافر؟ قبل ان تختار طريقا انظر الى مجمل حياه الذين سلكوه،فهناك المؤمن الذى يسير فى طريق واضح المعالم بين الجوانب،اقام اللّه الحجه عليه،فهو واثق من طريقه، عالم به..

أَ فَمَنْ كٰانَ عَلىٰ بَيِّنَهٍ مِنْ رَبِّهِ و هناك شاهد قد اكتملت شخصيته الايمانيه بوحى اللّه و هو الرسول أو الامام يتبعه،يشهد له بصحه طريقه،و يديره و يوجهه حتى لا يضل و لا يغوى،و هذا الشاهد هو من عند اللّه،مبارك باللّه،مؤيد بنصره،مسدد بنوره.

وَ يَتْلُوهُ شٰاهِدٌ مِنْهُ و أكثر من هذا ان هذا الخط قديم قدم الإنسان و قد جربته البشريه عبر العصور،

ص:۳۴

و كان أروع مثال للفلاح.

وَ مِنْ قَبْلِهِ كِتٰابُ مُوسىٰ إِمٰاماً وَ رَحْمَةً فكتـاب موسـى كمـا القرآن كان بينه و طريقا سويا لا عوج فيه لمن أراد ان يسـير عليه،و موسى شخصيا كان ذلك الشاهد الالهى على قومه السائرين على نهج الرساله، و بالتالى كان كتاب موسى إماما و رحمه،فهو من جهه هدى و استقامه و علم و عرفان و من جهه ثانيه حياه و سعاده و رفاه.

أُولٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ فأولئك الذين هم على بينه من اللّه يؤمنون باللّه و كتابه، و هذا هو نموذجهم، و هناك نموذج أخر هو نموذج الأحزاب المتفرقين فى الدنيا المجتمعين فى النار.

وَ مَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزٰابِ فَالنّٰارُ مَوْعِدُهُ فامامك أحـد النموذجين،و عليك ان تتجاوز الشك بعقلك و أرادتك و تؤمن به لأنه الحق.

فَلاٰ تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَ النّٰاسِ لاٰ يُؤْمِنُونَ و عليك الا تعبأ بهذه الأكثريه الضاله التى لا تؤمن باللّه،بل تبعد الشك عن نفسك و تؤمن به و تثق بعقلك.

[١٨]اللّه هو ذى العرش الـذى يبتغى كـل النـاس السبيـل اليه و الاتصال بهـداه، و لكن بعض الناس يسـيرون فى الطريق الصـحيح فيبلغون مرادهم،و البعض تضـلهم الأهواء،فيفترون على اللّه الكـذب،و يدعون كذبا انهم على سبيل اللّه،و لكن كم سـيكون ذنب هؤلاء كبيرا و ظلمهم لأنفسهم و للناس عظيما.إذ انهم يحرمون الناس

و أنفسهم من نور هدى ربهم؟! وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرىٰ عَلَى اللّهِ كَذِباً أُولٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلىٰ رَبِّهِمْ وَ يَقُولُ الْأَشْهٰادُ هٰؤُلاٰءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلىٰ رَبِّهِمْ أَلاٰ لَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظّالِمِينَ

صفاه ادعياء الدين:

[۱۹]ما هو الأثر السلبى للتشريع البشرى الخاطئ و للثقافه الماديه الكافره،أو للافتراء على اللّه؟ إنه يتلخص فى ثلاثه:

أولا:منع الناس عن السير فى سبيل اللّه الذى يهدى اليه العقل و الفطره، و يذكر به الوحى.

اَلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللّهِ فلو لا الثقافات المنحرفه،التى ينسبها ادعياء الدين الى اللّه زورا و بهتانا،إذا لاهتدى الناس بالتذكره.

ثانيا:طرح سبل منحرفه للناس و الادعاء بأنها هى سبيل اللّه.

وَ يَبْغُونَهٰا عِوَجاً ثالثا:تحديد نظر الإنسان فى الدنيا،و قتل طموحه الروحى،و تطلعه الفطرى الى الآخره.

وَ هُمْ بِالْآخِرَهِ هُمْ كٰافِرُونَ

ص:۳۶

و يبـدو ان هـذه الصـفات الثلاث هى أيضـا سـمات ادعيـاء الـدين الظـاهره التى يعرفون بهـا،فهؤلاء يمنعون الخير،و يجعلون من أنفسـهم حجر عثره عن تقـدم الناس و رفاههم،و يعقـدون الأمور،و يبغّضون الرساله الى الناس،كما انهم لا يـذكّرون الناس جديا باليوم الآخر.

[٢٠]و لكـن ايـن يهرب هؤلاء الخونه بـدين اللّه و هـل يقـدرون الخروج عن سلطان اللّه؟و هـل هنـاك من ينصرهم من دون اللّه؟كلا..بل ان عذابهم مضاعف بسبب عملهم و قولهم الفاسد الذى انحرف به الناس.

أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ علمـاء السوء و ادعيـاء الـدين يحتـالون على الـدين و كأنهم يفرون من احكام اللّه، و من فطرتهم و علمهم،فهـل يقـدرون على الهرب أيضا من عـذاب اللّه؟! وَ مٰا كٰانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللّٰهِ مِنْ أَوْلِيٰاءَ ان هؤلاء يغيرون الـدين طمعـا فى استماله النـاس،و جمع المزيـد من الاتبـاع، و لكن هـل ينفعهم هؤلاء شـيئا؟كلا بـل ان إغواءهم للناس يسبب تحمل أوزارهم مضافه الى أوزار الذين أضلوهم.

يُضٰاعَفُ لَهُمُ الْعَذٰابُ مٰا كٰانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَ مٰا كٰانُوا يُبْصِرُونَ لقد فسرت هذه الكلمه الاخيره على وجهين:

أحـدهما:ان معنى يضـاعف لهم العـذاب بمـا كـانوا يستطيعون السـمع فلا يسـمعون،و بما كانوا يستطيعون الأبصار فلا يبصـرون عنادا،و بتعبير آخر:لأنهم كانوا قادرين على السمع و الأبصار بما وهب اللّه لهم من نعمه العلم و القرب من

مصادر الهدايه فلم ينتفعوا بهما.

و الثانی:انه لاستثقالهم استماع ایات اللّه،و کراهتهم تذکرها و تفهمهما.

جروا مجری من لا یستطیع السمع و الأبصار.

[۲۱]و هل ربح هؤلاء شیئا،و هل یسمی الذین یخسرون مستقبلهم و مجمل فرصهم رابحین حتی لو اکتسبوا بضع دراهم أو مجموعه أنصار؟! أُولٰئِکَ الَّذِینَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَ ضَلَّ عَنْهُمْ مٰا کٰانُوا یَفْتَرُونَ من الأراجیف التی جمعوا حولها الناس غرورا،فلا بقیت تلک الأفکار الباطله التی زینت لهم و لا أولئک المغرورین بها.

[۲۲]انهم لا بد أن یکونوا الأخسر من الناس لأنهم لم ینتفعوا بمواهبهم،و عوضا من ان یکونوا فی مقام الأنبیاء و الصدیقین بعلمهم و هداهم،و یؤجرون مرتین.مره بعملهم الصالح،و مره بما اهتدی الناس بهم.أصبحوا یعذبون عذابا مضاعفا بعملهم الفاسد،و بإضلالهم الناس لِیَحْمِلُوا أَوْزٰارَهُمْ کٰامِلَهً یَوْمَ الْقِیٰامَهِ وَ مِنْ أَوْزٰارِ الَّذِینَ یُضِلُّونَهُمْ بِغَیْرِ عِلْمٍ (۱)لاٰ جَرَمَ أَنَّهُمْ فِی الْآخِرَهِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ أصل الجرم القطع،و لا جرم تقدیره لا قطع قاطع عن ذا،فهذه هی نهایتهم التی اختاروها لأنفسهم.

و کلمه اخیره:-حین نقارن هذه الآیات بالآیه الثالثه عشره نستفید مقیاسا

۱- ۱) النحل/۲۵.

مبینا للتمییز بین صاحب الرساله الحق الـذی لا یتنازل قید أنمله عن رسالته برغم ضـیق صدره،و ازدیاد الضـغوط علیه،و بین الذی یضل الناس عن الحق طمعا فی ولائهم أو رغبه فی هدایا السلاطین.

[سوره هود (۱۱): الآیات ۲۳ الی ۲۸]

اشاره

إِنَّ اَلَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا اَلصّالِحاتِ وَ أَخْبَتُوا إِلی رَبِّهِمْ أُولئِکَ أَصْحابُ اَلْجَنَّهِ هُمْ فِیها خالِدُونَ (۲۳) مَثَلُ اَلْفَرِیقَیْنِ کَالْأَعْمی وَ
اَلْأَصَمِّ وَ اَلْبَصِیرِ وَ اَلسَّمِیعِ هَلْ یَسْتَوِیانِ مَثَلاً أَ فَلا تَذَکَّرُونَ (۲۴) وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلی قَوْمِهِ إِنِّی لَکُمْ نَذِیرٌ مُبِینٌ (۲۵) أَنْ لا
تَعْبُدُوا إِلاَّ اَللّهَ إِنِّی أَخافُ عَلَیْکُمْ عَذابَ یَوْمٍ أَلِیمٍ (۲۶) فَقالَ اَلْمَلَأُ اَلَّذِینَ کَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ ما نَراکَ إِلاّ بَشَراً مِثْلَنا وَ ما نَراکَ اِتَّبَعَکَ
إِلاَّ اَلَّذِینَ هُمْ أَراذِلُنا بادِیَ اَلرَّأْیِ وَ ما نَری لَکُمْ عَلَیْنا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّکُمْ کاذِبِینَ (۲۷) قالَ یا قَوْمِ أَ رَأَیْتُمْ إِنْ کُنْتُ عَلی بَیِّنَهٍ مِنْ
رَبِّی وَ آتانِی رَحْمَهً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّیَتْ عَلَیْکُمْ أَ نُلْزِمُکُمُوها وَ أَنْتُمْ لَها کارِهُونَ (۲۸)

اللغه

۲۷[أراذلنا]:الرذل الخسیس و الحقیر من کل شیء و الجمع أرذل و یجمع علی أراذل.

ص:۴۰

هدى من الآيات:

يبـدو ان السـياق القرآنى يشـرع منذ هذا الدرس فى سـرد قصـص الرسل فى إنذارهم الشديد لقومهم،الذين كانوا يرفضون قبول الرساله فيأخـذهم اللّه بعـذاب شديد،و ذلك لعده اهداف منها تذكره الناس بأن هذا القرآن واحد من النذر،و أن من يعرض عنه يصاب بما أصاب أولئك،(و تشير الى ذلك الآيه الاولى من هذا الدرس).

و منها تثبيت قلب الرسول و المؤمنين برسالته لكى يسـتقيموا كما أمروا،و لا يركنوا الى الظالمين.جاء فى الآيه العشـرين بعد المأه من هذه السوره:« وَ کُلاًّ نَقُصُّ عَلَيْکَ مِنْ أَنْبٰاءِ الرُّسُلِ مٰا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤٰادَکَ وَ جٰاءَکَ فِی هٰذِهِ الْحَقُّ وَ مَوْعِظَةٌ وَ ذِکْریٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ».

ان عاقبه المؤمنين الصالحين الذين اطمأنوا الى ربهم هى الجنه خالدين فيها، لأنهم أصـحاب سـمع و ابصار،بينما الكفار كالأعمى و الأصم لا يهتدون سبيلا.

ص:۴۱

و قصه نوح مع قومه تكشف هـذا الفرق بين الفريقين..المؤمنين و الكفـار.حين أرسـله اللّه إلى قومه لينـذرهم لا يعبـدوا الا اللّه،و حذرهم انه فى غير هذه سوف ينزل عليهم عذاب يوم أليم،فقال الملأ الذين كفروا من قومه:أنك واحد مثلنا،و ان الذين اتبعوك هم من الطبقات السفلى من مجتمعنا،و انه لا فضل لكم بالرساله بل نظنكم كاذبين،فحذرهم نوح عليه السلام مره اخرى قائلا:ماذا لو كنت صادقـا،و ان عنـدى بينه من ربى و أنـا مهتـد بها الى الصـراط السوى،و آتانى رحمه من عنـده،بينما أنتم لا ترون الطريق السوى،أو يمكن ان ألزمكم به و أنتم له كارهون؟! و فى الدروس القادمه يتلو علينا القرآن سائر فصول القصه.

بينات من الآيات:

هل يستوى الفريقان؟

[۲۳]حين يكون الايمان مسـتقرا فى القلب،مستويا على عرش النفس،فأن المؤمن يشعر بالاطمئنان و السكينه و الرضا،فلا يعمل الا من أجل اللّه،و بهدف تحقيق مرضاته سبحانه،و جزاؤه عند ربه الخلود فى جنات اللّه الواسعه.

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ وَ أَخْبَتُوا إِلى رَبِّهِمْ الإخبـات:الطمـأنينه،و أصـله الاسـتواء من الخبت،و هو الأـرض المسـتويه الواسعه فكأن الإخبات خشوع مستمر على استواء فيه.

أُولٰئِكَ أَصْحابُ الْجَنَّهِ هُمْ فِيها خالِدُونَ [۲۴]الفريقان المؤمن المخبت و الكافر،نموذجان مختلفان يعرف واقعهما بالمقارنه بينهما فهذا كما البصير السميع الذى يسير وفق عقله و هدى الوحى،بينما يتخبط الثانى كما الأعمى و الأصم.

ص:۴۲

مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمىٰ وَ الْأَصَمِّ وَ الْبَصِيرِ وَ السَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيٰانِ مَثَلاً أَ فَلاٰ تَذَكَّرُونَ و المسأله ليست بحاجه الى المزيد من البحث،بل هى حقيقه واضحه معروفه لمن يلتفت إليها.

شيخ الأنبياء و قومه:

[۲۵]و يضرب القرآن أمثالا عديده يقارن فيها بين الفريقين،و عاقبه كل واحد منهما،كما يبين من خلال هذه الأمثال-حقائق أخرى تمّت التذكره بها فى بدايه السوره-.

وَ لَقَدْ أَرْسَلْنٰا نُوحاً إِلىٰ قَوْمِهِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ الملاحظ بالتدبر فى هذه الآيه ان نوحا أرسل الى قوم كان منهم،و كان ذلك أبلغ فى بيان الرساله لهم،و ابعد عن العصبيه،كما أن أهم بنود دعوته كان الإنذار،و هو أبلغ أثرا فى النفوس باعتبارها قد فطرت على الدفاع عن الذات،و ابعاد كل مكروه محتمل،و الإنسان مفطور على الدفاع عن ذاته أكثر مما هو مفطور على جلب المنفعه لها.

[۲۶]و خلاصه دعوه نوح و هدف رسالته كانت عباده اللّه وحده،و نبذ الشركاء،و حين ينبذ الشركاء تسقط السلطه السياسيه،و المنهاج الاقتصادى و الثقافى،و السلطه الاجتماعيه و كل ما يقوم على أساس عباده الأوثان و الشركاء.

أَنْ لاٰ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللّٰهَ إِنِّى أَخٰافُ عَلَيْكُمْ عَذٰابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ان مجرد الخوف من ذلك اليوم الذى ينشر فيه العذاب حتى يصبح اليوم ذاته أليما.حيث ان كل لحظاته تصبح ميعادا للعذاب،أقول:ان مجرد الخوف من ذلك

اليوم يكفى البشر دافعا نحو الايمان بحثا عن الخلاص.

[۲۷]اما جواب قومه فقد كان متوغلا فى التحجر و الماديه و الطبقيه.

فأولا-:زعموا بأن صاحب الرساله يجب ان يكون من غير البشر،و كأن البشر هو المخلوق العاجز عن حمل الرساله،و هذا نوع سخيف من التحجر الجاهلى.

و ثانيا:قاسوا الرساله بمن يحملها أو من يبادر بالايمان بها،و لم ينظروا إليها ذاتها باعتبارها قيم فاضله،و دعوه الى العداله و الهدى،و هذا نوع من الماديه و تشيىء القيم.

ثالثا:نظروا الى تابعى الرساله من المستضعفين نظره ازدراء بسبب تكبرهم و طبقيتهم.

فَقٰالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مٰا نَرٰاكَ إِلاّٰ بَشَراً مِثْلَنٰا وَ مٰا نَرٰاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرٰاذِلُنٰا بٰادِيَ الرَّأْيِ الملأ هم الاشراف و عليه القوم،و لأنهم كفروا بالرساله شأنهم شأن أغلب الذين هم من طبقتهم كذلك يعتبرون فاسدين،و كان من الصعب عليهم الخضوع لمن هو مثلهم،دليلا على انحطاط نفوسهم،و انعدام الثقه فيها،فنعتوا المؤمنين بأنهم من الطبقه الدنيا،و أنه من ينظر إليهم يعرف منهم هذ النعت(بادى الرأى).

وَ مٰا نَرىٰ لَكُمْ عَلَيْنٰا مِنْ فَضْلٍ غافلين عن ان الرساله ذاتها فضل كبير.

بَلْ نَظُنُّكُمْ كٰاذِبِينَ

و كان هـذا الفريق يتبعون الخيال و الظنون،و يرمون الأفكار الجديـده التى تخالف مصالحهم بأنها كذب.انطلاقا من عنجهيتهم و تكبرهم.

[۲۸]و أجاب نوح عليه السلام على شبهاتهم:

أولا:بأنه على بينه من ربه،فهو بالرغم من بشريته فأنه يملك ما لا يملكون و هو الهدى،و الحجه من ربه عليه.

ثانيـا:ان المـال الـذى يفقـده يعوض بمـا يؤتيه اللّه من رحمته الواسـعه،التى هى أهم من المـال.إذ ان الثروه لا تحل كل المشاكل بعكس رحمه اللّه التى تقضى على أكثر الصعاب.

و ثالثـا:ان ظنهم الفاسـد بكـذبه عليه السـلام ،آت من عمـاهم،و عـدم تفكرهم الجـدى، و فى هـذه الحـاله لاـ يجـبرهم نوح على الرساله،و هذا الكلام قد يكون ردا على قولهم:

وَ مٰا نَرىٰ لَكُمْ عَلَيْنٰا مِنْ فَضْلٍ حيث كانوا يزعمون:ان الرسول كالملك،يجب ان يملك قوه ماديه قاهره تفرض على الناس خطّا معيّنا،بينما الرسول جاء من أجل الهدايه التى لا تتأتى من دون الإختيار و الحريه.

قٰالَ يٰا قَوْمِ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّى وَ آتٰانِى رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ اى خفيت هـذه البينه،و ربمـا الـبينه هى الصراط السوى أو الحجه الواضحه.

أَ نُلْزِمُكُمُوهٰا وَ أَنْتُمْ لَهٰا كٰارِهُونَ

[سوره هود (۱۱): الآیات ۲۹ الی ۳۱]

اشاره

وَ یٰا قَوْمِ لاٰ أَسْئَلُکُمْ عَلَیْهِ مٰالاً إِنْ أَجرِیَ إِلاّٰ عَلَی اَللّٰهِ وَ مٰا أَنَا بِطٰارِدِ اَلَّذِینَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلاٰقُوا رَبِّهِمْ وَ لٰکِنِّی أَرٰاکُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ (۲۹) وَ یٰا قَوْمِ مَنْ یَنْصُرُنِی مِنَ اَللّٰهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَ فَلاٰ تَذَکَّرُونَ (۳۰) وَ لاٰ أَقُولُ لَکُمْ عِنْدِی خَزٰائِنُ اَللّٰهِ وَ لاٰ أَعْلَمُ اَلْغَیْبَ وَ لاٰ أَقُولُ إِنِّی مَلَکٌ وَ لاٰ أَقُولُ لِلَّذِینَ تَزْدَرِی أَعْیُنُکُمْ لَنْ یُؤْتِیَهُمُ اَللّٰهُ خَیْراً اَللّٰهُ أَعْلَمُ بِمٰا فِی أَنْفُسِهِمْ إِنِّی إِذاً لَمِنَ اَلظّٰالِمِینَ (۳۱)

اللغه

۳۱[تزدری]:الازدراء الاحتقار،یقال زریت علیه إذا عبته.

ص:۴۶

و ما أنا بطارد الذين آمنوا

هدى من الآيات:

قوم نوح كما المستكبرين فی كل عصر ردوا رساله اللّه بسبب الظنون و الشبهات، و شرع نوح فی هذا الدرس ببيان واقع الرساله ورد الشبهات و الظنون الباطله،فلقد زعم أولئك الجاهلون بأن نوحا يريد أن يتسلط عليهم،أو يغنی علی حسابهم،و أزال نوح عليه السلام،تخوفهم و قال:انه لا يريد منهم مالا،و لكنه فی الوقت ذاته لا يجعل المال مقياسا لتقييم الناس،فيطرد المؤمنين لأنهم فقراء،بل يقول:ان حسابهم علی اللّه،و انهم سيلاقون ربهم،أما قوم نوح فقد كانوا يجهلون،و يتخذون القيم الزائفه مقياسا لتقسيم الناس،و هذا تقسيم باطل لا يرضی به اللّه،و الذی يطرد المؤمنين اعتمادا علی مثل هذه القيم،بعيد عن رحمه اللّه،و غير منصور أيضا.

ثم ردّ نوح عليه السلام شبهه اخری حيث بيّن أنه ليس برجل خارق يملك خزائن اللّه،أو يعلم الغيب،و أنه خلق من نور كالملائكه.

ثم عاد و أكدّ عليه السّلام علی انه لن يطرد المؤمنين الذين يقلل من شأنهم قومه

ص:٤٧

لان اللّه أعلم بما فى أنفسهم،فان كانوا صادقين وافاهم أجلهم و أعطاهم الخير، فكيف يطردهم نوح فيصبح ظالما لهم.

بينات من الآيات:

الرسول و أولياء الرساله:

[۲۹]لان الملاء من قوم نوح،و كذلك الملأ المستكبرين من كل قوم يستغلون الناس،و يستثمرون طاقاتهم،فلا يسعهم النظر الى الاحداث إلاّ من خلال واقعهم الطبقى،لـذلك يتهمون الرسل بأنهم إنما يريدون الثروه من وراء دعوتهم،و ينفى الرسل بكل قوه هذه التهمه ليفصلوا بين دعوتهم الاصلاحيه و بين دعوات الملأ التى تهدف المزيد من استغلال المستضعفين.

وَ يٰا قَوْمِ لاٰ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مٰالاً إِنْ أَجرِيَ إِلاّٰ عَلَى اللّٰهِ فنوح-شأنه شأن كل البشر-يطلب أجرا و يعمل لهدف،و لكنه لا يطلبه من الناس بل من اللّه،و بذلك أثبت نوح-مره اخرى-الطابع الغيبى لرسالته.

و لأن نوحا عليه السلام لا يريد الانتفاع بعلمه ليصبح رقما جديدا فى قائمه الملأ يتقاسم معهم المكاسب الآتيه من ظلم الناس و استغلالهم،كما كان يفعل علماء السوء.

لذلك فهو يقف الى جانب المظلومين و يقول بصراحه:

وَ مٰا أَنَا بِطٰارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا و قد يكون للطبقه السفلى التى تهرع الى الايمان بعض السلبيات المترسبه فيهم بسبب الجاهليه،أو بسبب تعرضهم للظلم،فرساله السماء ليست مسئوله عن سلبياتهم،و عدم طردهم لا يعنى أبدا أن رسول اللّه يزكيهم تماما،بل إن حسابهم عند اللّه.

ص:۴۸

إِنَّهُمْ مُلاقُوا رَبِّهِمْ بيد أن الملأ من قوم نوح لم يزالوا على ضلالتهم التى تقسّم الناس على أساس المال أو الدم.

وَ لٰكِنِّى أَراكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ [۳۰]الطبقه الـدنيا التى بادرت بالايمان دخلت حصن اللّه،و اللّه يحمى الذين يتحصـنون به،و لو أراد أحد طردهم،و أراد اللّه نصرهم فان اراده اللّه هى الغالبه،و لا يملك من يطردهم قوه يرد بها غضب اللّه عليه.

وَ يٰا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِى مِنَ اللّٰهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ و فى هـذه الآيه دليل على أن احتفاظ رسول اللّه بالمؤمنين من الطبقات الـدنيا ليست بهدف الانتصار بهم أو تكثير العدد حول نفسه،بل لأنهم مؤمنون،و اللّه يحب المؤمنين.

أَ فَلاٰ تَذَكَّرُونَ فالمسأله بحاجه الى تـذكره،و لفت نظر حتى يعرف الإنسان أن الأمور بيد اللّه، و أن ربّنا لا ينظر الى الغنى و الجاه بل الى الايمان و العمل الصالح.

إنى بشر مثلكم:

[۳۱]و عاد نوح عليه السلام يبين أبعاد رسالته التى هى أيضا أبعاد رساله كل رسول و كلّ مصلح يتبع خط الرسل.

فأولا:إن الرسول يدعو الناس الى اللّه و الى الحق الذى تعرفه فطرتهم،و هذا هو

رأسماله،و لا يدعوهم الى نفسه باعتباره صاحب ثروه طائله.

وَ لاٰ أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِی خَزٰائِنُ اللّٰهِ بل خزائن اللّه موجوده فی ذات الإنسان،و فی الأرض التی أعطی اللّه البشر القدره علی تسخیرها بالایمان و العمل الصالح.

فالفكره المتخلفه التی تنتظر من صاحب الرساله(تفجیر الأرض بالینابیع، و استخراج كنوز الحیاه،و تقدیمها لهم بلا عمل)انها فكره خاطئه.

ثانیا:إن الرسول لا یدّعی الغیب إلاّ بقدر ما یوحی إلیه ربّه عبر رسالته،و لذلك فهو لا یعد الناس بالرفاه،و انه مثلا یأخذ بأیدیهم و یدلّهم علی معادن الذهب و الفضه.

وَ لاٰ أَعْلَمُ الْغَیْبَ ثالثا:انه لا یدعی امتلاكه لقوه قاهره،باعتباره من عنصر الملائكه.

وَ لاٰ أَقُولُ إِنِّی مَلَكٌ رابعا:انه لا یتعالی علی الناس.

وَ لاٰ أَقُولُ لِلَّذِینَ تَزْدَرِی أَعْیُنُكُمْ لَنْ یُؤْتِیَهُمُ اللّٰهُ خَیْراً بل ان الخیر و الشر هما من الإنسان نفسه،من عمله النابع عن نیه صالحه،و لا یعرف ذلك إلاّ اللّه.

اَللّٰهُ أَعْلَمُ بِمٰا فِی أَنْفُسِهِمْ إِنِّی إِذاً لَمِنَ الظّٰالِمِینَ

[سوره هود (۱۱): الآیات ۳۲ الی ۳۹]

اشاره

قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ اَلصَّادِقِينَ (۳۲) قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اَللَّهُ إِنْ شَاءَ وَ مَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ (۳۳) وَ لاَ يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اَللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (۳۴) أَمْ يَقُولُونَ اِفْتَرَاهُ قُلْ إِنِ اِفْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَ أَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ (۳۵) وَ أُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلاَّ مَنْ قَدْ آمَنَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (۳۶) وَ اِصْنَعِ اَلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَ وَحْيِنَا وَ لاَ تُخَاطِبْنِي فِي اَلَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ (۳۷) وَ يَصْنَعُ اَلْفُلْكَ وَ كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ (۳۸) فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَ يَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ (۳۹)

اللغه

۳۶[تبتئس]:الابتئاس حزن فی استکانه.

ص:۵۱

و ما أنتم بمعجزين

هدى من الآيات:

و ظلّ نوح علیه السّلام یسعی جاهدا حتی أتعب قومه،و قالوا:(یَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا)و طالبه قومه بانهاء مرحله الكلام و البدء بتنفیذ ما یوعدهم به.غافلین عن أن نوح لیس إلاّ رسولا و مبلغا عن ربه،و حین یشاء اللّه عذابهم لا یقدرون علی الفرار من حكومته و سلطانه،و مهمه التبلیغ التی یقوم بها نوح تختلف عن الهدایه.فاللّه هو الهادی المضل،و إذا شاء إبقاء قوم علی الضلاله بسبب كفرهم بنعمه الرساله،فان الرسول لا یقدر علی هدایتهم،و هكذا فان رسالات اللّه لیست من صنع الأنبیاء و انما هی من وحی اللّه،و إذا كان الرسول هو الذی افتری الرساله كذبا علی اللّه فانه یتحمل مسئولیه عمله،أمّا إذا كانت صادقه فهو لا یتحمل مسئولیه كفر قومه به بل هو بریء منهم.

أوحی اللّه الی نوح أن مدّه تبلیغه قد انتهت.إذ أن قومه لن یؤمنوا أكثر من هذا بعد الیوم،فلا یحزن بما یفعلون،و بدأت مرحله الاعداد لیوم العذاب.إذ أمر اللّه

ص:۵۲

رسوله بصنع الفلک و لا یخاطب ربه حول الظالمین من قومه،فیحاول الشفاعه لهم لأنهم مغرقون لا محاله،و کان نوح علیه السّلام یصنع الفلک،و یمر علیه المستکبرون من قومه فیسخرون منه،و لکنه کان یقول لهم:لنا یوم نسخر منکم کما تسخرون بنا الیوم،و فی ذلک الیوم ستعرفون:ان عذاب الخزی سیکون من نصیبکم.

بینات من الآیات:

لَنْ یُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِکَ إِلاّٰ مَنْ قَدْ آمَنَ:

[۳۲]من أبرز الصفات الرسالیه التی کان الأنبیاء العظام یتمتعون بها هی الاستقامه و الاستمرار فی الدعوه دون کلل.

فنوح علیه السلام أتعب قومه من کثره جداله معهم.حتی طالبوه بما وعدهم من العذاب،و زعموا ان نزول العذاب بهم أفضل من هذه الدعوه التی تلاحقهم فی کل وقت و فی کل مکان.

قٰالُوا یٰا نُوحُ قَدْ جٰادَلْتَنٰا فَأَکْثَرْتَ جِدٰالَنٰا فَأْتِنٰا بِمٰا تَعِدُنٰا إِنْ کُنْتَ مِنَ الصّٰادِقِینَ لقد دعا نوح قومه لیلا و نهارا.سرا و جهارا،و لبث فیهم ألف سنه إلاّ خمسین عاما یدق مسامعهم بکلماته البلیغه،و إنذاره الشدید حتی سئموا منه و لم یسأم و هکذا ینبغی ان یکون الرسالیون علی مرّ العصور الاستقامه علی الدعوه أنی کانت الفتره طویله.

[۳۳]و لم یترک نوح کلامهم الآخر من دون جواب.بل نبّههم مره اخری الی أنّ اللّه و لیس هو یأتیهم بالعذاب،و أنهم لا یقدرون آنئذ علی الفرار.

قٰالَ إِنَّمٰا یَأْتِیکُمْ بِهِ اللّٰهُ إِنْ شٰاءَ وَ مٰا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِینَ

و هذه سمه ثانيه و هامه فى رسالات السماء حيث أن الأنبياء(عليهم السّلام)لا يدعون لأنفسهم شيئا.و يذكرون الناس بان دورهم فقط دور المبلغ،و أن الأمر بيد اللّه.

[۳۴]و تأكيدا لهذه الحقيقه ذكّر نوح قومه بأن النصيحه لا تنفع إلاّ بإذن اللّه.إذ الهدى و الضلاله انما هى بأمر اللّه و إذنه،و إذا كفر أحد بنعمه العقل.فان ربنا قد يسلبها منه فلا يستفيد من النصيحه.

وَ لاٰ يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كٰانَ اللّٰهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ فى المفردات:الغيّ:جهل من اعتقاد فاسد و ذلك أن الجهل قد يكون فى الإنسان غير معتقد اعتقادا لا صالحا و لا فاسدا،و قد يكون فى اعتقاد شيء فاسد،و هذا النحو الثانى يقال له:غيّ،و قد يكون هذا الغى يشير الى ان اللّه تعالى قد يسلب من البشر نعمه العقل.فيعتقد بالباطل حقا.

[۳۵]هكذا رسالات اللّه جميعا،التى أنزلت على نوح و التى أنزلت على محمد صلى الله عليه و آله سبيلها واحد،فهى من اللّه.و الرسول يعلم مدى الخيانه التى يرتكبها من يفترى على اللّه،و لكن جريمه من لا يهتدى بالرساله ليست بسيطه هى الاخرى، و ليس من السهل ان يسترسل الفرد و لا يستمع لرسول الرساله بمجرد احتمال كذبه لأنها جريمه كبيره أيضا.

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرٰاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرٰامِي وَ أَنَا بَرِيءٌ مِمّٰا تُجْرِمُونَ جاء فى تفسير مجمع البيان:«قيل انه يعنى بذلك محمدا صلى الله عليه و آله .و المراد أ يؤمن كفار(قوم)محمد بما أخبرهم به محمد صلى الله عليه و آله من نبأ قوم نوح،أم يقولون:افتراه محمد

من تلقاء نفسه،و قیل:یعنی نوحا،و انه یقول علی اللّه الکذب». (۱)

بید انه یمکن ان یفسر القرآن علی أکثر من وجه فیکون المراد لیس فقط رساله محمد صلی الله علیه و آله و انما رساله نوح أیضا.

[۳۶]و لم یترک نوح علیه السلام الجدال مع قومه الا بعد أن اوحی الیه ربه انه یستحیل ایمان قومه بعد الآن،و ان علیه الا یحزن علیهم،و الا یعیش حاله البؤس بسبب أفعالهم.

وَ أُوحِیَ إِلیٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ یُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِکَ إِلاّٰ مَنْ قَدْ آمَنَ فَلاٰ تَبْتَئِسْ بِمٰا کٰانُوا یَفْعَلُونَ ان رسل اللّه علیهم السلام یتمحصون حول اللّه،و یصحبون شعله من الحرکه و الاندفاع من أجل تبلیغ رساله اللّه.حتی یکادوا یهلکون أنفسهم حزنا بسبب عدم إیمان الناس،و جاء فی القرآن: طه مٰا أَنْزَلْنٰا عَلَیْکَ الْقُرْآنَ لِتَشْقیٰ (۲)و جاء:

فَلَعَلَّکَ بٰاخِعٌ نَفْسَکَ عَلیٰ آثٰارِهِمْ إِنْ لَمْ یُؤْمِنُوا بِهٰذَا الْحَدِیثِ أَسَفاً (۳)و هذا نوح علیه السلام یبلغ حاله البؤس و الاستکانه بسبب ما یفعله،و لکن اللّه ینهاه عن ذلک.و یأمره بمتابعه دربه.

انهم مغرقون:

[۳۷]و تبدأ رحله الجزاء التی بدأت بصنع السفینه.

۱- ۱) المجمع ج ۵،۶ ص ۱۵۸.

۲- ۲) طه ۱/.

۳- ۳) الکهف ۶/.

وَ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنا وَ وَحْيِنا كان نوح عليه السلام لا يقوم بخطوه الا حسب المنهاج الذى رسمه له ربه.

تحت مظله واقيه من حمايه ربه.

وَ لاٰ تُخاطِبْنِی فِی الَّذِینَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ و لم تزل فی قلب نوح بقیه أمل تدعوه الی التضرع الی اللّه لیمنع عن قومه العذاب فی آخر لحظه.و لکن علی الرسول-بعد أن ییأس من إیمان قومه-ألاّ یشفق علیهم لأنهم یستحقون العذاب.

[۳۸]و أخذ نوح یصنع الفلک فی الفلاه القاحله استجابه لأمر اللّه و إیمانا بأن وعد اللّه حق،و کان ذلک أبسط دلیل علی انه لا یتّبع هواه،و لا یقول علی اللّه کذبا.

لأنه لو کان کذلک فما الذی دعاه الی صنع الفلک فی الصحراء؟! ان أنبیاء اللّه علیهم السلام یقومون بأعمال یحسبها الناس من حولها نوعا من الجنون،لأنها لاٰ تتناسب و معلومات و أفکار العصر،و لاٰ مع ما یجری حولهم من أحداث أو یتوقع من احتمالات.هذا بذاته دلیل واضح علی انهم یتبعون الوحی، و قد لا یعرف النبی لماذا یأمر بعمل ما للشهاده علی مدی خلوصهم فی اللّه،و تجردهم لرسالته الغیبیه.

وَ یَصْنَعُ الْفُلْکَ وَ کُلَّمٰا مَرَّ عَلَیْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ إن استهزاء الناس بنوح علیه السلام شاهد علی انه کان رسولا لا یتبع المألوف و الشائع فی ظروفه،بل کان یتحداها بسبب إیمانه بالغیب.

قٰالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنّٰا فَإِنّٰا نَسْخَرُ مِنْکُمْ کَمٰا تَسْخَرُونَ

[۳۹]و انذرهم نوح بالعاقبه السوأى التى تنتظرهم.

فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذٰابٌ يُخْزِيهِ و يفضحه فى الدنيا عبر التاريخ.

وَ يَحِلُّ عَلَيْهِ عَذٰابٌ مُقِيمٌ دائم فى الآخره.

ص:۵۷

[سوره هود (۱۱): الآیات ۴۰ الی ۴۴]

اشاره

حَتّٰی إِذٰا جٰاءَ أَمْرُنٰا وَ فٰارَ اَلتَّنُّورُ قُلْنَا اِحْمِلْ فِیهٰا مِنْ کُلٍّ زَوْجَیْنِ اِثْنَیْنِ وَ أَهْلَکَ إِلاّٰ مَنْ سَبَقَ عَلَیْهِ اَلْقَوْلُ وَ مَنْ آمَنَ وَ مٰا آمَنَ مَعَهُ إِلاّٰ قَلِیلٌ (۴۰) وَ قٰالَ اِرْکَبُوا فِیهٰا بِسْمِ اَللّٰهِ مَجْرٰاهٰا وَ مُرْسٰاهٰا إِنَّ رَبِّی لَغَفُورٌ رَحِیمٌ (۴۱) وَ هِیَ تَجْرِی بِهِمْ فِی مَوْجٍ کَالْجِبٰالِ وَ نٰادیٰ نُوحٌ اِبْنَهُ وَ کٰانَ فِی مَعْزِلٍ یٰا بُنَیَّ اِرْکَبْ مَعَنٰا وَ لاٰ تَکُنْ مَعَ اَلْکٰافِرِینَ (۴۲) قٰالَ سَآوِی إِلیٰ جَبَلٍ یَعْصِمُنِی مِنَ اَلْمٰاءِ قٰالَ لاٰ عٰاصِمَ اَلْیَوْمَ مِنْ أَمْرِ اَللّٰهِ إِلاّٰ مَنْ رَحِمَ وَ حٰالَ بَیْنَهُمَا اَلْمَوْجُ فَکٰانَ مِنَ اَلْمُغْرَقِینَ (۴۳) وَ قِیلَ یٰا أَرْضُ اِبْلَعِی مٰاءَکِ وَ یٰا سَمٰاءُ أَقْلِعِی وَ غِیضَ اَلْمٰاءُ وَ قُضِیَ اَلْأَمْرُ وَ اِسْتَوَتْ عَلَی اَلْجُودِیِّ وَ قِیلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ اَلظّٰالِمِینَ (۴۴)

اللغه

۴۰[و فار]:الفور الغلیان،و أصله الارتفاع.

[التنور]:تنور الخبز المعروف.

۴۱[مرساها]:الارساء إمساک السفینه بما تقف علیه.

۴۳[سآوی]:من آوی یأوی إذا اتخذ مأوی و محلا،أی سأرجع الی مأوی.

[یعصمنی]:یمنعنی.

ص:۵۸

۴۴[أقلعی]:الإقلاع إذهاب الشـیء من أصله حتی لا یری له أثر،یقال أقلعت السماء إذا ذهب مطرها حتی لا یبقی شیء منه،و أقلع عن الأمر إذا ترکه رأسا.

[الجودی]:اسم جبل.

ص:۵۹

بعدا للقوم الظالمين

هدى من الآيات:

بقى نوح ينتظر أمر اللّه.مستعدا لتنفيذ واجباته حتى إذا جاء أمر اللّه،و تفجر التنور(الذى كان فى بيت عجوز حسبما جاء فى بعض الأحاديث)أوحى اللّه الى نوح أن يركب السفينه،و يحمل فيها معه من كل زوجين اثنين من سائر ما خلق اللّه،و يحمل معه أيضا أهله إلاّ الكفار منهم و هما زوجته و ابنه اللذان اغرقا أيضا، و يحمل معه كل المؤمنين الذين كان عددهم قليلا،و توكل نوح على اللّه مطمئنا بأن حركه السفينه و وقوفها بإذن اللّه و رعايته،و تلاحقت أمواج الطوفان كأنها جبال.

و صاح نوح بابنه الذى جلس فى ناحيه،و دعاه الى الركوب معه و ان يترك الكفار، و لكنه زعم بان الطوفان فيضان عادى و ان صعود الجبل ينجيه منه،و لكن نوح حذّره من انه لا عاص اليوم من أمر اللّه إلا من رحم اللّه،و قبل ان ينتهى الحوار جاء الموج و أغرق ابن نوح.

و جاء صوت غيبى يصدر الأوامر الحاسمه للأرض بان تبتلع الماء،و للسماء بأن

تكف عن المطر.و غاص الماء و انتهت القضيه الحاسمه و وقفت السفينه فوق جبل.

و ابعد القوم الظالمون.

بينات من الآيات:

و ما آمن معه إلّا قليل:

[۴٠]ان تلك اللحظه التى كان أبناء الرساله يتوعدون بها،و كان الكفار يستهزئون بها قد حانت اليوم و أصبحت الحقيقه التى أنذرت بها الرساله واقعا لا مهرب منه،فلقد أصدر ربنا امره،و فار الماء من التنور الذى يبقى عاده بعيدا عن الماء،و امر اللّه رسوله نوحا بان يحمل معه فى السفينه من كل حى زوجين اثنين،و ان يحمل أهله الذين لم تسبق عليهم كلمه العذاب بسبب كفرهم كزوجته و ابنه،و ان يحمل معه الذين آمنوا و هم قليلون.

حَتّى إِذا جاءَ أَمْرُنا وَ فارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيها مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَ أَهْلَكَ إِلاّ مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَ مَنْ آمَنَ وَ ما آمَنَ مَعَهُ إِلاّ قَلِيلٌ

فى الحديث المأثور عن المفضل بن عمر عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال:

«كان التنور فى بيت عجوز مؤمنه فى دير قبله ميمنه مسجد الكوفه قال:قلت فكيف بدأ خروج الماء من ذلك التنور،قال:نعم ان اللّه أحب ان يرى قوم نوح آيه آيه،ثم ان اللّه سبحانه أرسل عليهم المطر يفيض فيضا،و فاض الفرات فيضا، و فاضت العيون كلها فيضا فغرقهم اللّه و أنجى نوحا و من معه فى السفينه،فقلت:

فكم لبث نوح فى السفينه حتى نضب الماء فخرجوا منها؟فقال:لبث نوح فى السفينه سبعه أيام و لياليها». (١)

١- ١) بح بح ١١ ص ٣٣٣ رقم ۵۶.

[۴۱]و حین رکب نوح و قومه الصالحون السفینه تجلت عندهم روح الایمان الخالص،و توکلوا علی ربهم متذکرین اسمی الغفران و الرحمه-للّه-فبمغفرته یحط ذنوبهم و برحمته ینزل علیهم برکاته و فضله.

وَ قٰالَ ارْکَبُوا فِیهٰا بِسْمِ اللّٰهِ مَجْرٰاهٰا وَ مُرْسٰاهٰا فکل شیء فی الکون موجود باللّه و قائم باللّه،و یتحرک أو ینمو أو ینطق باسم اللّه.بید ان هناک حوادث یتجلی فیها التدبیر المباشر للّه تعالی أکثر،مثل سفینه نوح التی صنعها بأمر اللّه دون أن یعرف منذ البدء ابعاد العملیه،و لا یعرف أین تجری السفینه،و این تقف و فی أیه فتره،انما توکل علی اللّه فیها،لعلمه انها فی اطار تدبیر اللّه و هیمنته المطلقه علی الکون.

إِنَّ رَبِّی لَغَفُورٌ رَحِیمٌ

بعدا للقوم الظالمین:

[۴۲]و بین لحظه و اخری تحولت الصحاری الی بحار مواجه،و تلاطمت الأمواج الهائله و کأنها جبال متحرکه،و لاحظ نوح ابنه واقفا فی معزل عن الناس فناداه لیرکب معه،و ربما أخذته شفقه الأبوه أو رحمه النبوه،و لکن الابن السیء الحظ رفض لانعدام توکله علی اللّه،و لاعتماده علی الماده الجاهلیه،بسبب تعلقه السابق بها،و قال سوف ألتجئ الی جبل یحفظنی من الطوفان.

وَ هِیَ تَجْرِی بِهِمْ فِی مَوْجٍ کَالْجِبٰالِ وَ نٰادیٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَ کٰانَ فِی مَعْزِلٍ یٰا بُنَیَّ ارْکَبْ مَعَنٰا وَ لاٰ تَکُنْ مَعَ الْکٰافِرِینَ کان ابن نوح و یقال ان اسمه کنعان،من جمله الذین اعتزلوا المعرکه الساخنه بین الحق و الباطل،و أراد الا یتدخل فی القضایا الرسالیه،شأنه شأن الکثیر من الجبناء الذین لا یملکون شجاعه الاقدام فی سبیل اللّه.بید ان مثل هؤلاء سوف

يكونون مع الكفار لان الايمان وحده هو الذى ينقذ البشر.

[۴۳]قَالَ سَآوِى إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ الْمَاءِ قَالَ لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللّٰهِ إِلاّ مَنْ رَحِمَ وَ حَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ
[۴۴]بين عشيه و ضحاها تبدل وجه الأرض و هلك القوم الظالمون،و إذا بهاتف الحق ينادى:(يَا أَرْضُ ابْلَعِى مَاءَكِ)،فعادت مياه الأرض التى تفجرت ينابيع الى مخازنها تحت الأرض،و تقشعت السحب التى كانت تسيل ماء بأمر ربها،فأقلعت عن الانهمار و غاض ماء الأرض،و تحولت بقيه المياه الى الأنهار و البحار كما جاء فى حديث،و انتهت القصه كلها،حيث استقرت السفينه على أرض مرتفعه..

و خلت الأرض من الظالمين الذى لعنوا و طردوا منها بقدره الجبار.

وَ قِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِى مَاءَكِ وَ يَا سَمَاءُ أَقْلِعِى أى توقفى قال البعض أن الماء الذى سال من السماء بقى فوق الأرض لان اللّه قال للأرض ابلعى ماءک،و لم يطلق بالقول الماء،بيد ان هذا القائل ينسى ان كل المياه فى الواقع من الأرض.

وَ غِيضَ الْمَاءُ و هبط الماء أو رسب فى الأرض.

وَ قُضِىَ الْأَمْرُ وَ اسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ لقد نفذ أمر اللّه بهلاک الظالمين،و نجاه المؤمنين،و تحقيق الجزاء لكلا الفريقين فى عاجل الدنيا.

وَ قِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظّالِمِينَ

[سوره هود (۱۱): الآیات ۴۵ الی ۴۹]

اشاره

وَ نادىٰ نُوحٌ رَبَّهُ فَقالَ رَبِّ إِنَّ اِبْنِی مِنْ أَهْلِی وَ إِنَّ وَعْدَکَ اَلْحَقُّ وَ أَنْتَ أَحْکَمُ اَلْحاکِمِینَ (۴۵) قالَ یا نُوحُ إِنَّهُ لَیْسَ مِنْ أَهْلِکَ إِنَّهُ
عَمَلٌ غَیْرُ صالِحٍ فَلا تَسْئَلْنِ ما لَیْسَ لَکَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّی أَعِظُکَ أَنْ تَکُونَ مِنَ اَلْجاهِلِینَ (۴۶) قالَ رَبِّ إِنِّی أَعُوذُ بِکَ أَنْ أَسْئَلَکَ ما
لَیْسَ لِی بِهِ عِلْمٌ وَ إِلاّ تَغْفِرْ لِی وَ تَرْحَمْنِی أَکُنْ مِنَ اَلْخاسِرِینَ (۴۷) قِیلَ یا نُوحُ اِهْبِطْ بِسَلامٍ مِنّا وَ بَرَکاتٍ عَلَیْکَ وَ عَلیٰ أُمَمٍ مِمَّنْ
مَعَکَ وَ أُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ یَمَسُّهُمْ مِنّا عَذابٌ أَلِیمٌ (۴۸) تِلْکَ مِنْ أَنْباءِ اَلْغَیْبِ نُوحِیها إِلَیْکَ ما کُنْتَ تَعْلَمُها أَنْتَ وَ لا قَوْمُکَ مِنْ
قَبْلِ هٰذا فَاصْبِرْ إِنَّ اَلْعاقِبَةَ لِلْمُتَّقِینَ (۴۹)

ص:۶۴

إنّ العاقبه للمتقين

هدى من الآيات:

و قبل هبوط نوح عليه السلام الى الأرض تساءل عما انتهى اليه مصير ابنه الغريق و ذلك بسبب جاذبيه الشفقه التى أودعها اللّه فى قلب كل أب،و لو كان الأب شيخ المرسلين،تلك الجاذبيه التى جعلت سيدنا نوحا يدعور به فى ابنه و لكن اللّه وعظه و ذكره بان المقياس عنده العمل الصالح و ليس الانتساب الى هذا أو ذلك،و هكذا عرف نوح ان سبب انحراف البشر ليس فقط وجود بيئه فاسده أو تسلط الظالمين،إذ قد يكون السبب كامنا فى نفسه فدعا ربه بان يغفر له و ان يرحمه فيعصمه من الزيغ و من دون رحمه اللّه و مغفرته يكون البشر خاسرا.و هكذا الحال بالنسبه الى الذين كانوا مع نوح فى السفينه،و الذين اهبطهم اللّه الأرض،بسلام و بركات و لكن عوامل الانحراف نزلت معهم أيضا،فبعضهم انحرف مع هذه العوامل و بعضهم صمد أمامها و اعتصم بهدى اللّه.

و فى نهايه قصه نوح يذكرنا القرآن بالعبره فيها و هى الصبر و التقوى فان العاقبه

للمتقين و لكنها بحاجه الى الصبر و الاستقامه.

بينات من الآيات:

التسليم لقضاء اللّه:

[۴۵]

فى بعض الأحاديث المرويه: «ان الشيطان دخل سفينه نوح متسللا » و الواقع ان الحكمه فى خلق البشر هى ابتلاؤه،و وجود الشيطان جزء من معادله الامتحان،و انحراف البشر ليس دائما لوجود ضغوط خارجيه عليه،بل ان الهوى و الشهوه،و الانجذاب الى مظاهر الحياه الذى أودعه اللّه فى كيان كل شخص هو الآخر جزء من معادله الامتحان و حكمه الحياه.

و هكذا نجد آدم عليه السلام-أبا البشر-أول من ارتكب الخطأ بدافع الملك و الخلود،قبل أن تدركه رحمه اللّه و تعصمه من الزلل.

و نجد نوحا و قد خرج من محنه الصراع منتصرا على الجبت الداخلى و الطاغوت الخارجى،و لكنه لا يزال بحاجه الى مغفره اللّه و رحمته.يحتاج الى رحمه اللّه حتى يعصمه من تكرار الزلل،و هكذا دعا نوح ربه بلباقه ان يفى بوعده بانقاذ أهله، و لكن اللّه أجابه بصراحه:انه ليس من أهلك لان رابطتك الحقيقيه هى مع الذين يعملون الصالحات،و هذا الابن لا يملك مقياس العمل الصالح.

وَ نادىٰ نُوحٌ رَبَّهُ فَقٰالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَ إِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَ أَنْتَ أَحْكَمُ الْحٰاكِمِينَ [۴۶] قٰالَ يٰا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صٰالِحٍ فَلاٰ تَسْئَلْنِ مٰا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجٰاهِلِينَ ربما توحى هذه الآيه بضروره الرضا الكامل بالاقدار التى لا يعرف المرء

حکمتها،و التسلیم المطلق للأوامر التی لا یفهم البشر فلسفتها.

[۴۷]ان درجه تسلیم الأنبیاء علیهم السلام للّه و لأوامره و أقداره تصل الی القمه،بسبب تأدیب ربنا لرسله الکرام،و لذلک نجد نوحا علیه السلام یستعین بعصمه ربه لکی لا یسأل ربه ما لیس له به علم،و لا یقترح علیه ما لا یعلم انه فی صالحه و صالح رسالته و أمته.

قٰالَ رَبِّ إِنِّی أَعُوذُ بِکَ أَنْ أَسْئَلَکَ مٰا لَیْسَ لِی بِهِ عِلْمٌ وَ إِلاّٰ تَغْفِرْ لِی وَ تَرْحَمْنِی أَکُنْ مِنَ الْخٰاسِرِینَ ان مغفره اللّه ضروره حیاتیه للبشر لتزیل آثار الذنوب و السقطات التی یتعرض لها الإنسان أبدا...فمن دونها تتراکم هذه الآثار حتی ترسی علی قلبه،و تحجب عقله،کما أن رحمه اللّه ضروره اخری لاستمرار بقاء الإنسان نظیفا،و لکی لا یدعوه الضعف و العجز الی ارتکاب المعاصی،و

قد جاء فی الدعاء: «اللهم أغننا بحلالک عن حرامک،و بطاعتک عن معصیتک،و بفضلک عمن سواک... »،فرحمه اللّه هی التی تعصم البشر من الذنوب،لا فرق بین الرسل و غیرهم.

[۴۸]و هبط نوح بأمر اللّه یحمل معه هدیتین الی الأرض السلام و البرکه، و یعنی السلام المحافظه علی النعمه القائمه و الموجوده فعلا،و بالتالی رفع الضرر الذی یهدد بزوال النعم،بینما تعنی البرکه زیاده النعم و التقدم فی حقول الحیاه.

قِیلَ یٰا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلاٰمٍ مِنّٰا وَ بَرَکٰاتٍ عَلَیْکَ وَ عَلیٰ أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَکَ و السلام و البرکه هما من اللّه بسبب رسالته.لذلک یسلبان عمن لا یعرف قیمه الرساله فینحرف عنها،لذلک خصص القرآن أمما دون أخری للسلام و الأمن قائلا:

وَ أُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ یَمَسُّهُمْ مِنّٰا عَذٰابٌ أَلِیمٌ

و ذلک بسبب ان هذا النوع الثانی من الأمم ینحرفون عن الرساله،و یبدلون دین اللّه.

و ربما توحی هذه الآیه بأن سنه الحیاه الأولیه هی السلام و البرکه لولا انحراف البشر فیها.

خلاصه القصه:

[۴۹]تلک کانت قصه نوح و قومه،و العبره التی نستفیدها منها اثنتان.

أولا:ان هـذه الرساله امتـداد لتلک الرساله حیث لم یکن أحـد من قوم الرسول محمد صـلی الله علیه و آله عالما بقصه نوح،أو لا أقل بتلک التفاصـیل الدقیقه التی تسـجل حتی الحالات النفسـیه،و الأسـباب الاجتماعیه،و العوامل الطبیعیه التی ساهمت فی صـنع وقائع القصه،فجاء ذکرها جمیعا شاهدا علی صدق رساله النبی محمد صلی الله علیه و آله .

ثانیا:ان کل رساله تتعرض لتحدیات جاهلیه،و علی حاملها أو حملتها التسلح بالتقوی،و الصبر انتظارا للعاقبه.

تِلْـکَ مِنْ أَنْبٰاءِ الْغَیْبِ نُوحِیهٰا إِلَیْکَ مٰا کُنْتَ تَعْلَمُهٰا أَنْتَ وَ لاٰ قَوْمُکَ مِنْ قَبْلِ هٰذٰا فحتی رسول اللّه لم یکن محیطا بعلم ما جری لنوح،مما یدل علی ان ما لدیه من علم،انما هو من عند اللّه،لا من عبقریته و ذکائه.

فَاصْبِرْ إِنَّ الْعاقِبَهَ لِلْمُتَّقِینَ و الواقع ان صبر نوح علیه السلام کان طویلا و شاقا و کان بالتالی ذا أثر حاسم فی هلاک أعدائه.

ص:۶۸

[سوره هود (۱۱): الآيات ۵۰ الى ۵۷]

اشاره

وَ إِلىٰ عٰادٍ أَخٰاهُمْ هُوداً قٰالَ يٰا قَوْمِ اُعْبُدُوا اَللّٰهَ مٰا لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلاّٰ مُفْتَرُونَ (۵۰) يٰا قَوْمِ لاٰ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ أَجْرِيَ إِلاّٰ عَلَى اَلَّذِي فَطَرَنِي أَ فَلاٰ تَعْقِلُونَ (۵۱) وَ يٰا قَوْمِ اِسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ اَلسَّمٰاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرٰاراً وَ يَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلىٰ قُوَّتِكُمْ وَ لاٰ تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ (۵۲) قٰالُوا يٰا هُودُ مٰا جِئْتَنٰا بِبَيِّنَةٍ وَ مٰا نَحْنُ بِتٰارِكِي آلِهَتِنٰا عَنْ قَوْلِكَ وَ مٰا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (۵۳) إِنْ نَقُولُ إِلاَّ اِعْتَرٰاكَ بَعْضُ آلِهَتِنٰا بِسُوءٍ قٰالَ إِنِّي أُشْهِدُ اَللّٰهَ وَ اِشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمّٰا تُشْرِكُونَ (۵۴) مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لاٰ تُنْظِرُونِ (۵۵) إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اَللّٰهِ رَبِّي وَ رَبِّكُمْ مٰا مِنْ دَابَّةٍ إِلاّٰ هُوَ آخِذٌ بِنٰاصِيَتِهٰا إِنَّ رَبِّي عَلىٰ صِرٰاطٍ مُسْتَقِيمٍ (۵۶) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مٰا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَ يَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْماً غَيْرَكُمْ وَ لاٰ تَضُرُّونَهُ شَيْئاً إِنَّ رَبِّي عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ (۵۷)

اللغه

۵۲[مدرارا]:المدرار الكثير التتابع على قدر الحاجه اليه دون الزائد المفسد المضر.

۵۴[اعتراك]:من قولهم عراه يعروه إذا اصابه.

ص:۶۹

هود:إنّى توكلت على اللّه

هدى من الآيات:

و جاء هود مرسلا من عند اللّه الى قوم عاد،و دعا قومه بذات النبره الايمانيه التى وجدناها عند سلفه الصالح نوح عليه السلام.

/۱أمرهم بعباده اللّه حيث لا إله و لا معبود سواه،و بين ان عبادتهم للطغاه أو الأصنام افتراء و ضلاله.

/۲و بين لهم انه لا يطالبهم بأجر،و أن أجره،على اللّه الذى فطره أ فلا يعقلون فيعرفوا الفرق بين الرسول الصادق،و بين أولئك الطغاه و الكهنه المفترين الذين يهدفون السلطه و الاستكبار فى الأرض! /۳و طالبهم بإصلاح أنفسهم،و العوده الى تعاليم اللّه لتزداد نعم اللّه عليهم، و ليزدادوا قوه الى قوتهم الحاليه،و فى غير هذه الحاله فهم يصبحون مجرمين مخالفين للّه و لرسالته،و يستحقون العذاب.

ص:۷۱

و لكن قوم هود ردّوا دعواته الثلاث،فقالوا:انك لا تملك بيّنه كافيه على صدق رسالتك،و اننا لن نترك آلهتنا،و اننا لن نعطى أزمّه أمورنا بيدك،بالرغم من أنك لا تطالب بأجر،و زعموا أن كلامه نوع من الجنون الذى مسّه بسبب غضب الآلهه عليه،فميّز هود نفسه عن قومه و تبرأ من شركهم،و أشهد اللّه على ذلك،و توكل على ربه،و تحداهم جميعا،و أمرهم بألا يمهلوه بل يكيدون له ليعرف مدى ضعف كيدهم،لأنه يعتمد على اللّه الذى يملك كل دابه و يدبر أمورها،و هو على صراط مستقيم...يدعو اليه و يجريه بقوته،و بين لهم هود أنه قد انهى مسئوليته ببلاغ الرساله،و أن اللّه سوف يبدلهم بغيرهم دون أن يضرّوه شيئا،و أن اللّه على كلّ شيء حفيظ.

بينات من الآيات:

رساله هود و أبعادها:

[۵۰]أرسل ربنا الى عاد واحدا منهم يسميه ربنا بأخيهم لكى يكون أقرب الى قبول الرساله،و أوضح بيانا،فأمرهم بعباده اللّه و نبذ الشركاء.و فضح منذ اللحظه الاولى كذب و دجل الشركاء من دون اللّه.شأنه شأن سائر الرسل التى لا تهادن فى دين اللّه أبدا.

وَ إِلىٰ عٰادٍ أَخٰاهُمْ هُوداً قٰالَ يٰا قَوْمِ اعْبُدُوا اللّٰهَ مٰا لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلاّٰ مُفْتَرُونَ اى انكم تفترون على اللّه الكذب،بادعائكم ان هذه الآلهه تمثل اللّه فى الأرض،و ربما تدل هذه الآيه على أن انحراف البشر الاساسى يكون عاده فى تبديل جوهر الدين لا إطاراته الخارجيه،فيفسر ذات النص الدينى(الأمر بعباده اللّه،و نبذ الشركاء بمفهوم متناقض ليصبح داعيا الى عباده الشركاء افتراء على اللّه،مثلا:

ص:۷۲

يفسر قوله سبحانه: أَطِيعُوا اللّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ بان معناه اطاعه كل حاكم ظالم متجبر بمجرد تسلطه على الناس الذى يناقض تماما فكره التوحيد و اطاعه اللّه هكذا حدث عند المسلمين اما عند عاد فقد حدث شبه ذلك، حيث أطاعوا الشركاء باسم انهم مستخلفون من قبل اللّه،و أطاعوا الأصنام باسم أنها شفعاء عند اللّه.

[51]و إذا كانت الكهنه سدنه معابد الأصنام،و علماء السوء المحيطون ببلاط المستكبرين يبيعون علمهم على من يشترى،و يستطيلون على الضعفاء،فان هودا عليه السلام لم يطالبهم بأى أجر،و كفى ذلك شاهدا و دليلا على صدق رسالته، فلما ذا إذا كان يعرض نفسه لكل تلك الصعاب،ان لم يكن صادقا،و هو لا يطالب الناس بأجر و لا يهدف الوصول الى غايه خاصه؟! يا قَوْمِ لاٰ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ أَجْرِيَ إِلاّٰ عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَ فَلاٰ تَعْقِلُونَ [52]و طالب هود قومه أن يصلحوا أنفسهم بطلب المغفره من اللّه تعالى،و ٧ ظهار الندم من الذنوب السابقه،و بعدئذ العوده الى تعاليم السماء و تطبيقها.

وَ يٰا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ فاذا فعلوا ذلك فان اللّه سوف يفتح لهم أبواب رحمته بانزال قطر السماء بغزاره، و اعطائهم المزيد من القوه و المنعه.

يُرْسِلِ السَّمٰاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرٰاراً وَ يَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلىٰ قُوَّتِكُمْ و فى غير هذه الحاله يعتبرون مجرمين خارجين عن القانون و يستحقون العذاب.

وَ لاٰ تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ

[۵۳]و رفض قوم هود رساله اللّه،و ادعوا انهم لم يقتنعوا بأدلته و حججه، و لكن كذبا إذ أن دافعهم الاصلى فى رفضهم لها كان تمسكهم الأعمى بالتقاليد و عبادتهم للآلهه التى رفضوا تركها اعتمادا على كلام هود،و ربما كان هناك سبب آخر لرفضهم للرساله.هو استنكافهم عن التسليم لهود.و يوحى الى ذلك تعابيرهم التى كرر فيها(الخطاب)و نسبت الرساله الى شخص هود، بينما لم يكن هود سوى رسول حامل للرساله.تدبروا فى الآيه:

قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَهٍ وَ مَا نَحْنُ بِتَارِكِى آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَ مَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ و قد زعموا أن ايمانهم،إنما هو للرسول و فى منفعته،بينما كان الواقع غير ذلك تماما.

[۵۴]و لكى يبرروا جهلهم بواقع الرساله،و يغطوا على نقاط الضعف فى كلامهم نسبوا الرساله الى حاله مجهوله غيبيه،اعترت الرسول-مما لا يعرف أبعادها-.

إِنْ نَقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ و هكذا اعترفوا ضمنيا بخطإ أقوالهم السابقه،و زعمهم بأن هودا إنما يدعوهم لنفسه.و هنا عرف هود ان العصبيه العمياء تحيط بقلوب هؤلاء القوم فيرفضون الحق بلا تفكر لذلك.

قَالَ إِنِّى أُشْهِدُ اللّهَ وَ اشْهَدُوا أَنِّى بَرِىءٌ مِمّا تُشْرِكُونَ و بدأت مرحله جديده من الصراع هى مرحله المواجهه الساخنه حيث أعلن هود براءته من أفكارهم.و انفصاله عن مجتمعهم الفاسد.

ص:۷۴

المواجهه الساخنه:

[۵۵]و أعلن هود عن استعداده للمواجهه الآن و من دون مهله،و تحدّاهم لو عندهم كيد فليكيدوه به.

مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِی جَمِيعاً ثُمَّ لاٰ تُنْظِرُونِ فما دام الكيد من دون اللّه،و بعيد عن الاستعانه باللّه فهو فاشل لا محاله.

[۵۶]هل كان يملك هود قوه يعتمد عليها فی مواجهته مع جميع قومه؟بلی قوه اللّه الذی آمن به و حمل رسالته،و هذا أكبر شاهد علی صدق دعوته.

إِنِّی تَوَكَّلْتُ عَلَی اللّٰهِ رَبِّی وَ رَبِّكُمْ مٰا مِنْ دَابَّهٍ إِلاّٰ هُوَ آخِذٌ بِنٰاصِيَتِهٰا أی ما من حی يدب فوق الأرض إلا و ربنا سبحانه يملك توجيهه كمن يأخذ بمقدم رأس أحد يوجهه انّی شاء،و لكن اللّه لا يسير الكون عبثا أو لعبا،و انما يسيّره بعداله و عبر صراط مستقيم.

إِنَّ رَبِّی عَلیٰ صِرٰاطٍ مُسْتَقِيمٍ فكما يسير اللّه كل ما فی الكون فی طريق مستقيم،فانه سبحانه يسير الذين يتوكلون عليه عبر ذلك الصراط الأقرب الی الهدف.

[۵۷]و انذرهم هود حين لم ينفعهم التبشير و قال:إذا توليتم عن قبول الرساله.

فقد أديت مهمتی و هی إبلاغ الرساله،و ان اللّه سوف يهلككم و يأتی بآخرين مكانكم دون أن تقدروا علی إلحاق الأذی بی.

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مٰا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَ يَسْتَخْلِفُ رَبِّی قَوْماً غَيْرَكُمْ وَ لاٰ

تَضُرُّونَهُ شَيْئاً إِنَّ رَبِّی عَلیٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ فهو يحفظ الأشياء بهيمنته عليها و تسلطه،فاذا تركه هلك،لان بقاءه مستمد من اللّه سبحانه و تعالی.

ص:۷۶

[سوره هود (۱۱): الآیات ۵۸ الی ۶۰]

اشاره

وَ لَمّا جٰاءَ أَمْرُنٰا نَجَّیْنٰا هُوداً وَ اَلَّذِینَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَهٍ مِنّٰا وَ نَجَّیْنٰاهُمْ مِنْ عَذٰابٍ غَلِیظٍ (۵۸) وَ تِلْکَ عٰادٌ جَحَدُوا بِآیٰاتِ رَبِّهِمْ وَ عَصَوْا رُسُلَهُ وَ اِتَّبَعُوا أَمْرَ کُلِّ جَبّٰارٍ عَنِیدٍ (۵۹) وَ أُتْبِعُوا فِی هٰذِهِ اَلدُّنْیٰا لَعْنَهً وَ یَوْمَ اَلْقِیٰامَهِ أَلاٰ إِنَّ عٰاداً کَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلاٰ بُعْداً لِعٰادٍ قَوْمِ هُودٍ (۶۰)

ص:۷۷

الا بعدا لعاد

هدی من الآیات:

و کـذب قوم هود برسولهم و جـاء أمر اللّه بنجـاه المؤمنین من عـذاب غلیظ،و إهلاک الباقین و لم یبق منهم سوی العبره،فها هی عـاد جحـدوا بآیـات ربهم،و عصوا رسـله، و أطاعوا امر الجبارین المتکبرین الجاحـدین.فلحقتهم اللعنه و البعـد عن رحمه اللّه فی الدنیا و الآخره.کل ذلک بسبب کفرهم باللّه و برسالاته و رسوله.

بینات من الآیات:

أَلاٰ بُعْداً لِعٰادٍ قَوْمِ هُودٍ :

[۵۸]و انتظر هود و الـذین آمنوا امر ربهم لأنهم منـذ البـدء توکلوا علیه -سـبحانه-و لم یعتمدوا فی دعوتهم علی أنفسـهم أو علی قبیلتهم أو ایه قوه مـادیه اخری،و بعـد ان أعطیت لعاد فرصه کافیه لیهتـدی من یهتـدی منهم بوعی،و یضل من ضل بحجه.بعـدئذ جاء أمر اللّه تعالی الذی هو فوق العادات و السنن المعروفه

ص:۷۸

للناس،و الـدليل على ان العـذاب الـذى أخـذ عادا كان خرقا للقوانين الطبيعه المعروفه،ان العذاب لم يشـمل المؤمنين و الكافرين الـذين كانوا متواجدين فى مكان واحد،بل أخذ الكفار وحدهم بينما العذاب الطبيعى كالوباء و الزلزال و المجاعه لا يميز المؤمن من الكافر.

وَ لَمّا جاءَ أَمْرُنا نَجَّيْنا هُوداً وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَهٍ مِنّا وَ نَجَّيْناهُمْ مِنْ عَذابٍ غَلِيظٍ هو ذلك العـذاب الثقيل المتراكم الذى أخذ الكفار.

[۵۹]لماذا عـذّب اللّه عادا بـذلك العـذاب الغليظ؟لأنّهم بعد ان عرفوا آيات اللّه جحدوا بها،و بعد ان عرفوا رسولهم الذى أرسـل إليهم للطاعه عصوه،و اتبعوا امر كل جبار عنيد يتصف باسـتخدام العنف ضد الناس.فهو ديكتاتور مستبد برأيه،لا يحكم بالشورى و لا يتبع الهدى.

وَ تِلْكَ عادٌ جَحَدُوا بِآياتِ رَبِّهِمْ وَ عَصَوْا رُسُلَهُ وَ اتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبّارٍ عَنِيدٍ [۶۰]و لانحرافهم الفكرى و لانحرافهم السياسـى و الاجتماعى لحقتهم لعنه الأبد،و أبعدوا عن رحمه اللّه فعذبوا فى الدنيا و الآخره.كل ذلك لكفرهم باللّه و برسول اللّه هود.

وَ أُتْبِعُوا فِي هٰذِهِ الدُّنْيا لَعْنَهً وَ يَوْمَ الْقِيامَهِ أَلا إِنَّ عاداً كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْداً لِعادٍ قَوْمِ هُودٍ

ص:۷۹

[سوره هود (۱۱): الآیات ۶۱ الی ۶۴]

اشاره

وَ إِلیٰ ثَمُودَ أَخٰاهُمْ صٰالِحاً قٰالَ یٰا قَوْمِ اُعْبُدُوا اَللّٰهَ مٰا لَکُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَیْرُهُ هُوَ أَنْشَأَکُمْ مِنَ اَلْأَرْضِ وَ اِسْتَعْمَرَکُمْ فِیهٰا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا
إِلَیْهِ إِنَّ رَبِّی قَرِیبٌ مُجِیبٌ (۶۱) قٰالُوا یٰا صٰالِحُ قَدْ کُنْتَ فِینٰا مَرْجُوًّا قَبْلَ هٰذٰا أَ تَنْهٰانٰا أَنْ نَعْبُدَ مٰا یَعْبُدُ آبٰاؤُنٰا وَ إِنَّنٰا لَفِی شَکٍّ مِمّٰا
تَدْعُونٰا إِلَیْهِ مُرِیبٍ (۶۲) قٰالَ یٰا قَوْمِ أَ رَأَیْتُمْ إِنْ کُنْتُ عَلیٰ بَیِّنَةٍ مِنْ رَبِّی وَ آتٰانِی مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ یَنْصُرُنِی مِنَ اَللّٰهِ إِنْ عَصَیْتُهُ فَمٰا
تَزِیدُونَنِی غَیْرَ تَخْسِیرٍ (۶۳) وَ یٰا قَوْمِ هٰذِهِ نٰاقَةُ اَللّٰهِ لَکُمْ آیَةً فَذَرُوهٰا تَأْکُلْ فِی أَرْضِ اَللّٰهِ وَ لاٰ تَمَسُّوهٰا بِسُوءٍ فَیَأْخُذَکُمْ عَذٰابٌ قَرِیبٌ
(۶۴)

اللغه

۶۲[مرجوا]:رجی و ترجی أی أمّل.

۶۳[تخسیر]:خسران.

ص:۸۰

صالح ينذر قومه

هدى من الآيات:

أهلكت عاد،و بنت ثمود مدينتها فبعث اللّه إليهم واحدا منهم(صالحا) و دعاهم الى توحيد اللّه و نبذ الشركاء من دونه،و بين لهم ان مدينتهم ليست من عمل الشركاء بل من نعم اللّه،فهو الذى انشأهم و استعمرهم فى الأرض،و ان عليهم ان يستغفروه،و يصلحوا أخطاءهم الماضيه،و ان يتوبوا اليه فيعملوا فى المستقبل بهداه فانه قريب يسمع استغفارهم،و مجيب يحقق طلباتهم،و لكنهم رفضوا رساله صالح لا ـ لأنهم شكوا فيه و فى أمانته و أخلاقه،و لا لأنهم لم يفقهوا ابعاد الرساله،بل لأنهم تعصبوا لآبائهم،و قال صالح:انه على بينه واضحه،و ان اللّه سبحانه قد منح له فضلا منه و رحمه فهو لا يترك ربه ليسمع كلام قومه الذين لا يزيدونه غير خساره و ضرر.و حين طالب قومه بآيه قال لهم:هذه ناقه اللّه.أنها آيه لكم فاتركوها تأكل فى ارض اللّه و لا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب.

هكذا كانت رساله صالح الى ثمود على نهج رسالات اللّه الى قوم نوح و عاد،

ص:٨١

داعیه الی توحید اللّه،و کان جواب الجاهلین واحدا و هو التعصب للآباء و لأفکارهم الباطله،أما العاقبه فهی واحده،کما سیأتی فی الدرس القادم(إنشاء اللّه).

بینات من الآیات:

رکیزه الحضاره:

[۶۱]من میزان رسالات اللّه،انها تأتی بلغه الذین تهبط لهم،و علی ید واحد منهم لیکون أبلغ فی التأثیر،و ابعد عن العصبیه.

وَ إِلیٰ ثَمُودَ أَخٰاهُمْ صٰالِحاً یقال بان ثمود قوم عرب عاشوا فی القری بین الشام و المدینه.

قٰالَ یٰا قَوْمِ اعْبُدُوا اللّٰهَ مٰا لَکُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَیْرُهُ و نزلت هذه الکلمه علی رؤسهم کالصاعقه لأنها استهدفت تغییر مسار تفکیرهم،و منهج حیاتهم و قیم سلوکهم،و نظام مجتمعهم السیاسی و الاقتصادی.

عباده اللّه یعنی القبول بمناهجه و قیمه.عباده اللّه تعنی نبذ المسلّمات الثقافیه التی یؤلهها الناس،و یعتبرونها مقدّسه لا یحوم حولها ریب،و لا یقترب إلیها التفکیر،و لا یتناولها النقاش،تلک المقدسات الموجوده فی کتب الکهنه،و التی یحکم من یخالفها بالخروج عن المجتمع،و یجازی بأشد العقاب.

و عباده اللّه تعنی بالتالی رفض سلطه رؤساء العشائر و وجهاء البلد،و أصحاب الثروه و القوه،لذلک کانت ردود الفعل الاولیه لهذه الدعوه،هی الرفض المطلق خصوصا و ان المستکبرین و المفسدین یوهمون الناس أبدا بأن التقدم و الرفانه و الأمن و الازدهار و حتی الرزق الطبیعی الذی یوفر لهم کل ذلک جاء نتیجه الکیان

الاجتماعی و الثقافی،و النظام السیاسی و الاقتصادی الذی یشرفون علی تسییره،فلو تزلزل الکیان و انهدم النظام فان کل الخیرات مهدده بالزوال هی الأخری.لذلک ذکرهم رسولهم صالح علیه السلام بأن الخیرات إنما هی من اللّه الذی انشأهم،و جعلهم قادرین علی عماره الأرض.

هُوَ أَنْشَأَکُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَ اسْتَعْمَرَکُمْ فِیهٰا فاللّه هو الذی أودع فی البشر الطموح و أعطاه القدره،و طوع له ما فی الأرض، و تلک هی شروط عماره الأرض و بناء المدینه،و لیس النظام الفاسد سوی سارق لخیرات الناس،و هاد لهم الی الهلکه.و لولا رفض الناس للنظام الفاسد،و عودتهم الی الطریق المستقیم فان المدینه مهدده بالفناء.

فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَیْهِ إِنَّ رَبِّی قَرِیبٌ مُجِیبٌ فمن أسماء اللّه الحسنی،و کذلک من نعمه الکبری هی انه سبحانه و تعالی فتح امام الناس باب الاستغفار و التوبه،و اعطی الناس القدره علی تصحیح مسیرتهم الضاله،و تطهیر آثار الماضی الفاسد،کما أعطاهم الفرصه لفتح صفحه جدیده مع اللّه،و مع سنن اللّه،و لنا فی هذه الآیه وقفتان للتدبر:

الاولی:ان ما فی عالم الیوم من مدنیه مزدهره،لیست بسبب الأنظمه الجاهلیه الحاکمه هنا و هناک،فلیست الرأسمالیه المادیه،و لا الاشتراکیه الجاهلیه هما سبب تقدم امریکا و أوروبا و الیابان من جهه،و روسیا و أوربا الشرقیه من جهه ثانیه، و لقد رأینا کیف ان بلدانا کثیره فی العالم الثالث ازدادت تخلفا لما قلدت الغرب فی مادیتها الرأسمالیه،أو الشرق فی جاهلیتها الشیوعیه أو الاشتراکیه،فمصر عبد الناصر لم یزدها تقلیدها للشرق إلاّ سوء،و کذلک مصر فاروق و أنور السادات، ما ازدادت بالرأسماله إلاّ سوء،و السبب:أن التقدم لم یکن بسبب النظام

المـادی و لاـ حتی بسب فصل الـدین عن السـیاسه،أو الانفصال عن الجـذور التاریخیه مثل ما فعلته ترکیا اتاتورک،و انما السـبب وراء المـدنیه و التقدم هو السـعی من أجل عماره الأرض عبر الالتزام بسـنن اللّه الصالحه،کالعمل و الاجتهاد و التعاون و التطلع،و ما دامت هذه الشـعوب ملتزمه بهذه السـنن فهی تحافظ علی مکاسبها، و حین تنحرف و تعوض عن السعی بالفخر،و عن الاجتهاد بـالغرور،و عن التعـاون و التطلع بالمفـاخره و الاسـتغلال،فانهـا مهـدده بفقـدان مکاسـبها،و هـذه الحقیقه تـدعونا الی الإعتقاد بأن الأنظمه المادیه،و العادات الجاهلیه السائده علی الشـعوب المتقدمه سوف تضـیع مکاسـبها و تفسد مدنیتها،و ان بدایه الضـیاع هو تجییر جهود الناس و مساعیهم لمصلحه فئه الأغنیاء المتسلطین فی الغرب،أو حزب المستکبرین الحاکم فی الشرق.

الثانیه:ان الحضارات البشریه تبدأ بتطبیق سنن اللّه فی تسخیر الحیاه کالسعی و التعاون و لکنها تنسی دور هذه السنن فی تقدمها،و تتوجه الی الأصـنام و تزعم انها هی واهبه التقدم و الرفاه، و هذا الانحراف عاده بشریه تکاد تکون سنن ثابته لولا حریه البشر التی تتحـداها،و لولا رساله اللّه التی تـذکر البشـر بهذه الحریه،و من هنا لا یعترف الإسـلام بحتمیه الانهیار فی الحضارات،بل یضع لها فرصه الاسـتمرار عن طریق إصـلاح نفسـها،و التوبه الی سـنن اللّه،و هـذا مـا تشـیر الیه هـذه الآیه التی تعطی المزیـد من الأمل فی الاسـتمرار فی نهایتها و تقول:إن اللّه قریب مجیب،أیّ ان إصلاح الفاسد،و تجدید الحضارات(بالاستغفار و التوبه)أیسر مما یزعم البشر.

ضلاله الآباء أم هدی الرساله:

[۶۲]و کان قوم صالـح غارقین فی الماضـی یعتزون بامجادهم الغابره،و یقلـدون آباءهم،و لـذلک عادوا صالحا بالرغم من ثقتهم بشخصه.

ص:۸۴

قالُوا يا صالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينا مَرْجُوًّا قَبْلَ هٰذٰا أَ تَنْهٰانٰا أَنْ نَعْبُدَ مٰا يَعْبُدُ آبٰاؤُنٰا و لقدسيه الماضى فى أعينهم ارتابوا فى الرساله سلفا و من دون تفكر،و قالوا:

وَ إِنَّنٰا لَفِي شَكٍّ مِمّٰا تَدْعُونٰا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ربما تشير الآيه الى ان قوم صالح لم يكتفوا بالشک فيه،بل اتهموه بالباطل ردا على تجهيل آبائهم،و رميهم بالضلاله.

[۶۳]و دافع صالح عن نفسه،و بين سبب استقامته على هدى الرساله رغم ضغوطهم،و ضرب لهم مثلا بعمله هذا،لكى يقاوموا ضغط الماضى، و يتحرروا من قيوده،فبين انه على سبيل واضح بينه له ربه،و قد انتهى به السير فى السبيل الى تحقيق مكاسب عمليه من الهدى و الطمأنينه و..و..و انه يخشى ربه ان عصاه، و أنهم لا يقدرون على تقديم العون له.

قٰالَ يٰا قَوْمِ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَ آتٰانِي مِنْهُ رَحْمَةً فلما ذا لا تشكون فى طريقتكم،و تفكرون بأن هذا الطريق قد يكون صحيحا؟! لا سيما و هناك خوف الضرر.

فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللّٰهِ إِنْ عَصَيْتُهُ ان البشر يفكر فى تغيير طريقته لو أحس بالخطر و خاف منه،و لذلک ينبه القرآن الى احتمال الخطر فى حاله عدم التفكير فى صدق الرساله.

فَمٰا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ

ص:۸۵

فبالإضافه الی احتمال الخطر،هناک احتمال الضرر و الخساره،و انعدام الربح و الکسب.

[۶۴]و کآخر محاوله لهدایتهم،و لقطع حجتهم،و بعد أن طالبوه بالآیه الواضحه،أخرج اللّه لهم ناقه،و قال لهم صالح علیه السلام :

وَ یا قَوْمِ هٰذِهِ نٰاقَهُ اللّٰهِ لَکُمْ آیَهً فَذَرُوهٰا تَأْکُلْ فِی أَرْضِ اللّٰهِ وَ لاٰ تَمَسُّوهٰا بِسُوءٍ فَیَأْخُذَکُمْ عَذٰابٌ قَرِیبٌ

ص:۸۶

[سوره هود (۱۱): الآیات ۶۵ الی ۶۸]

اشاره

فَعَقَرُوهٰا فَقٰالَ تَمَتَّعُوا فِی دٰارِکُمْ ثَلاٰثَهَ أَیّٰامٍ ذٰلِکَ وَعْدٌ غَیْرُ مَکْذُوبٍ (۶۵) فَلَمّٰا جٰاءَ أَمْرُنٰا نَجَّیْنٰا صٰالِحاً وَ اَلَّذِینَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَهٍ مِنّٰا وَ مِنْ خِزْیِ یَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّکَ هُوَ اَلْقَوِیُّ اَلْعَزِیزُ (۶۶) وَ أَخَذَ اَلَّذِینَ ظَلَمُوا اَلصَّیْحَهُ فَأَصْبَحُوا فِی دِیٰارِهِمْ جٰاثِمِینَ (۶۷) کَأَنْ لَمْ یَغْنَوْا فِیهٰا أَلاٰ إِنَّ ثَمُودَ کَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلاٰ بُعْداً لِثَمُودَ (۶۸)

ص:۸۷

الا بعدا لثمود

هدى من الآيات:

انتهى وضع ثمود بمواجهه الرساله و عقروا الناقه،و حانت ساعه الجزاء الشديد، حيث أمهلهم اللّه ثلاثه أيام فأتاهم وعد اللّه غير مكذوب،و نجى اللّه صالحا و الذين آمنوا معه نجاه نابعه من رحمته،و انقذهم من خزى ذلك اليوم المعيب،و تجلت صفتا القوه و العزه لربنا الجليل،فبقوته قدر على إهلاك الأعداء و نجاه المؤمنين،و بعزته فعل ذلك،و كان نوع العذاب صيحه أخذت الذين ظلموا فأصبحوا كأنهم هامدين فى ديارهم،و انتهى كل شىء،و لم يبق من ثمود اى اثر كأنهم لم يكونوا هنا،و لم يتمتعوا بالرفاه و ان ذلك كان جزاء كفرهم الذى سببه ابعادهم عن رحمه اللّه.

بينات من الآيات:

جزاء السكوت:

[۶۵]جاءت نهايه ثمود التى انحدروا إليها شيئا فشيئا بسبب استكبارهم عن الحق،و ذلك حينما عقروا الناقه الايه الإلهيه التى طالبوا بها،و التى لم تكن تضرهم

شیئا،بل كانت تنفعهم،و لم یعقر الناقه سوی أشقاهم و هو شخص واحد،إلا ان رضا الجمیع بفعله و سكوتهم عنه جعلهم شركاء فی الجریمه،و نسبت الخطیئه إلیهم جمیعا.

فَعَقَرُوهٰا فَقٰالَ تَمَتَّعُوا فِی دٰارِكُمْ ثَلاٰثَهَ أَیّٰامٍ ذٰلِكَ وَعْدٌ غَیْرُ مَكْذُوبٍ ان السلطه السیاسیه أو الاجتماعیه أو الاقتصادیه الفاسده هی التی بادرت بعقر الناقه فی جو من الاستسلام الساذج،و كانت تلك النتیجه الطبیعیه للجمود و التقلید و الاعتزاز بالمكاسب،و هكذا كان شأن الدیكتاتوریات عبر التاریخ،انها تنوم الناس علی انغام المكاسب الظاهره فتسلب منهم قدرتهم علی التفكیر السلیم بعدئذ تقوم باستغلالهم و استثمار طاقاتهم حسب ما تشاء،و توردهم المهالك من دون ای خوف من التمرد أو المقاومه.

[۶۶]و هكذا فعلت السلطات المستكبره بقوم ثمود،و لكن ثمود هی التی فعلت بنفسها هذه الجریمه حین سكتت فی أول الأمر عن تلك السلطات.ان الرضا بالدیكتاتوریه هی الخطوه الأولی الی المجزره،لان الدیكتاتوریه تسلب أعز شیء عند الإنسان هو عقله و تفكیره...فیكون ضررها أكبر من نفعها مهما كان نفعها كبیرا.

لذلك جاء الأمر الالهی الحاسم.

فَلَمّٰا جٰاءَ أَمْرُنٰا نَجَّیْنٰا صٰالِحاً وَ الَّذِینَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَهٍ مِنّٰا وَ مِنْ خِزْیِ یَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِیُّ الْعَزِیزُ العزه هی مظهر القوه فی الحقل الاجتماعی،و اللّه لا یدع قیم الحق قائمه فی النفوس و العقول و بین اضلع الكتب و الخطب،بل یجسدها فی ضمیر الواقع فاذا بالظلم یتحول إلی ظلمات،و الجریمه الی عقاب،و الفساد الی خراب.

[۶۷]و إذا بالسكوت عن الظلم،و الرضا بالجريمه،و الاستسلام أمام الفساد يتحول كل ذلك الى صيحه مدمره.هى صيحه الحق الذى سكتوا عنه،و هى عقاب الجريمه التى رضوا بها،و هى نهايه الفساد الذى استسلموا له.

وَ أَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَهُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيارِهِمْ جاثِمِينَ لقد كانت الصيحه فى لحظه واحده بحيث اسكتت حناجر الساكتين عن الظلم، و اهمدت حركه المغرورين بمكاسبهم،و جعلتهم يسقطون على وجوههم(فى حاله الجثوم)تلك الوجوه التى استكبرت عن قبول الحق.

[۶۸]اين تلك الديار التى تمتعوا بها و أقاموا دهرا فيها؟!اين الصخب و الحركه،و اين العماره و الأثاث؟!لقد شمل التخريب الساحق كل زاويه من زوايا ديارهم،و كأنها كانت خاليه من السكان...

كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيها اى لم يقيموا فيها.

أَلا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْداً لِثَمُودَ لقد كفروا بعباده اللّه و برسالته،و برسول اللّه الذى بعث ليطاع باذنه،و لكن كفرهم هذا كان-فى الواقع-متوجها مباشره الى ربهم جل جلاله،و هذه هى الحقيقه الكبرى التى ينساها أو يتجاهلها البشر فيفصل بين اللّه و رسالاته،و يريد ان يكفر بالرسالات كفرا عمليا و يحتفظ بإيمانه باللّه،و هذا هو التناقض البعيد و المستحيل.

ان ثمود بعدت عن رحمه اللّه،و عن الذكر الحسن،و عن ثواب الآخره بسبب محاولتها الفصل بين اللّه و رسوله.فهل نكرر التجربه؟!

ص:۹۰

[سوره هود (۱۱): الآیات ۶۹ الی ۷۳]

اشاره

وَ لَقَدْ جاءَتْ رُسُلُنا إِبْراهِيمَ بِالْبُشْرى قالُوا سَلاماً قالَ سَلامٌ فَما لَبِثَ أَنْ جاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ (۶۹) فَلَمّا رَأى أَيْدِيَهُمْ لا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَ أَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قالُوا لا تَخَفْ إِنّا أُرْسِلْنا إِلى قَوْمِ لُوطٍ (۷۰) وَ امْرَأَتُهُ قائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْناها بِإِسْحاقَ وَ مِنْ وَراءِ إِسْحاقَ يَعْقُوبَ (۷۱) قالَتْ يا وَيْلَتى أَ أَلِدُ وَ أَنَا عَجُوزٌ وَ هذا بَعْلِي شَيْخاً إِنَّ هذا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ (۷۲) قالُوا أَ تَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اَللّهِ رَحْمَتُ اَللّهِ وَ بَرَكاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ اَلْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ (۷۳)

اللغه

۷۰[أوجس]:الإیجاس الاحساس و أوجس،و یقال أوجس خوفا أی أضمر.

[خیفه]:خوفا.

۷۲[بعلی]:البعل الزوج و أصله القائم بالأمر.

ص:۹۱

أَ تَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ

هدى من الآيات:

يتابع السياق القرآنی قصه الرساله فی عهد إبراهيم عليه السلام ،و يلخص قصته التی تتصل بقوم لوط.و يبدأ الحديث بجو السلام و البشاره التی يختلط بها الخوف،لقد جاءت رسل اللّه و ملائكته الی إبراهيم عليه السلام يزفون اليه البشری بأبنائه-الذين كانوا يشكلون امتدادا لخطه-،و هلاكا لأعدائه.

فجاء إليهم إبراهيم بالطعام و كان عجلا مشويا،و لكنهم لم يلامسوه فتوجس منهم خيفه،و أثير عنده سؤال:لماذا لا يأكلون؟!فطمأنوه و قالوا:اننا رسل اللّه و قد أرسلنا الی قوم لوط،و بينما كانت امرأته قائمه تصلی أو تقوم بخدمه الضيوف ضحكت تعجبا و فرحا بهلاك قوم لوط فبشرها اللّه بإسحاق و من بعده يعقوب،و لم تتمالك من شده التعجب فصاحت:كيف ألد و انا عجوز و بعلی شيخ طاعن فی السن؟!فردّ عليها الرسل قائلين:لماذا تعجبين من امر اللّه.ان رحمه اللّه و بركاته عليكم أهل البيت لان اللّه يفعل ما يحمد عليه و هو رفيع المقام سبحانه؟!

ص:٩٢

هکذا مهد اللّه لقصه أصحاب لوط الذین کانت رساله إبراهیم علیه السلام -نازله لهم أیضا-.

بینات من الآیات:

إبراهیم و البشارات الثلاث:

[۶۹]ظل إبراهیم یقاوم و یقاوم.و لم یرق الی قلبه السامی الیأس أو الشک، و حانت الآن ساعه البشاره المنتظره.لقد أرسل اللّه الیه رسله بصوره رجال حسان الوجوه تعظیما له و تکریما لجهاده الطویل،فجاءوا یبشرونه:

أولا:بان اللّه اذن له بالنصر.

ثانیا:بان أعداء الرساله سیهلکون،الا و هم قوم لوط الذین بعث اللّه إلیهم أول المؤمنین برساله إبراهیم.

ثالثا:بأن اللّه سوف یرزقه-بعد طول المعاناه و الیأس-أولادا یتابعون دربه...

وَ لَقَدْ جٰاءَتْ رُسُلُنٰا إِبْرٰاهِیمَ بِالْبُشْریٰ قٰالُوا سَلاٰماً قٰالَ سَلاٰمٌ تبادل رسل اللّه أول ما تلاقوا مع إبراهیم علیه السلام و ربما کانوا الوحیدین من ضیوف إبراهیم الذین اخرجوا الشیخ الذی أکلت سنون النضال عمره المبارک من غربته الروحیه فی رحم الصحراء.لذلک بادر إبراهیم بإحضار الطعام السمین إلیهم و هو عجل مشوی.

فَمٰا لَبِثَ أَنْ جٰاءَ بِعِجْلٍ حَنِیذٍ العجل ولد البقره و الحنیذ المشوی.

[۷۰]و انتظر إبراهیم ضیوفه لیأکلوا أو حتی لیبادروا الی التهام العجل الحنیذ علی عاده الراحلین عبر الصحراء،و لکنهم لم یفعلوا،فأنکرهم کیف لا یأکلون؟! و خاف منهم لأن الضیف الذی لا یأکل یضمر الشر،و لکنهم سرعان ما بددوا خوفه الذی أحس به،و اظهروه علی حقیقه الأمر،و أعلنوا مهمتهم و هی بشارته بهلاک قوم لوط بعد طول عنادهم.

فَلَمّٰا رَأیٰ أَیْدِیَهُمْ لاٰ تَصِلُ إِلَیْهِ نَکِرَهُمْ وَ أَوْجَسَ مِنْهُمْ خِیفَهً قٰالُوا لاٰ تَخَفْ إِنّٰا أُرْسِلْنٰا إِلیٰ قَوْمِ لُوطٍ [۷۱]و ظهرت فی الصوره المرأه الصبوره التی رافقت زوجها إبراهیم فی جهاده الطویل و هی ساره بنت هارون ابنه عم إبراهیم،و زوجته و رفیقه دربه،فاذا بها تضحک من بشاره الرسل و هی قائمه تصلی،أو تخدم الضیوف.

وَ امْرَأَتُهُ قٰائِمَهٌ فَضَحِکَتْ و هنا بادر الرسل بإطلاق البشاره الثانیه و الأعجب حیث بشروها بانجاب الأولاد...

فَبَشَّرْنٰاهٰا بِإِسْحٰاقَ وَ مِنْ وَرٰاءِ إِسْحٰاقَ یَعْقُوبَ [۷۲]و تعجبت کیف تلد و هی عجوز و زوجها شیخ طاعن فی السن.

قٰالَتْ یٰا وَیْلَتیٰ أَ أَلِدُ وَ أَنَا عَجُوزٌ وَ هٰذٰا بَعْلِی شَیْخاً إِنَّ هٰذٰا لَشَیْءٌ عَجِیبٌ [۷۳]و عاد الرسل یبشرونهم بثالثه البشارات و أعظمها و هی مرضاه اللّه التی تتجسد فی الرفاه و الخیر و الرحمه من اللّه،و فی الانتشار و التقدم و التعامل،و بالتالی البرکات من جهه ثانیه،لأنهم أهل بیت الجهاد و الایمان و لأن اللّه حمید مجید.

قَالُوا أَ تَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ رَحْمَتُ اللّهِ وَ بَرَكَاتُهُ عَلَيْكَمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ان ربنا يحمده الناس بكرمه و فضله الواسع.

ص:٩٥

[سوره هود (۱۱): الآيات ۷۴ الى ۸۳]

اشاره

فَلَمّا ذَهَبَ عَنْ إِبْراهِيمَ اَلرَّوْعُ وَ جاءَتْهُ اَلْبُشْرى يُجادِلُنا فِي قَوْمِ لُوطٍ (۷۴) إِنَّ إِبْراهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوّاهٌ مُنِيبٌ (۷۵) يا إِبْراهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هٰذا إِنَّهُ قَدْ جاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَ إِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ (۷۶) وَ لَمّا جاءَتْ رُسُلُنا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ وَ ضاقَ بِهِمْ ذَرْعاً وَ قالَ هٰذا يَوْمٌ عَصِيبٌ (۷۷) وَ جاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَ مِنْ قَبْلُ كانُوا يَعْمَلُونَ اَلسَّيِّئاتِ قالَ يا قَوْمِ هٰؤُلاءِ بَناتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اَللّٰهَ وَ لا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَ لَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ (۷۸) قالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ ما لَنا فِي بَناتِكَ مِنْ حَقٍّ وَ إِنَّكَ لَتَعْلَمُ ما نُرِيدُ (۷۹) قالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ (۸۰) قالُوا يا لُوطُ إِنّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اَللَّيْلِ وَ لا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ اِمْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُها ما أَصابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ اَلصُّبْحُ أَ لَيْسَ اَلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ (۸۱) فَلَمّا جاءَ أَمْرُنا جَعَلْنا عالِيَها سافِلَها وَ أَمْطَرْنا عَلَيْها حِجارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ (۸۲) مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَ ما هِيَ مِنَ اَلظّالِمِينَ بِبَعِيدٍ (۸۳)

اللغه

۷۴[الرّوع]:الافزاع،و يقال راعه يروعه إذا أفزعه،و ارتاع ارتياعا إذا خاف، و الرّوع بضم الراء النفس يقال ألقى فى روعى فى نفسى،و سميت بذلك لأنها موضع الروع.

۷۵[آواه]:كثير الدعاء.

[منيب]:راجع الى اللّه سبحانه فى جميع أموره.

۷۷[سىء بهم]:ساءه مجيئهم.

[ذرعا]:طاقه و وسعا.

[عصيب]:الشديد فى الشر،و أصله من الشر يقال عصبت الشىء أى شددته.

ص:۹۶

۸۰[ركن]:الركن معتمد البناء بعد الأساس.

[شديد]:الشده تجمّع يصعب معه التفكك.

۸۱[بقطع]:القطع القطعه العظيمه تمضى من الليل،و قيل نصف الليل كأنه قطع نصفين.

۸۲[سجيل]:الحجاره الشديده.

[منضود]:متتابع فى الإرسال أى بعضه يلاحق بعضا،و المنضود من نضدت الشىء بعضه على بعض.

۸۳[مسومه]:المسومه من السيماء و هى العلامه.

جعلنا عاليها سافلها

هدى من الآيات:

و بعد ان ذهب عن إبراهيم الروع بسبب خوفه من الملائكه المرسلين.و استلم منهم البشرى.هنالك أخذ يتضرع الى اللّه لنجاه قوم لوط.حقا كان إبراهيم قمه فى الحلم.حيث لا يزال يرجو نجاه قومه.و قد اكتسب ذلك بعلاقته بربه العظيم.بيد ان اللّه أخبره ان أجل قوم لوط قد أتى.و ان لا مرد لعذاب اللّه.

فى الجانب الآخر من الصوره نجد لوطا عليه السلام يضيق ذرعا بالمرسلين،لعلمه بفساد قومه الذين أخذوا يهرعون إليه،استمرارا لعاداتهم السيئه.و طلب منهم لوط ان ينكحوا النساء اللاتى هن اطهر لهم من الشذوذ. و رجاهم بألا يتعرضوا لضيفه.

و انتخاهم و قال أ ليس فيكم رجل رشيد؟! فرفضوا.و عرف لوط الا ملجأ له الا اللّه ذا الركن السديد.هنالك كشف الرسل عن أنفسهم.و طمأنوه و أمروه بأن يترك المدينه ليلا.لأن ميعاد العذاب قريب عند

ص:۹۸

الصباح و هكذا جعل اللّه مدن قوم لوط عاليها سافلها و أمطر عليها حجاره من سجيل منضود.سجلت باسمهم.و كانت جزاء الظالمى.و هلكوا و بقيت منهم عبره للتاريخ.

بينات من الآيات:

[۷۴]حين سكنت نفسيه إبراهيم عليه السلام من المفاجآت،و بشّر بالنصر،عاد إليه حنانه المتدفق نحو إنقاذ الناس من الجاهليه،و أخذ يجادل ربه فى قوم لوط و يتضرع اليه ان يؤتوا فرصه اخرى للهدايه.

فَلَمّٰا ذَهَبَ عَنْ إِبْرٰاهِيمَ الرَّوْعُ وَ جٰاءَتْهُ الْبُشْرىٰ يُجٰادِلُنٰا فِى قَوْمِ لُوطٍ [۷۵]و يشهد جدل إبراهيم عليه السلام و دفاعه المستميت عن الناس على مدى اهتمام الرسل بالناس،و ان دعوتهم ليست من أجل مصالح ذاتيه،بل من أجل حبهم العميق للآخرين.

إِنَّ إِبْرٰاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوّٰاهٌ مُنِيبٌ فبحلمه العظيم صبر على أذى قومه،على أمل ان يهتدوا فى يوم من الأيام،و لا يزال ينتظر هدايتهم لا هلاكهم،و لأنه دائم التضرع الى اللّه،و قلبه متصل أبدا باللّه عن طريق المناجاه نراه يدعو اللّه لكى ينقذ قوم لوط،و يعطيهم فرصه اخرى للهدايه دون ان يعلم الغيب،و انه لا أمل فيهم أبدا،و لذلك فهو أواه،بيد انه يسلم للّه الأمر و ينيب الى ربّه و لا يجعل الدعاء إذا لم يستجب سببا لعدم رضاه من اللّه فهو إذا منيب.

[۷۶]و لأن إبراهيم منيب تجده يعود عن قراره بطلب الخلاص لقوم لوط،و ذلك

حین قال له ربه:

یَا إِبْرَاهِیمُ أَعْرِضْ عَنْ هٰذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّکَ وَ إِنَّهُمْ آتِیهِمْ عَذَابٌ غَیْرُ مَرْدُودٍ فما دام الأمر لم یصبح جدیا و محتما یجوز ان یسعی الفرد لتغییره،بالعمل أو بالدعاء،و أما إذا قضی اللّه أمرا فلا یمکن تغییره.

فی ضیافه لوط علیه السلام :

[۷۷]و انتقل رسل اللّه من عند إبراهیم علیه السلام الی بیت لوط علیه السلام ،و حدثت هناک المفاجأه الثانیه حیث ضاقت الأزمه لتنفرج،و اشتدت لتحل.

وَ لَمّٰا جٰاءَتْ رُسُلُنٰا لُوطاً سِیءَ بِهِمْ وَ ضٰاقَ بِهِمْ ذَرْعاً وَ قٰالَ هٰذٰا یَوْمٌ عَصِیبٌ ان لوطا علیه السلام حسب ان هؤلاء الرسل الذین جاؤوا إلیه فی صوره فتیه حسان الوجوه،حسبهم انهم ضیوفه و کان قومه یفعلون الفاحشه بالضیوف،لذلک استاء منهم و ضاق ذرعا بحضورهم،و رأی ان ذلک الیوم شدید علیه،و انه لا حیله له فی عمل شیء أبدا،لأنه وحید بین قوم طغاه لا یؤمنون بدین،و لا یدینون بشرف.

[۷۸]و لما رأی قومه الفتیه أسرعوا الی بیت لوط علیه السلام لیفعلوا ما اعتادوا علیه من الفاحشه،و دعاهم لوط علیه السلام الی ترک الشذوذ الجنسی و العوده الی سنه اللّه فی الحیاه بالزواج من البنات.

وَ جٰاءَهُ قَوْمُهُ یُهْرَعُونَ إِلَیْهِ أی یسرعون الی بیته.

ص:۱۰۰

وَ مِنْ قَبْلُ كٰانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئٰاتِ قٰالَ يٰا قَوْمِ هٰؤُلاٰءِ بَنٰاتِی هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ قالوا:بأن لوطا عليه السلام طالبهم بزواج البنات من أمته و هن بناته بالأبوه الروحيه و الرساليه،كما قالوا:بأنه عرض عليهم بناته ليتزوجوا منهن،و كان ذلك العرض السخی من أجل نهيهم عن المنكر،بای وسيله ممكنه.

فَاتَّقُوا اللّٰهَ و هكذا أمرهم بتقوى اللّه،و ترك العاده السيئه،بعد ان أوضح لهم الطريق السوى لإشباع الشهوه الجنسيه،و طالبهم لوط برعايه الشرف.

وَ لاٰ تُخْزُونِ فِی ضَيْفِی فان لم يكن لكم دين فلا أقل من التمسك بالعرف الذی ينكر طبيعيا اغتصاب الضيوف.

أَ لَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ [٧٩]و كان جواب قومه بالغا فی الميوعه و الرعونه.

قٰالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مٰا لَنٰا فِی بَنٰاتِكَ مِنْ حَقٍّ أی فيما يتصل بقضيه البنات،لا بد أن نتزوجهن و الزواج حق نعمل به و نمشی على هداه،أما الآن فنحن نريد تلك اللذه التی لا توجب علينا تكاليف و مسئوليات.

وَ إِنَّكَ لَتَعْلَمُ مٰا نُرِيدُ

ص:١٠١

ربما كان قوم لوط قد استصعبوا قوانين الزواج على أنفسهم،مما دفعهم إلى إشباع الغريزه بالشذوذ،و ربما كان لوط يدعوهم الى التخفيف من قيود الزواج مما قد يدل عليه قوله عليه السلام:(هؤلاء بناتی)و قولهم:(مٰا لَنٰا فِی بَنٰاتِکَ مِنْ حَقٍّ).

[۸۰]و قطع لوط أمله منهم،و استبد به اليأس من كل شیء،و قال بكلمات تتفجر أسی.

قٰالَ لَوْ أَنَّ لِی بِکُمْ قُوَّةً أَوْ آوِی إِلیٰ رُکْنٍ شَدِیدٍ تمنی لو كانت لديه قوه قادره على مواجهتهم،أو كانت لديه عشيره تمنعه منهم.

أ ليس الصبح بقريب:

[۸۱]هكذا اشتدت الازمه و ضاقت عليه المشكله،و عندها ترجی رحمه اللّه، و هكذا أظهر الضيوف الذين حاول الجاهليون الاعتداء الخلقی عليهم،أظهروا واقعهم و بيّنوا أنهم ملائكه اللّه.

قٰالُوا یٰا لُوطُ إِنّٰا رُسُلُ رَبِّکَ لَنْ یَصِلُوا إِلَیْکَ و جاءت الأوامر متلاحقه صارمه:

ألف: فَأَسْرِ بِأَهْلِکَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّیْلِ بعد أن يسدل الليل ستاره و يذهب ردح منه و تهجع العيون،و تأوی النفوس الى مضاجعها.

باء: وَ لاٰ یَلْتَفِتْ مِنْکُمْ أَحَدٌ إِلاَّ امْرَأَتَکَ إِنَّهُ مُصِیبُهٰا مٰا أَصٰابَهُمْ لا ينظر الى ما وراءه ليعرف كيف سيكون حال قومه،بل يبقى منفصلا عنهم

نفسيا لكى لا يشاركهم العذاب،و لذلك أصاب امرأه لوط ما أصابهم من العذاب بسبب انتمائها النفسى و القلبى إليهم.

ثم جاء الأمر الالهى الصارم على لسان الملائكه.

إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَ لَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ [۸۲]ماذا صنع اللّه بقوم لوط؟ لم يفعل بهم إلاّ ما فعلوه بأنفسهم.انهم غيروا سنن اللّه،و حولوها عن وضعها العادى فاذا بهم يأتون الرجال شهوه من دون النساء،فقلب اللّه مدينتهم على رؤوسهم تنكيلا.

فَلَمّٰا جٰاءَ أَمْرُنٰا جَعَلْنٰا عٰالِيَهٰا سٰافِلَهٰا و انهم لم يقبلوا وصايا اللّه،و مواعظ الأنبياء التى تستمطر الرحمه،فاذا بهم يتعرضون لعذاب اللّه الشديد يمطر عليهم من السماء بدل البركات.

وَ أَمْطَرْنٰا عَلَيْهٰا حِجٰارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ ربما يكون معناه الحمم المتلاحقه و كأنها منضوده بما يشبه حجاره البراكين المتفجره،و اللّه أعلم.

[۸۳]و قد قدر اللّه تلك الحجاره لمثل هذه الطائفه المنحرفه،و كأنها قد وضعت عليها علائم خاصه تقول هذه لهؤلاء.

مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَ مٰا هِيَ مِنَ الظّٰالِمِينَ بِبَعِيدٍ

ص:۱۰۳

[سوره هود (۱۱): الآیات ۸۴ الی ۸۷]

اشاره

وَ إِلیٰ مَدْیَنَ أَخٰاهُمْ شُعَیْباً قٰالَ یٰا قَوْمِ اُعْبُدُوا اَللّٰهَ مٰا لَکُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَیْرُهُ وَ لاٰ تَنْقُصُوا اَلْمِکْیٰالَ وَ اَلْمِیزٰانَ إِنِّی أَرٰاکُمْ بِخَیْرٍ وَ إِنِّی أَخٰافُ
عَلَیْکُمْ عَذٰابَ یَوْمٍ مُحِیطٍ (۸۴) وَ یٰا قَوْمِ أَوْفُوا اَلْمِکْیٰالَ وَ اَلْمِیزٰانَ بِالْقِسْطِ وَ لاٰ تَبْخَسُوا اَلنّٰاسَ أَشْیٰاءَهُمْ وَ لاٰ تَعْثَوْا فِی اَلْأَرْضِ
مُفْسِدِینَ (۸۵) بَقِیَّتُ اَللّٰهِ خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ مُؤْمِنِینَ وَ مٰا أَنَا عَلَیْکُمْ بِحَفِیظٍ (۸۶) قٰالُوا یٰا شُعَیْبُ أَ صَلاٰتُکَ تَأْمُرُکَ أَنْ نَتْرُکَ مٰا
یَعْبُدُ آبٰاؤُنٰا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِی أَمْوٰالِنٰا مٰا نَشٰؤُا إِنَّکَ لَأَنْتَ اَلْحَلِیمُ اَلرَّشِیدُ (۸۷)

ص:۱۰۴

شعیب:أوفوا المکیال و المیزان

هدی من الآیات:

فی سیاق حدیث القرآن الکریم عن الشعوب الضاله.یذکرنا بمصیر مدین قوم شعیب الذین ابتلوا بالفساد الاقتصادی،فأخذوا ینقصون المکیال و المیزان فنهاهم شعیب عن ذلک بعد ان أمرهم بعباده اللّه و اتباع مناهجه فی الحیاه الاقتصادیه، و حذّرهم من أن الرفاه قد یزول بسبب ظلمهم،و یحیط بهم عذاب اللّه،کما نهاهم عن الفساد و أمرهم بالقسط،و ذکرهم بأن علیهم الانتفاع بهدی اللّه و رسالته و ذلک خیر لهم.و أکدّ بأنه لیس سوی مبلّغ للرساله،و لیس وکیلا عنهم.بید انهم رفضوا قبول دعوته بالرغم من قبولهم لشخصه،فبعد ان اعترفوا بأنه صاحب دین و التزام بالشعائر،و أنه حلیم رشید لم یقبلوا بأن یتدخل فی شؤونهم و یأمرهم بترک عباده ما کان یعبده آباؤهم،أو تحدید حریتهم فی أمور الاقتصاد.

بینات من الآیات:

اشاره

[۸۴]فی طرف الجزیره العربیه کانت مساکن مدین تلک القبیله التی وسّع

عليها اللّه الرزق فبطروا،و أخذ بعضهم يظلم بعضا،و يحاول البعض الانقاص من البعض.و ان يفسد ما فى الأرض.

فجاء شعيب رسولا من قبل اللّه إليهم و أمرهم بعباده اللّه،و تنفيذ تعاليم السماء،و نهاهم عن عباده ذواتهم،أو عباده الثروه الزائله،كما نهاهم عن الانقاص فى المكيال و الميزان لأنه نوع من الظلم و العلاقه الفاسده بين أبناء البشر و التى سوف تؤدى الى زوال الخير،و حذرهم من يوم يحيط بهم عذابه فلن يجدوا مفرا منه.

وَ إِلىٰ مَدْيَنَ أَخٰاهُمْ شُعَيْباً قٰالَ يٰا قَوْمِ اعْبُدُوا اللّٰهَ مٰا لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ ربما كانت مدين كغيرهم من الشعوب الجاهليه،تدّعى الايمان باللّه ظاهرا، و لكنهم لا يطبقون واقعا رساله اللّه.فلذلك أمرهم شعيب بعباده اللّه و تحكيم سيادته التشريعيه على واقعهم الاجتماعى،دون أن يكتفوا بترداد اسمه سبحانه،بينما يتخذون آلهه أخرى للعباده،كالكهنه و الطغاه و الاشراف و أصحاب المال.

وَ لاٰ تَنْقُصُوا الْمِكْيٰالَ وَ الْمِيزٰانَ إِنِّي أَرٰاكُمْ بِخَيْرٍ أى إنى أجد حياتكم الماديه مرفهه،و لكن هذه الحياه قد تزول فى أيه لحظه بسبب الظلم الاجتماعى الذى تمارسونه.

وَ إِنِّي أَخٰافُ عَلَيْكُمْ عَذٰابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ

عوامل الانهيار:

[٨٥]و أمرهم شعيب بأن يوقفوا رحله الانهيار التى بدأت فى حضارتهم المزدهره عبر ثلاث ثغرات هامه وجدت فيهم و هى:

أولا:الاستهانه بالمقاييس الاقتصاديه التى كانت موضع ثقه الجميع كالمكيال و الميزان فاذا بخسوا فيهما فان النظام الاجتماعى ذاته يصبح مهددا بالزوال.إذ ان النظام يقوم على أساس الثقه و التوافق الاجتماعى عليه،و لا ثقه و لا توافق مع الاحتيال على المقاييس و القيم التى يجب ان تكون ثابته و معتمد عليها.

ثانيا:تبديل العلاقه الاجتماعيه السابقه التى كانت تعتمد على احترام حقوق الآخرين،و التنافس البنّاء من أجل الحصول على خيرات الأرض بتعاون الجميع و ثقتهم ببعضهم،و لكنهم بدّلوا ذلك بعلاقه الصراع و محاوله كلّ فرد أو كلّ جبهه أو جماعه السطو على حقوق الآخرين،مما يهدد محور المجتمع،و أساس المدنيه.

ثالثا:تبديل علاقه الإنسان بالطبيعه من علاقه الإصلاح و التعمير و البناء، و الانتفاع المعقول الى علاقه الإفساد و الهدم،و الإسراف فى الانتفاع أو الشذوذ فيه.

هكذا جاءت رساله اللّه لأهل مدين على يد شعيب فى لحظه التحول.حيث كانوا أحوج شيء الى الهدايه.فقال لهم شعيب عليه السلام :

وَ يٰا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيٰالَ وَ الْمِيزٰانَ بِالْقِسْطِ أى احترموا المكيال و الميزان،و ليكن كيلكم و وزنكم بالعدل التام.

وَ لاٰ تَبْخَسُوا النّٰاسَ أَشْيٰاءَهُمْ سواء كانت ماديه أو معنويه،و ليكن همّكم أداء حقوق الآخرين و احترامهم، و الاعتراف بمنزلتهم و كرامتهم دون أى نقص فى ذلك.

وَ لاٰ تَعْثَوْا فِى الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ

توجیه المستقبل:

[۸۶]و أضاف شعیب علیه السلام فی توجیهه لقومه الجاهلیین توجیها هاما یعتبر ضمانا لاستمرار الحضاره و حفظا لها من أسباب التدهور و الزوال،و هو التسامی عن جاذبیه الماده،و التحلیق فی سماء الایمان،و الاعتقاد العملی بالمستقبل،و بالتالی التسلح برؤیه بعیده فقال:

بَقِیَّتُ اللّٰهِ خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ مُؤْمِنِینَ ما هی بقیت اللّه؟ انه رضوانه و ثوابه.

و السؤال هو:کیف یمکن لقوم مثل قوم شعیب الحصول علی الباقیات الصالحات؟إلا بترک الموبقات التی ذکرت فی الآیه السابقه،ثم العمل فی سبیل اللّه بالطعام المساکین،و أداء حقوق الفقراء،و بناء المساجد و المرابط،و الإنفاق من أجل بناء السدود و القنوات و الطرق و.و.،و کلما هو فی سبیل اللّه.ألیس کذلک؟! و العمل بکل ذلک یوجب استمرار الحضاره فی الازدهار للمستقبل،و عدم الإسراف فی استهلاک المکاسب الآن،و کل حضاره تقوم بالازدهار فی بدایه تکونها و لکنها تتوقف عن الازدهار،ثم تبالغ فی الاستهلاک انها تنتهی و تزول،أما إذا استمرت الحضاره فی العمل للمستقبل،و فی إیجاد علاقه ایجابیه و بناءه مع الناس و مع الطبیعه،فانها سوف تبقی و تستمر،لذلک اعتبرنا هذا الأمر الالهی الذی أظهره شعیب ضمانا لاستمرار الحضاره. و تشیر بعض الآیات القرآنیه الاخری الی هذه الحقیقه مثل قوله سبحانه.

اَلْمٰالُ وَ الْبَنُونَ زِینَهُ الْحَیٰاهِ الدُّنْیٰا وَ الْبٰاقِیٰاتُ الصّٰالِحٰاتُ خَیْرٌ عِنْدَ رَبِّکَ ثَوٰاباً وَ خَیْرٌ

ص:۱۰۸

أَمَلًا (۱) زُيِّنَ لِلنّاسِ حُبُّ الشَّهَوٰاتِ مِنَ النِّسٰاءِ وَ الْبَنِينَ ..الى قوله.. وَ اللّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (۲)ثم قال شعيب:

وَ مٰا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ أى لا ـ تفتروا:بأنّ القائد قادر على منع العذاب عنكم من دون أن تفعلوا شيئا صالحا،أو تغيروا ما بأنفسكم،بل عليكم أنتم المسؤوليه أولا ـ و أخيرا،و ربما أشارت الآيه الى حاله حضاريه اعترت قوم شعيب كتلك التى تعترى الشعوب المتخلفه فيلقون كل المسؤوليه على قياداتهم.

[۸۷]و لكن قوم شعيب ظلوا على وضعهم الفاسد و عيّروا شعيبا.

قٰالُوا يٰا شُعَيْبُ أَ صَلاٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مٰا يَعْبُدُ آبٰاؤُنٰا و كأن عباده الأصنام تحولت عندهم الى دين مقدس لأنه من عمل الآباء،و لا يجوز ان يعارضها شخص مؤمن كشعيب،و كما عباده الأصنام كذلك سائر الأنظمه كالملكيه الفرديه المطلقه.

أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوٰالِنٰا مٰا نَشٰؤُا و نكسب المال بطريقه مشروعه أو غير مشروعه،سواء نظلم الناس أو بالبخس

۱- ۱) .۴۶/الكهف

۲- ۲) .۱۴/آل عمران

عنهم، و أن نصرف المال فى أى وجه نشاء صلاحا كان أم فسادا.

إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ و لست بشاب طائش يخالف تقاليد الآباء أو لا يعترف بحقوق أصحاب المال و مزاياهم،و يبدو من حديث قوم شعيب أنهم قد ضلوا ضلالا بعيدا حتى رأوا المعروف منكرا،و المنكر معروفا،و أصبح الفساد دينا مقدّسا عندهم و ليس فقط سلوكا شاذّا،لذلك لم تنفعهم نصيحه شعيب عليه السلام .

ص:۱۱۰

[سوره هود (۱۱): الآیات ۸۸ الی ۹۵]

اشاره

قَالَ يَا قَوْمِ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّی وَ رَزَقَنِی مِنْهُ رِزْقاً حَسَناً وَ مَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ
اَلْإِصْلاَحَ مَا اِسْتَطَعْتُ وَ مَا تَوْفِيقِی إِلاّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَ إِلَيْهِ أُنِيبُ (۸۸) وَ يَا قَوْمِ لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِی أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ
قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَ مَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ (۸۹) وَ اِسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّی رَحِيمٌ وَدُودٌ (۹۰) قَالُوا
يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِمَّا تَقُولُ وَ إِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفاً وَ لَوْ لاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَ مَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ (۹۱) قَالَ يَا قَوْمِ أَ رَهْطِی
أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اَللّهِ وَ اِتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّی بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (۹۲) وَ يَا قَوْمِ اِعْمَلُوا عَلىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّی عَامِلٌ سَوْفَ
تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَ مَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَ اِرْتَقِبُوا إِنِّی مَعَكُمْ رَقِيبٌ (۹۳) وَ لَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْباً وَ اَلَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ
بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَ أَخَذَتِ اَلَّذِينَ ظَلَمُوا اَلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِی دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ (۹۴) كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلاَ بُعْداً لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ
(۹۵)

اللغه

۹۱[نفقه]:الفقه فهم الكلام على ما تضمنه من المعنى،و قد صار علما لضرب من علوم الدين و هو علم بمدلول الدلائل السمعيّه،و أصول الدين علم بمدلول الدلائل العقليه.

[رهطك]:الرهط عشيره الرجل و قومه،و أصله الشد.

[لرجمناك]:الرجم الرمى بالحجاره.

۹۲[ظهريا]:الظهری جعل الشیء وراء الظهر حتی ینساه،و یقال لکل من لا یعبأ بأمر قد جعل فلان هذا الأمر بظهره.

۹۳[و ارتقبوا]:و انتظروا.

ص:۱۱۲

شعیب:لا یجرمّنکم شقاقی

هدی من الآیات:

لقد انتهی الدرس السابق فی الوقت الذی کان قوم شعیب یجادلونه فی خرافاتهم و أصنامهم،أما شعیب فهو لا یزال یقاوم ضلالتهم و یحتج علیهم.

أولا:بأنه قد هداه اللّه،و جعله علی بینه واضحه.

ثانیا:إن حیاته الشخصیه علی خیر وجه.

ثالثا:إنه أول من یتبع مناهج ربه التی یأمرهم بها.

رابعا:إن هدفه هو إصلاح الوضع الفاسد بکل ما أوتی من مقدره.

خامسا:انه لا یهمه الفشل،کما لا یستبد به الیأس لأنه یری ان توفیقه من اللّه،و ان علیه لا علی نفسه أو علی الناس توکله و اعتماده و معاده،و حذرهم من ان عنادهم ضده،و تحدیهم له قد یوقعهم فی ذات المهلکه التی وقعت فیها الشعوب

الضاله سابقا،مثل قوم نوح و قوم صالح و قوم لوط القريبين منهم زمانا أو مكانا أو كلاهما.

ثم أمرهم شعيب مره اخرى بالاستغفار و التوبه الى اللّه فانه رحيم و دود، و لكنهم حين لم يجدوا جوابا قالوا له:لا نفهم كثيرا مما تقول،و ان مقياسنا فى تقيم كلامك ليس ذات الكلام بل ذات الشخص المتحدث،و إنا لنراك ضعيفا فينا، و لولا وجود أصحاب لك و عشيره.إذا لرجمناك،فقال لهم:هل ان عشيرتى أعز عندكم من اللّه خالقكم و خالقى المحيط بكم،و الذى تركتم مناهجه.

ثم تحداهم و قال لهم:اعملوا ما شئتم أما أنا سأعمل و سوف تعلمون من يأتيه عذاب الخزى،و هل أنا كاذب أم أنتم،و انتظروا انى معكم رقيب و شاهد،و جاء امر اللّه فأنجى اللّه شعيبا و المؤمنين معه برحمه منه بينما اخذتهم الصيحه فأصبحوا جاثمين فى ديارهم كما لو لم يقيموا هناك،فابعدهم اللّه و لعنهم كما ابعد ثمود من قبلهم.

بينات من الآيات:

شخصيه الرسول:

[۸۸]يظل الأسلوب الرسالى.هو ذلك الأسلوب الذى ينير القلوب،و يتحدث الى الوجدان بعد ان يرفع عنه الصدأ،و يكشف عنه الحجب،و هكذا فعل شعيب حيث بدأ من نفسه و وضع امام قومه واقعا جديدا هو سلوكه:

قٰالَ يٰا قَوْمِ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّى ماذا لو أكشف سلامه رؤيتى،و صواب طريقى،و اننى على بينه واضحه أعطاها اللّه لى.أ فلا يكون من الخطأ عدم التفكر فى ذلك أساسا ورده رأسا؟!

وَ رَزَقَنِی مِنْهُ رِزْقاً حَسَناً فأخلاقه الفاضله،و سلوكه الحسن،و إرادته الصلبه،و صحته الجسديه،و تكامله المعنوی بالاضافه الی رسالات اللّه التی لا يشك أحد فی انها نعمه كبری.كل أولئك شواهد علی ان سبيله مستقيم.

وَ مٰا أُرِيدُ أَنْ أُخٰالِفَكُمْ إِلىٰ مٰا أَنْهٰاكُمْ عَنْهُ فانا أول من يطبق الرساله كدليل علی صدقی،و قناعتی بها،و عدم تكلفی فيها.

إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الْإِصْلاٰحَ مَا اسْتَطَعْتُ فبالرغم من اختلاف الناس فی مفهوم الصلاح و الفساد فی بعض الأبعاد التفصيليه،فأن أكثر الناس يعلمون ان تقريب القلوب،و تأليف التقوی،و الوفاء بالمكيال و الميزان،و الاهتمام بالمحرومين و المستضعفين،كل ذلك صلاح،و ان الرسول يقوم شخصيا بفعل الصلاح،و يضرب بذلك مثلا علی حقيقه رسالته.

وَ مٰا تَوْفِيقِی إِلاّٰ بِاللّٰهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَ إِلَيْهِ أُنِيبُ ان نسبه نجاح خطط الرسل تفوق كل النسب،مما يكشف عن عامل غيبی غير معروف للنجاح،و هو توفيق اللّه و سلامه الرؤيه الرساليه،و هذا بدوره دليل علی صدق الرساله،كما ان وضع الخطط التی تعتمد علی الغيب و تأخذ الغيب كعامل هام فی معادله الخطه،دليل آخر علی صدق الرساله و هذا هو التوكل،و الرسول رجل غيبی ليس فی تصرفاته و انما أيضا فی انابته الی اللّه،و ضراعته الدائمه،و صلاته الكثيره،و رشده و حمله،و كان شعيب عليه السلام من أكثر الأنبياء إنابه الی اللّه حتی قالوا:

إن كريمته قد ابيضت من كثره البكاء خشيه من اللّه،و شكرا له.

ص:۱۱۵

إرهاصات العذاب:

[۸۹]و حذّر شعيب قومه من العناد.و مخالفه الرساله لمجرد تحدى شعيب، و حاول أن يفهمهم بضروره التفريق بين الفكره و بين قائلها،فلو كانت سلوكيات الداعيه أو اساليبه الاعلاميه تثير فيهم الغضب،فلا يجوز ان يظلموا أنفسهم بمخالفه الفكره الصحيحه،لأن ذلك سوف يسبب لهم متاعب كبيره.

وَ يا قَوْمِ لا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقاقِي اى لا تدعوكم مخالفتى الى التورط فى المشكله.

أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ ما أَصابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صالِحٍ وَ ما قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ [۹۰]ثم أمرهم شعيب بإصلاح أنفسهم و الاستغفار من ذنوبهم لكى لا تكون الذنوب السابقه سببا لمعاداه الرساله،و مخالفه أوامر اللّه.

وَ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّی رَحِيمٌ وَدُودٌ إذ قد يسبب تعود البشر على الأفعال القبيحه،و ظنه بأن اللّه قد تركه،و بالتالى يأسه من روح اللّه،قد يسبب استرساله فى الكفر تبريرا لأعماله الفاسده من هنا دعا شعيب قومه الى مخالفه العاده،و رجاء رحمه اللّه.

[۹۱]و جاء دور قوم شعيب يردّون حجج شعيب فانظر ماذا قالوا؟و كيف انهم قد انطلقوا فى رفض الرساله.من قاعده الجهل و العناد،و التمسك بالماديات،و الغرور بما لديهم من قوه! قالُوا يا شُعَيْبُ ما نَفْقَهُ كَثِيراً مِمّا تَقُولُ وَ إِنّا لَنَراكَ فِينا ضَعِيفاً وَ لَوْ لا رَهْطُكَ

لَرَجَمْنٰاکَ ای لولا عشیرتک لقتلناک شر قتله.

وَ مٰا أَنْتَ عَلَیْنٰا بِعَزِیزٍ [۹۲]و سفه شعیب أولئک الأغبیاء الذین یعاندون ربهم و یخشون رهط شعیب.

قٰالَ یٰا قَوْمِ أَ رَهْطِی أَعَزُّ عَلَیْکُمْ مِنَ اللّٰهِ وَ اتَّخَذْتُمُوهُ وَرٰاءَکُمْ ظِهْرِیًّا إِنَّ رَبِّی بِمٰا تَعْمَلُونَ مُحِیطٌ فأنی تعملون فلا تخرجون من اطار قدره اللّٰه،و حدود مملکته سبحانه.

[۹۳]و جاءت مرحله التحدی الفاصله حیث نابذهم شعیب العداء،و أمرهم بأن یعملوا علی حالهم.بینما یعمل هو بما أمره اللّٰه و الکل ینتظر ما یحمله المستقبل من مفاجآت.

وَ یٰا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلیٰ مَکٰانَتِکُمْ إِنِّی عٰامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ یَأْتِیهِ عَذٰابٌ یُخْزِیهِ وَ مَنْ هُوَ کٰاذِبٌ وَ ارْتَقِبُوا إِنِّی مَعَکُمْ رَقِیبٌ و هکذا جاء دور انتظار الفرج من قبل شعیب،بعد الجهاد و توفیر عوامل النصر الظاهره،و انتظار الفرج یعتبر من أفضل الأعمال.

ففی الحدیث النبوی:

«أفضل اعمال أمتی انتظار الفرج » [۹۴]و کل آت قریب،فجاءت العاقبه تکشف الحقیقه المظلومه لتنتقم من المعاندین.

وَ لَمّٰا جٰاءَ أَمْرُنٰا نَجَّیْنٰا شُعَیْباً وَ الَّذِینَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَهٍ مِنّٰا وَ أَخَذَتِ الَّذِینَ

ص:۱۱۷

ظَلَمُوا الصَّيْحَهُ فَأَصْبَحُوا فِی دِیارِهِمْ جاثِمِینَ [۹۵]و كأن أحدا لم يكن فی هذه الديار.

كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيها أَلا بُعْداً لِمَدْيَنَ كَما بَعِدَتْ ثَمُودُ

ص:۱۱۸

[سوره هود (١١): الآيات ٩٦ الى ١٠٣]

اشاره

وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا مُوسى بِآياتِنا وَ سُلْطانٍ مُبِينٍ (٩٦) إِلى فِرْعَوْنَ وَ مَلاَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَ ما أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ (٩٧) يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ
اَلْقِيامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ اَلنّارَ وَ بِئْسَ اَلْوِرْدُ اَلْمَوْرُودُ (٩٨) وَ أُتْبِعُوا فِي هذِهِ لَعْنَةً وَ يَوْمَ اَلْقِيامَةِ بِئْسَ اَلرِّفْدُ اَلْمَرْفُودُ (٩٩) ذلِكَ مِنْ أَنْباءِ
اَلْقُرى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْها قائِمٌ وَ حَصِيدٌ (١٠٠) وَ ما ظَلَمْناهُمْ وَ لكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَما أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ اَلَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ
اَللّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمّا جاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَ ما زادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ (١٠١) وَ كَذلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذا أَخَذَ اَلْقُرى وَ هِيَ ظالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ
شَدِيدٌ (١٠٢) إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خافَ عَذابَ اَلْآخِرَةِ ذلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ اَلنّاسُ وَ ذلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ (١٠٣)

اللغه

٩٨[يقدم]:يقال قدمت القوم أقدمهم قدما،إذا مشيت أمامهم و اتبعوك.

[الورد المورود]:الورد ورود الماء الذى يورد،و أصل الورد الاشراف على الدخول و ليس بالدخول،أى بئس الماء الذى يردونه عطاشا لإحياء نفوسهم،تلك النار التى يردونها.

٩٩[الرفد المرفود]:العطاء المعطى لهم.

١٠٠[قائم]:باق و ان أهلك أهله.

[حصيد]:الحصيد بمعنى المحصود،و الحصد قطع الزرع من الأصل،و حصيد قد حصد و عفى أثره.

ص:١١٩

۱۰۱[تتبیب]:من تبت یده أی خسرت.

ص:۱۲۰

و ما أمر فرعون برشيد

هدى من الآيات:

لقد أرسل اللّه موسى بآياته البينات و بسلطان مبين.الآيات كانت تلك القيم التى دعا إليها موسى،و تلك الحقائق التى ذكر بها،و تلك الفطره المنسيه التى استثارها فى قلوبهم.و تلك المعرفه التى جهلوها،فأعادها الى ذاكرتهم..

و جاء موسى فرعون و ملأه بسلطان مبين،الا أن الملأ لم يتبعوا ذلك السلطان، بل اتبعوا امر فرعون غير الكامل،و غير البالغ مستوى الرشد،لأنه يقود قومه الى بئس المقام و هو النار كما ان اللعنه تلاحقهم،فى الدنيا و الآخره،بئس العطاء،و بئست الضيافه و القرى.

هل ظلمهم اللّه؟كلا..انما ظلموا أنفسهم حيث اتبعوا فرعون و سائر الآلهه من دون اللّه سبحانه،فلم تنصرهم الآلهه حين نزل عليهم عذاب اللّه،و كان أخذ اللّه شديدا و أليما.

ص:١٢١

فمن خاف عذاب الآخره اعتبر بأبناء القرى،و من لم يخف يوم القيامه حيث يجمع الناس و تشهده الملائكه فما عسى تنفعه الآيات و العبر؟

بينات من الآيات:

[۹۶]الأنبياء«عليهم أفضل الصلاه و السلام»يأتون الى الناس لكى يستأدوهم ميثاق فطرتهم،و يثيروا فى أنفسهم دفائن العقول.و لا يحتاج الأنبياء الى أن يأتوا الى الناس بسلطان مبين،اى معجز خارق،و لكنه مع ذلك ترى ان رحمه ربنا سبحانه و تعالى،تأبى إلاّ ان تتم الحجه على العباد بصوره قاطعه.و لا يعذبهم الا بعد ان تتم الحجه عليهم كامله.و لذلك يقول ربنا:

وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا مُوسى بِآيَاتِنا وَ سُلْطَانٍ مُبِينٍ ذلك السلطان كان الثعبان الذى ابتلع حبال أولئك السحره،مما دعا السحره أصحاب الحبال،الى ان يسجدوا الى رب العالمين،و يؤمنوا باله موسى و هارون كما كان السلطان أيضا،اليد البيضاء التى كانت لموسى«عليه الصلاه و السلام»معجزه خارقه.

و لكن فرعون الذى أرسل اليه موسى و الى ملأه الذين أحاطوا به،رفض الرساله.

[۹۷] إِلى فِرْعَوْنَ وَ مَلاَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ اتبع أولئك القوم أمر فرعون الذى كان يعبد من دون اللّه و لم يكن امر فرعون قائما على أساس العقل و لا على أساس التجربه،انما كان قائما على أساس الهوى و الشهوات.و كم يكون الإنسان ظالما لنفسه حين يتبع من لا يتبع إلاّ شهواته.فإذ كانت الشهوات هى مقياس الطاعه،فاولى بك ان تتبع شهواتک من ان تتبع أهواء الآخرين.

ص:۱۲۲

المقیاس فی الطاعه للغیر هو ان یکون ذلک الغیر أکمل عقلا،و أفضل تجربه.اما إذا کانت أوامره طائشه،قائمه علی أساس الانعکاسات المرحلیه الآنیه،و لم تکن قائمه علی خطه عقلانیه ایمانیه سلیمه،فکیف یمکننک ان تطیعه.

یقول ربنا:

فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَ مٰا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِیدٍ [۹۸]لماذا؟..

لأن فرعون لم یکن یری الحیاه إلا محدوده باطار الدنیا،لم یکن یعلم شیئا عن الحیاه الآخره،لذلک فان کل أفکاره،و کل قرارته کانت خاطئه.لان فهمه الاساسی للحیاه کان فهما خاطئا.

لذلک تراه یقود قومه الضالین الی النار،و بئس ما یقودهم الیه.

یَقْدُمُ قَوْمَهُ یَوْمَ الْقِیٰامَهِ فَأَوْرَدَهُمُ النّٰارَ وَ بِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ [۹۹]أوردهم فی نار لا رحمه فیها و لا نعمه فیها و لا راحه فیها و لا نهایه لها.نار حرها شدید و قعرها بعید و نورها ظلام و الواردون فیها حطبها و وقودها.

بالاضافه الی العذاب المادی المباشر الذی کان فرعون سببا له،عرض قومه الی عذاب أخر هو عذاب السمعه المفقوده،و اللعنه التی ظلت تلاحقهم الی الأبد،و ها هو القرآن نقرأه بعد ألوف السنین من هلاک فرعون و قومه،و هو یلعنهم.

أ فلیس فی ذلک عبره..

وَ أُتْبِعُوا فِی هٰذِهِ لَعْنَهً

فی الحیاه الدنیا.

وَ یَوْمَ الْقِیامَهِ أیضا،اللعنه تلاحقهم،بالاضافه الی العذاب.

بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ تلک کانت الآثار المادیه«الورد المورود».

هذه هی الآثار المعنویه«الرفد المرفود».

اذن ینبغی ان لا یطیع أحد امر من لا یرشد بل یغویه و یضله.

[۱۰۰] ذٰلِکَ مِنْ أَنْبٰاءِ الْقُریٰ نَقُصُّهُ عَلَیْکَ مِنْهٰا قٰائِمٌ وَ حَصِیدٌ هذه القری التی لا تزال قائمه،سوف لا تبقی إن کانت ظالمه لنفسها.أما تلک القری التی حصدت و انتهت،حصدت کما یحصد الحقل فلا یبقی منها شیء،تلک القری ذهبت لتورثنا عبرتها.

عبره القری:

[۱۰۱]عبره القری التی حصدت هی ما یقول تعالی فی الآیه التالیه:

وَ مٰا ظَلَمْنٰاهُمْ وَ لٰکِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ عبره تلک القری ان ربنا سبحانه و تعالی،و فرّ الحیاه الکریمه السعیده لهم.و فر فرصه الهدایه،و فی المنعطفات الخطیره التی کانت تهددهم،أرسل ربنا إلیهم المصلحین،و بذل هؤلاء المصلحون کل ما بوسعهم،فبشروا و انذروا و حذروا و ذکروا

بالآیات و أثاروا فیهم دفائن العقول..و کل شیء کان بامکانهم فعلوه الا إجبارهم علی الهدایه،فلم یستجب أولئک لفرصه الهدایه،فعاندوا و تحدوا و استکبروا و ظلموا أنفسهم.

و أساس ظلمهم و انحرافهم هو انهم اتبعوا الآلهه التی تعبد من دون اللّه،و هذه الآلهه لم تغن عنهم فی لحظه الحسم و ساعه العذاب الشدید شیئا..

فَمٰا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِی یَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ مِنْ شَیْءٍ لَمّٰا جٰاءَ أَمْرُ رَبِّکَ أمر اللّه لم یکن مدفوعا و لا مرفوعا عنهم بسبب الآلهه.

وَ مٰا زٰادُوهُمْ غَیْرَ تَتْبِیبٍ أنما زادت الآلهه الطیب بله و العذاب شده..هلاکا و تبابا.

[۱۰۲] وَ کَذٰلِکَ أَخْذُ رَبِّکَ إِذٰا أَخَذَ الْقُریٰ وَ هِیَ ظٰالِمَهٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِیمٌ شَدِیدٌ و کانت عبره القصه کلها تتلخص فی أمرین:

الاول:ان أخذ اللّه شدید.فی قوته،الیم ی مدی تأثیره،و لا یجوز لنا ان نستهین بأوامر اللّه،و نستخف بعقابه.

[۱۰۳] إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَآیَهً لِمَنْ خٰافَ عَذٰابَ الْآخِرَهِ ذٰلِکَ یَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النّٰاسُ وَ ذٰلِکَ یَوْمٌ مَشْهُودٌ الثانی:ان عذاب الدنیا علی شدته و عظیم ألمه،دلیل المؤمنین الی عذاب

ص:۱۲۵

الآخره،الأشد و الآلم.

و إن المؤمن يهتدی بما فی الدنيا من ألم الی يوم الجزاء الأكبر حيث يجمع الناس،كلهم،و يشهده الناس و الملائكه و علينا ان نعيش بوعينا ذلک اليوم الرهيب لنتقيه أشد التقوی.

ص:۱۲۶

[سوره هود (۱۱): الآيات ۱۰۴ الى ۱۰۹]

اشاره

وَ مٰا نُؤَخِّرُهُ إِلاّٰ لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ (۱۰۴) يَوْمَ يَأْتِ لاٰ تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاّٰ بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَ سَعِيدٌ (۱۰۵) فَأَمَّا اَلَّذِينَ شَقُوا فَفِي اَلنّٰارِ لَهُمْ فِيهٰا زَفِيرٌ وَ شَهِيقٌ (۱۰۶) خٰالِدِينَ فِيهٰا مٰا دٰامَتِ اَلسَّمٰاوٰاتُ وَ اَلْأَرْضُ إِلاّٰ مٰا شٰاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعّٰالٌ لِمٰا يُرِيدُ (۱۰۷) وَ أَمَّا اَلَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي اَلْجَنَّةِ خٰالِدِينَ فِيهٰا مٰا دٰامَتِ اَلسَّمٰاوٰاتُ وَ اَلْأَرْضُ إِلاّٰ مٰا شٰاءَ رَبُّكَ عَطٰاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ (۱۰۸) فَلاٰ تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمّٰا يَعْبُدُ هٰؤُلاٰءِ مٰا يَعْبُدُونَ إِلاّٰ كَمٰا يَعْبُدُ آبٰاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَ إِنّٰا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ (۱۰۹)

اللغه

۱۰۶[زفير و شهيق]:الزفير إخراج النفس من الصدر،و الزفير ترديد النفس مع الصوت من الحزن،و أصل الزفير الشده،و زفرت النار إذا سمع لها صوت من شده توقدها،و الشهيق ردّ النفس الى الصدر،و الشهيق صوت فظيع يخرج من الجوف بمد النفس،و أصله الطول المفرط.

و قيل الزفير أول نهاق الحمار و الشهيق آخر نهاقه و هما من أصوات المكروبين المحزونين، و الزفير من شديد الأنين و قبحه بمنزله إبقاء صوت الحمار،و الشهيق الأنين الشديد المرتفع جدا بمنزله صوت الحمار.

۱۰۷[ما دامت]:الدوام البقاء.

۱۰۸[مجذوذ]:الجذ القطع.

١٠٩[مريه]:الشک مع ظهور الدلاله للتهمه.

ص:١٢٨

عاقبه البشر

اشاره

بين شقاء النار و سعاده الجنه

هدى من الآيات:

انتهى الـدرس السـابق بالتحـذير من يوم القيـامه المشـهود، و تأكيـدا لـذلك يـبين هـذا الـدرس بـأن تـأخير يوم القيـامه ليس بلا حدود،بل هنالك أجل ممدود ينتهى اليه التأخير،فنحن نقترب اليه على قطار الزمن،و حينئذ يظهر سـلطان اللّه حيث لا تستطيع اى نفس ان تتحـدث الاـ بـأذن اللّه،و ينقسم النـاس الى سـعداء و أشـقياء،أما الأشـقياء فهم بين الموت و الحياه فى النار لهم شـهيق و زفير،بسـبب سوء حـالهم، و يبقون فى النـار ما دامت السـماوات و الأرض،إلا أن يشاء اللّه،أما السـعداء فهم فى الجنه خالـدون ما بقيت السماوات و الأرض الا ان يشاء اللّه،و تلك الجنه عطاء لا ينقطع من قبل اللّه.

بينات من الآيات:

فمنهم شقى و سعيد:

[۱۰۴]لماذا يؤخر اللّه العذاب؟لأنه سبحانه قد حدد سلفا أجلا معدودا،

ص:۱۲۹

و اعطى بحكمته و رحمته فرصه الابتلاء للناس ضمن هذا الأجل،فمن آمن و أصلح عمله.نفعه عمله و لم يخش اجله و من قصر.خسر فرصته التى لا تعود،و متى ما استخرج المرء كل ما عنده من قابليات الخير أو الشر.بسبب تطور الزمان،فانه ينتهى أجل امتحانه،و لا بد ان يستعد لمغادره قاعه الامتحان و هى الدنيا الى حيث جزائه فى الآخره.

وَ مٰا نُؤَخِّرُهُ إِلاّٰ لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ اى لسبب وجود أجل معدود أخرجه اللّه للبشر فى الدنيا.

[۱۰۵]و إذا جاء ذلك اليوم الرهيب يعم الصمت المهيب و يقف الناس امام ربهم ساكتين،لا يتكلم أحد الا بأذن اللّه مما يدل على احاطه سلطان اللّه عليهم.

يَوْمَ يَأْتِ لاٰ تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاّٰ بِإِذْنِهِ و ينقسم الناس على أنفسهم فريقين شقى استنفذ فرص حسناته فى الدنيا فلم يبق له حسنه هناك فتمحض فى السيئات بأعماله السيئه فأصبح من أهل النار، و سعيد من أخلص للّه عمله حتى تمحض فى الخير فأصبح من أهل الجنه.

فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَ سَعِيدٌ [۱۰۶]أما جزاء الأشقياء فهم فى نار لا يموتون فيها و لا يحيون،بل يكابدون ألوان العذاب،و لذلك تراهم يجرون الآهات الخفيه حينا بسبب ضعفهم،و العاليه حينا بسبب شده الألم،فهم بين زفير و هو أول صوت الحمار،و شهيق و هو آخر.

فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النّٰارِ لَهُمْ فِيهٰا زَفِيرٌ وَ شَهِيقٌ [۱۰۷]و يبقى هؤلاء خالدين فى النار ما دامت السماوات و الأرض التى تحيط

بالنار من فوق و من تحت.

خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَ الْأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّکَ و السؤال الذی وجهه المفسرون الی أنفسهم هو:لماذا استثنی القرآن بمشیئه اللّه؟ و تعددت إجاباتهم حولها،و اعتقد ان الجواب الأقرب هو:ان اللّه یفی بوعده الصادق و لکنه لا یحتم علیه شیء.لا سیما و ان عذابه و ثوابه للأشقیاء،أما السعداء،فلیسوا بقدر الجریمه بل بالصلاح فحسب،و أیضا بسبب ارتباط ذلک کله بمقام الربوبیه، فالصلاه لأنها کانت للّه فهی ذات ثواب عظیم،و کذلک ترک الصلاه أصبح عملا قبیحا ذا عقاب شدید بسبب ارتباطه بمقام اللّه العزیز المتعال.لذلک فهو الذی یحدد مداه و قدره،و متی نهایته،و ربما یشیر الی ذلک قوله سبحانه:

إِنَّ رَبَّکَ فَعّالٌ لِمَا یُرِیدُ [۱۰۸]اما السعداء فهم فی الجنه ما دامت الجنه موجوده بأرضها و سمائها.

و لکن مشیئه اللّه فوق کل ذلک،فلربما شاءت إرادته التی لا تحد ان یعطی للجنه استمرارا أکثر لیعطی للمؤمنین فرصه أکبر للبقاء.

وَ أَمَّا الَّذِینَ سُعِدُوا فَفِی الْجَنَّهِ خَالِدِینَ فِیهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَ الْأَرْضُ إِلاّ مَا شَاءَ رَبُّکَ و یشیر الی هذا المعنی الذی ذکرناه للمشیئه قوله سبحانه.

عَطَاءً غَیْرَ مَجْذُوذٍ ای ان عطاء ربک غیر مقطوع.

و لعل ذلک اشاره الی الخلود فی الجنه و لکنه لا بمعنی تبدل ذاتی یحصل فی

الکون،فتتحول طبیعته من طبیعه فانیه إلی طبیعه خالده.کلا.بل بمعنی أن اللّه شاء ان تبقی الجنه خالده(و اللّه العالم).

[۱۰۹]بسـبب إصرار الکفار علی باطلهم،و عنادهم فی ضلالتهم قد یعتری المؤمن شک فی سلامه خطهم،أو وجود نسبه من الحق الی جانبهم.بید ان ربنا ینهانا عن هذا الشک،و یأمرنا بعدم الریب فی بطلان عبادتهم.

فَلاٰ تَکُ فِی مِرْیَهٍ مِمّٰا یَعْبُدُ هٰؤُلاٰءِ فعبادتهم باطله لا ریب فی ذلک.

و إنهم یقلدون آباءهم الذین کانوا علی ضلاله،و کما ان اللّه اعطی جزاء آبائهم بانزال العذاب علیهم،فانه سوف یعذبهم أیضا.

مٰا یَعْبُدُونَ إِلاّٰ کَمٰا یَعْبُدُ آبٰاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَ إِنّٰا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِیبَهُمْ غَیْرَ مَنْقُوصٍ

ص:۱۳۲

[سوره هود (۱۱): الآیات ۱۱۰ الی ۱۱۲]

اشاره

وَ لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَ لَوْ لاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَ إِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ (۱۱۰) وَ إِنَّ كُلاًّ
لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (۱۱۱) فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَ مَنْ تَابَ مَعَكَ وَ لاَ تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ
(۱۱۲)

ص:۱۳۳

فاستقم كما أمرت

هدى من الآيات:

انتهى الـدرس السابق موضـحا ان المقياس هو الشـقاء أو الفلاح فى يوم البعث، أما هـذا الدرس فقد جاء ليكرس الأيمان بالأخره فى واقع الدنيا،فنهى الرسول من الشك فى ضـلاله هؤلاء فيما يعبدونه من آلهه،و انهم ليسوا أفضل ممن سبق من المشركين،و ان اللّه سيوفيهم جزاءهم العادل دون نقصان.

و مثل هؤلاء انما هو كمثل الذين اختلفوا فى كتاب موسى فأعطاهم اللّه فرصه الامتحان بكلمه سبقت منه سبحانه،و لولاها لقضى بينهم بتأييد الصادقين منهم ضد أعدائهم. و ذلك بسبب شكهم المريب فى صدق الكتاب الذى اختلفوا فيه.

ان هذه الفرصه ليست دائمه بل محدوده بيوم انتهاء فرصتهم و مهلتهم،حيث يعد عليهم اللّه أعمالهم و هو خبير بها.

و عليك ايها الرسول ان تستقيم كما أمرت،و عليكم ايها المؤمنون ان تستقيموا

ص:۱۳۴

كما أمرتم،و لا تطغوا فاللّه بما تعملون بصير.

بينات من الآيات:

فاختلفوا فيه:

[۱۱٠]لقد انزل اللّه الكتاب ليختلفوا اليه،و يجعلوه قاضيا بينهم،فاختلفوا فيه، و حملوه أهواءهم،و السبب انهم لا يؤمنون حقا بالكتاب بل بأهوائهم،و لو لا ان اللّه جعل الدنيا دار ابتلاء و فتنه.إذا لأيد الفريق المؤمن بالكتاب و خذل المفسرين له بأهوائهم.

وَ لَقَدْ آتَيْنٰا مُوسَى الْكِتٰابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَ لَوْ لاٰ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ حيث قضى بتأخير الجزاء يوم البعث،أو ليوم انتهاء مهله الفاسقين و نصره المؤمنين عليهم.

لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ اى بأسلوب أخر غير تنزيل الكتاب الذى لم ينفعهم،و لم يوحدهم على الهدى بسبب طغيانهم و اتباع أهوائهم،و الاختلاف فى الكتاب دليل الشك فيه.

وَ إِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ [۱۱۱]و اللّه لا ينظر الى التبريرات التى يقدمها البشر لأعماله الضاله، و التخريجات الدينيه التى يتعب نفسه فى تركيبها على اهوائه،و بالتالى لا يعبأ بالتفسير الباطل للكتاب الذى يخدع نفسه و ذوقه به،انما ينظر ربنا سبحانه الى حقيقه اعماله.فيوفيه إياها و هو محيط علما بها و بخلفيتها.

وَ إِنَّ كُلاًّ لَمّٰا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمٰالَهُمْ إِنَّهُ بِمٰا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ

ان التاكيـدات المتتاليه فى هـذه الآيه لـدليل على ان البشـر يخـدع نفسه بالكتاب كما يخـدعها بغيره،و ان اللّه سـبحانه يذكره بأن خداعه سراب،و ان عمله هو الباقى وحده.

فاستقم كما أمرت:

[۱۱۲]و لماذا يختلف الإنسان فى الحياه أساسا؟ لأنه لا يرضـى بحـدوده و حقوقه،بل يطغى و يحاول ان يتجاوز حـدوده،و يعتدى على حرمـات الآخرين،و حين يطغى الفرد يجرف بطغيانه القيم الالهيه التى وضـعت فى طريقه،و يحاول ان يفسـرها حسب اهوائه لكى يجعل قيم السماء جزءا من معاملاته الفاسده.

من هنا كان من الصـعب جدا على الناس مقاومه ضـغط الأهواء باتجاه تفسير الكتاب حسب اهوائه،و الاستقامه فى خط الكتاب،و تكييف أنفسهم حسب مقاييسه،و جاءت كلمه القرآن حاسمه لتؤكد هذه الحقيقه.

[فاستقم كما أمرت] و بعصمه اللّه،و بحسن التوكل عليه استقام الرسول،اما المؤمنون فان معضلات الفتن ضغطت عليهم،و حرفت مسيرتهم،و لكنهم سرعان ما تابوا الى اللّه فاستقاموا.

[و من تاب معك] اما سبب الانحراف و تفسير الكتاب حسب الأهواء،و بالتالى الاختلاف فيه فهو الطغيان.

وَ لاٰ تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمٰا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ

ان علینا ان نتبع هدی اللّه دون زیاده أو نقصان...فانه طغیان.

و جـاء فی الحـدیث عن ابن عبـاس: ما نزل علی رسول اللّه آیه کانت أشـد علیه و لا أشق من هـذه الآیه،و لـذلک قال لأصـحابه حین قالوا له:أسرع إلیک الشیب یا رسول اللّه:

«شیبتنی هود و الواقعه»

[سوره هود (۱۱): الآیات ۱۱۳ الی ۱۱۷]

اشاره

وَ لاٰ تَرْكَنُوا إِلَى اَلَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ اَلنّٰارُ وَ مٰا لَكُمْ مِنْ دُونِ اَللّٰهِ مِنْ أَوْلِيٰاءَ ثُمَّ لاٰ تُنْصَرُونَ (۱۱۳) وَ أَقِمِ اَلصَّلاٰةَ طَرَفَيِ اَلنَّهٰارِ وَ زُلَفاً مِنَ اَللَّيْلِ إِنَّ اَلْحَسَنٰاتِ يُذْهِبْنَ اَلسَّيِّئٰاتِ ذٰلِكَ ذِكْرىٰ لِلذّٰاكِرِينَ (۱۱۴) وَ اِصْبِرْ فَإِنَّ اَللّٰهَ لاٰ يُضِيعُ أَجْرَ اَلْمُحْسِنِينَ (۱۱۵) فَلَوْ لاٰ كٰانَ مِنَ اَلْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ اَلْفَسٰادِ فِي اَلْأَرْضِ إِلاّٰ قَلِيلاً مِمَّنْ أَنْجَيْنٰا مِنْهُمْ وَ اِتَّبَعَ اَلَّذِينَ ظَلَمُوا مٰا أُتْرِفُوا فِيهِ وَ كٰانُوا مُجْرِمِينَ (۱۱۶) وَ مٰا كٰانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ اَلْقُرىٰ بِظُلْمٍ وَ أَهْلُهٰا مُصْلِحُونَ (۱۱۷)

اللغه

۱۱۳[و لا ترکنوا]الرکون الی الشیء هو السکون الیه بالمحبه له،و الإنصات الیه، و نقیضه النفوذ عنه.

۱۱۴[طرفی النهار]:صباحا و عصرا،فان صلاه الصبح فی الطرف الأول من النهار و صلاه الظهرین فی الطرف الآخر منه.

[و زلفا]:جمع زلفه و هی المنزله،و الزلف أول ساعات اللیل.

۱۱۶[أولوا بقیّه]:البقیه ما بقی من الشیء بعد ذهابه،و هو الاسم من الإبقاء،و یقال فلان بقیّه أی فضل مما یمدح به و خیر،کأنه قیل بقیه خیر من الخیر الماضی.

[أترفوا]:أی تعوّدوا الترف بالنعیم و اللذه و ذلک ان الترف عاده النعمه،و انما قیل للمتنعم مترف لأنه مطلق له لا یمنع من تنعمه.

لکی نضمن الاستقامه

هدی من الآیات:

تلک کانت قصص الظالمین من عاد و ثمود و أصحاب الأیکه و..و،و تلک کانت نهایتهم الألیمه بینها القرآن فی الدروس السابقه،و فی هذا الدرس بالذات یبیّن لنا الموقف السلیم،کما یبین العبره من الدروس السابقه و من نظائرهم و الذی یتلخص فی:

أولا:حرمه مودتهم و طاعتهم،و بالتالی منع الرکون إلیهم لکی لا یحرق الراکن إلیهم بنارهم،فلا ینصره اللّه،و لا یکون منتصرا من قبل غیر اللّه.

ثانیا:الاستعانه بالصلاه و الصبر و انتظار الفرج الموعود من اللّه.

ثالثا:تشکیل جبهه من الصالحین الذین لم یفسدوا بالنظام المنحرف، و الاعتماد علیها فی مقاومه الفساد.

و یبین القرآن:ان ما یقود الظالمین فی حیاتهم هی النعم الوافره الی أترفوا فیها،

و يجرمون بحق الناس من أجلها،و يفسدون فى الأرض غرورا بها،و اللّه لا يهلك قريه صالحه-حاشا ربنا عن الظلم-انما يهلكهم لفسادهم.

بينات من الآيات:

و لا تركنوا إلى الذين ظلموا:

[۱۱۳]ليس الظالم وحده مجرم فى المجتمع.بل الساكتون عنه أيضا مجرمون، و المتعاونون معه شركاء فى الظلم،و اللّه سبحانه ينهانا عن الركون الى الظالمين بالموده القلبيه،و تقديم المشوره الفكريه لهم،أو طاعتهم و دعمهم ماديا،لأن كل ذلك سوف يسبب فى اشتراكنا معهم فى الجريمه،و بالتالى نيل نصيبنا من العذاب الذى إذا جاء عم الجميع.

وَ لاٰ تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النّٰارُ و الركون ضد النفور و هو السكون الى شيء،و الاعتماد عليه عن رضا.لذلك يجوز السكوت عن الظالم ظاهرا،تحينا للفرصه المناسبه للإطاحه به.

وَ مٰا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللّٰهِ مِنْ أَوْلِيٰاءَ ثُمَّ لاٰ تُنْصَرُونَ ان المجتمع الذى يسكت عن الظلم،أو يسكن الى من يمارس الظلم بحقه لا يجد وليا و لا نصيرا لا فى الأرض و لا فى السماء،فلا اللّه ينصر هذا المجتمع الراضى بالظلم لأنه يأمره بالتمرد على الظالمين،و لا أولياء اللّه الذين ينتظرون تحرك المستضعفين ضد الظلمه حتى يتدخلوا الى جانبهم أما ان يحاربوا بديلا عنهم فلا و لا كرامه.

وَ اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَ الصَّلاٰهِ:

[۱۱۴]و لكى نقاوم إغراء السلطه و الثروه اللتين يعتمد عليهما الظالمون،و نقاوم

ضغوطهما الشديده،و لكى تبقى نفوسنا صامده امام تضليل الظالمين،و نمتلك ثقه بقدرتنا على تحديهم،بل و أيضا لكى نستعيد ثقتنا بأنفسنا بعد ان ضيعها الطغاه بأعلامهم و ارهابهم،و نكفر عن الذنب العظيم الذى ترتكبه عاده الجماهير المستضعفه،و هو يأسهم من روح اللّه،و تأليههم للطغاه الظالمين،و اعتقادهم بأنهم لا يقهرون.لكل ذلك لا بد ان نستعين بالصبر و الصلاه.كما قال ربنا سبحانه فى سوره البقره: وَ اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَ الصَّلاٰهِ وَ إِنَّهٰا لَكَبِيرَةٌ إِلاّٰ عَلَى الْخٰاشِعِينَ (۴۵/البقره).

ذلک لان الصلاه تربط العبد بربه و تعطيه الطمأنينه و تحفظه عن السيئات.

وَ أَقِمِ الصَّلاٰةَ طَرَفَيِ النَّهٰارِ اى الصباح قبل طلوع الشمس،و بعد انبلاج الفجر الذى هو أول النهار،و أيضا بعد الظهر حين يصلى المسلم صلاتى الظهر و العصر.

وَ زُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ اى بعد ان يمضى وقت من الليل،و هى صلاه المغرب و العشاء اللتين

قال عنهما رسول اللّه صلى الله عليه و آله :

المغرب و العشاء زلفى الليل و هكذا يبقى على المؤمن ان يصلى فى ثلاث أوقات خمس صلوات كما قال سبحانه فى آيه اخرى: أَقِمِ الصَّلاٰةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَ قُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كٰانَ مَشْهُوداً (۷۸/الإسراء) و هذه الصلوات تذهب بالسيئات،فاذا لم يركن قلبك الى الظالم،و لا أعنته فان صلاتک اليوميه سوف تعيد إليك إيمانک المفقود و تذهب بالآثار السلبيه الباقيه فى

قلبک من تأییدک للظالم.

إِنَّ الْحَسَنٰاتِ یُذْهِبْنَ السَّیِّئٰاتِ و لکن لیس کل صلاه تذهب بالسیئه،بل الصلاه التی تتخذ ذکری و ماده لتطهیر القلب من الغفله.اما الصلاه التی أصبحت عاده،أو الصلاه ریاء و سمعه فانها لا تنفع شیئا.لذلک قال ربنا:

ذٰلِکَ ذِکْریٰ لِلذّٰاکِرِینَ و

جاء فی الحدیث المأثور عن النبی صلی الله علیه و آله عن معنی الآیه:

أرجی آیه فی کتاب اللّه وَ أَقِمِ الصَّلاٰهَ طَرَفَیِ النَّهٰارِ..

ثم قرأ الآیه کلها ثم قال لعلی علیه السلام :

«یا علی!و الذی بعثنی بالحق بشیرا و نذیرا إن أحدکم لیقوم من وضوئه فتتساقط عن جوارحه الذنوب،فاذا استقبل اللّه بوجهه و قلبه لم ینقلب و علیه من ذنوبه شیء.کما ولدته امه،فان أصاب شیئا بین الصلاتین کان له مثل ذلک من عد الصلوات الخمس،ثم قال:یا علی!انما منزله الصلوات الخمس لأمتی کنهر جار علی باب أحدکم.کما یظن أحدکم لو کان فی جسده درن،ثم اغتسل فی ذلک النهر خمس مرات،أ کان یبقی فی جسده درن؟فکذلک و اللّه الصلوات الخمس لأمتی» (۱) [۱۱۵]و کما أن الصلاه تعطی قدره علی المقاومه،و حصانه کافیه ضد التأثر بسلبیات النظام الفاسد،فکذلک الصبر و تحمل الصعاب.انتظارا للمستقبل حیث لا

۱- ۱) نور الثقلین ج ۲ ص ۴۰۱

یضیع اللّه أجر المحسنین،و هذا هو جوهر الصبر.حیث ان الثقه بأن العمل الصالح یستتبع الجزاء الحسن عاجلا أم أجلا انما تسلی النفس عن الشهوات و علی الصعوبات.

وَ اصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لا یُضِیعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِینَ [۱۱۶]و المقاومه تهدف-فیما تهدف-إیجاد مجموعه من المؤمنین یکونون تیارا رافضا للأنظمه الفاسده(حنیفا مسلما).

فَلَوْ لا کانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِکُمْ أُولُوا بَقِیَّهٍ یَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسادِ فِی الْأَرْضِ ای لم تبق الا مجموعه باقیه لم تفسد من أبناء المجتمع.لان عملهم کان هو النهی عن الفساد،و مقاومه الانحراف.

إِلاّ قَلِیلاً مِمَّنْ أَنْجَیْنا مِنْهُمْ لقد کانت هنالک فعلا مجموعه بسیطه من هؤلاء أنجاهم اللّه سبحانه،بینما أهلک اللّه الآخرین.

وَ اتَّبَعَ الَّذِینَ ظَلَمُوا ما أُتْرِفُوا فِیهِ وَ کانُوا مُجْرِمِینَ کیف فسد الظالمون؟ لقد اغتروا بتلک النعمه التی وفرها اللّه لهم،حتی اتبعوا مسیره تلک النعمه، و ضیعوا أنفسهم،و توحی هذه الآیه بأن فساد الناس بالنعمه إنما یتم بسبب ظلم الناس لبعضهم البعض،و تقدمهم علی صفوف الآخرین،کما ان نوع الفساد یرتبط بنوع النعمه المتوفره لدیهم،ففساد الثروه غیر فساد القوه أو فساد العلم،و الفساد یؤدی الی الجریمه و هی الاعتداء الصارخ علی حقوق الناس،و الانتهاک العلنی للقیم

و الحرمات.

[۱۱۷]و حين يعم الفساد يهلك اللّه القوى،و لكن إذا تحركت اولو بقيه من أهل القرى فى طريق الصلاح،فان اللّه سيرحمهم.

وَ مٰا كٰانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرىٰ بِظُلْمٍ وَ أَهْلُهٰا مُصْلِحُونَ أما إذا فسدت القريه الا قليلا ممن عصمهم اللّه فان اللّه سوف ينقذ هؤلاء،ثم يهلك الآخرين،كما فعل بعاد و ثمود.

ص:۱۴۵

[سوره هود (۱۱): الآیات ۱۱۸ الی ۱۲۳]

اشاره

وَ لَوْ شٰاءَ رَبُّکَ لَجَعَلَ اَلنّٰاسَ أُمَّهً وٰاحِدَهً وَ لاٰ یَزٰالُونَ مُخْتَلِفِینَ (۱۱۸) إِلاّٰ مَنْ رَحِمَ رَبُّکَ وَ لِذٰلِکَ خَلَقَهُمْ وَ تَمَّتْ کَلِمَهُ رَبِّکَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ اَلْجِنَّهِ وَ اَلنّٰاسِ أَجْمَعِینَ (۱۱۹) وَ کُلاًّ نَقُصُّ عَلَیْکَ مِنْ أَنْبٰاءِ اَلرُّسُلِ مٰا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤٰادَکَ وَ جٰاءَکَ فِی هٰذِهِ اَلْحَقُّ وَ مَوْعِظَهٌ وَ ذِکْریٰ لِلْمُؤْمِنِینَ (۱۲۰) وَ قُلْ لِلَّذِینَ لاٰ یُؤْمِنُونَ اِعْمَلُوا عَلیٰ مَکٰانَتِکُمْ إِنّٰا عٰامِلُونَ (۱۲۱) وَ اِنْتَظِرُوا إِنّٰا مُنْتَظِرُونَ (۱۲۲) وَ لِلّٰهِ غَیْبُ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ إِلَیْهِ یُرْجَعُ اَلْأَمْرُ کُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَ تَوَکَّلْ عَلَیْهِ وَ مٰا رَبُّکَ بِغٰافِلٍ عَمّٰا تَعْمَلُونَ (۱۲۳)

اللغه

۱۲۰[نثبّت]:التثبیت تمکین إقامه الشیء من الثبوت.

[فؤادک]:الفؤاد القلب.

ص:۱۴۶

و جاءک فی هذه الحق

هدی من الآیات:

فی نهایه سوره هود یجیب القرآن الحکیم علی هذا السؤال:لماذا الصراع؟ألم یکن ربنا قادرا علی توحید الناس؟فیقول:بلی،و لکن الدنیا دار عمل و انتظار، و سیبقی الناس مختلفین-إلاّ من رحم اللّه فهداه الی صراط مستقیم-و التاریخ صوره لهذا الصراع الممتد،و اللّه یقص علینا من أنباء الرسل لیثبت بها قلب الرسول و قلوب المؤمنین،و لیوضح الحق،و لیلقی بالمواعظ،و لیذکر المؤمنین،فاللّه قد اعطی فی دار الابتلاء فرصه لکل الناس،لیعملوا،و المؤمنون بدورهم یعملون،و لینتظر الجمیع.

و اللّه محیط علما و قدره بغیب السماوات و الأرض و بما فی مستقبل الأشیاء و بحاضرها أیضا،فعلینا أن نعبد اللّه،و أن نتوکل علیه. فاللّه لیس بغافل عما یعمله الناس،فعلمه و قدرته محیطه بما یعملون.

و هکذا ینهی القرآن سوره هود ببیان ضروره التوکل علی اللّه،و قد دارت أکثر

ص:۱۴۷

آیاته حول هذا المحور العام.

بينات من الآيات:

سنه الصراع:

[۱۱۸]الصراع سنه الحیاه التی یجب البحث أبدا عن سبل انهائه،و لکن لا ینبغی السأم منه،أو الالتفات حوله خشیه مجابهته،فهو کالموت المعلق یمکن تجنبه، کالتخلف و المرض،و کالفقر و ککل المشاکل الحضاریه للبشریه التی یجب السعی من أجل تخفیف و وطأتها أنی استطعنا من دون السأم منها.

وَ لَوْ شٰاءَ رَبُّکَ لَجَعَلَ النّٰاسَ أُمَّهً وٰاحِدَهً فلو شاء اللّه لخلق الناس مؤمنین منذ البدء کما خلقهم خلقا سویا،فجعل لهم عینین و لسانا و شفتین،و لکنه ارکز فیهم قوتین مختلفتین وَ هَدَیْنٰاهُ النَّجْدَیْنِ و کلفهم باقتحام العقبه بأنفسهم فَلاَ اقْتَحَمَ الْعَقَبَهَ .

وَ لاٰ یَزٰالُونَ مُخْتَلِفِینَ دون ان یکون الاختلاف مطلوبا من اللّه،و لکن ضعف العقل الذی لم یقسم بین العباد أقل منه،و قوه الشهوات التی زینت لهم کل ذلک یکرسان الاختلاف فیهم.

[۱۱۹]و یبقی الناس مختلفین الا الذین رحمهم اللّه بهداه فانتفعوا به، و اعتصموا بحبله جمیعا،فألف بین قلوبهم بدینه و نوره،لو أنفقنا ما فی الأرض جمیعا ما ألفنا بین قلوبهم.

إذا فالوحده هدف إنسانی سام یسعی من أجله البشر، و هو فی ذات الوقت

غايه الخليقه،فاللّه لم يخلق الناس ليعذبهم بل ليرحمهم،و يجعل بعضهم اخوه بعض، و لكنه سبحانه حملهم مسئوليه تحقيق هذا الهدف التشريعى السامى بعد أن هيأ لهم كلّ أسباب تحقيقه.من رسل و قاده و كتب و شرائع.

إِلاّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَ لِذٰلِكَ خَلَقَهُمْ أما إذا استمروا فى ضلالتهم،و خالفوا الشريعه فإن اللّه سوف يعذبهم عذابا شديدا لأنهم لم يتحملوا مسئوليتهم.

وَ تَمَّتْ كَلِمَهُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّهِ وَ النّٰاسِ أَجْمَعِينَ إذا الصراع طبيعه اولويه،و الوحده غايه تشريعيه،و الاختلاف واقع فاسد يجب إزالته،و الا فالنار جزاء آت لا ريب فيه.

شهاده التاريخ:

[۱۲۰]و القصص التى تليت من صراع الحق و الباطل عبر تاريخ الأنبياء و قومهم الضالين جاءت لتؤكد هذا الصراع،و تعطينا قدره على احتمال صعوباته.

وَ كُلاًّ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبٰاءِ الرُّسُلِ مٰا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤٰادَكَ و أنباء الرسل تؤكد أيضا على إن الرساله حق،و انها منتصره فعلى البشر أن يعمل بها،و أن يستشير عقله بذكراها.

وَ جٰاءَكَ فِي هٰذِهِ الْحَقُّ أىّ جاءك فى هذه الأخبار من تاريخ الرسالات كلمات الحق.

وَ مَوْعِظَهٌ وَ ذِكْرىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ

ص:۱۴۹

خلاصه السوره:

[۱۲۱]و التاریخ یعید نفسه.ذلک لأن سنن اللّه واحده فی الماضی و الحاضر و المستقبل،و لذلک فان الزمن یمر فی صالح الرساله.

وَ قُلْ لِلَّذِینَ لاٰ یُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلیٰ مَکٰانَتِکُمْ أیّ اعملوا علی طریقتکم.

إِنّٰا عٰامِلُونَ [۱۲۲] وَ انْتَظِرُوا إِنّٰا مُنْتَظِرُونَ فنحن واثقون من إن الحق منتصر،و ان صراع الحیاه سوف یختم فی صالحنا بإذن اللّه.

[۱۲۳]و فی هذا الصراع الممتد عبر التاریخ یتزود الرسالیون بالإیمان الصادق باللّه،و بأنه محیط علما و مقدره بما فی غیب السماوات و الأرض،و ان إلیه مصیر الأمور،فهو مالک سره و خبیئته،و هو مالک مصیره.

وَ لِلّٰهِ غَیْبُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ وَ إِلَیْهِ یُرْجَعُ الْأَمْرُ کُلُّهُ من صغائر الأمور و کبائرها،و من وحی هذا الإیمان یأتی إخلاص العبودیه و الطاعه للّه،و أیضا التوکل علیه و العمل من أجله.

فَاعْبُدْهُ وَ تَوَکَّلْ عَلَیْهِ وَ مٰا رَبُّکَ بِغٰافِلٍ عَمّٰا تَعْمَلُونَ

ص:۱۵۰

سوره یوسف

اشاره

ص:۱۵۱

بسم الله الرحمن الرحيم

فضل السوره:

قال النبی محمد صلی الله علیه و آله :

«علموا أرقّائكم سوره يوسف فأنه أيما مسلم تلاها و علمها أهله و ما ملكت يمينه هوّن اللّه تعالى عليه سكرات الموت و أعطاه القوّه أن لا يحسد مسلما» (مجمع البيان-ص-۲۰۶-الجزء-۵-)

عن أبی عبد اللّه علیه السلام قال:

«من قرأ سوره يوسف فى كل يوم و فى كل ليله،بعثه اللّه يوم القيامه و جماله على جمال يوسف،و لا يصيبه فزع يوم القيامه،و كان من أخيار عباد اللّه الصالحين» (نور الثقلين-ص-۴۰۹-الجزء-۲)

عن أمیر المؤمنین علیه السلام قال:

«لا- تعلّموا نساءكم سوره يوسف،و لا تقرؤوهن إيّاها،فان فيها الفتن، و علّموهن سوره النور فان فيها المواعظ» (نور الثقلين-ص-۴۰۹-الجزء-۲-)

الإطار العام

الاسم:تكاد قصه يوسف تعم هذه السوره التی سميت باسمه،بحيث لا تدع مجالا للسؤال:

لماذا الاسم؟

الموضوع:معاناه الرسل الشديده فی الحياه،و تحديهم للضغوط المختلفه،انها معراجهم الی حمل رساله اللّه الی الأرض،و فی قصه يوسف بيان تفصيلی لأنواع من المعاناه التی تمخضت عنها شخصيه يوسف الرساليه،التی كانت فی الأصل مختاره لهذا المنصب،و ذلک بسبب خصاله الذاتيه،و لكن بعد المعاناه التی كانت بمثابه التدريب العملی له.

أهداف القصه فی القرآن:

الرسول-كأی بشر-غافل عما فی الرساله من ذكر و بصائر،استثاره للعقل فينزل اللّه آيات الكتاب واضحه و موضحه«قرآنا عربيا»يهدف دفع الناس باتجاه التفكير و العقل،و يستفيد القرآن من القصص التاريخيه النافعه و الجذابه فی هذا المجال لتكون أقرب الی مدارک البشر فيذكر بها فيما هو غافل عنها.

ص:۱۵۵

[سوره يوسف (١٢): الآيات ١ الى ٣]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ . الر تِلْكَ آيٰاتُ اَلْكِتٰابِ اَلْمُبِينِ (١) إِنّٰا أَنْزَلْنٰاهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ اَلْقَصَصِ بِمٰا أَوْحَيْنٰا إِلَيْكَ هٰذَا اَلْقُرْآنَ وَ إِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ اَلْغٰافِلِينَ (٣)

ص:١۵۶

بينات من الآيات:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ كل شيء قائم باللّه.و كل شخص حى باللّه،و كل تقدم و تكامل يتحقق باسم اللّه،و بتنفيذ برامج الرساله التى أوحى بها اللّه.و تكامل شخصيه الرسل يكون باسم اللّه.ذلك لأنه لو لا التوكل على اللّه لما استطاع الرسل التغلب على مشاكل الحياه..

الهدف من الكتاب:

[١][٢] الر تِلْكَ آيٰاتُ الْكِتٰابِ الْمُبِينِ لقد انزل اللّه الكتاب الذى يبيّن أحكام اللّه،و مناهج الرساله.(و اى الكتاب هى هذه الألف و اللام و الراء-التى ترمز إليها)أنزله اللّه ليقرأ على الناس،و يقرؤه الناس بلغتهم العربيه،التى تعرب عما فى ضمائرهم بوضوح،و الهدف من الكتاب

ص:١٥٧

أن يكون مساعدا لعقل البشر،مثيرا لدفائنه.

إِنّٰا أَنْزَلْنٰاهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ [٣]و اللّه يلقى الضوء على بعض الأحداث التاريخيه،و يقصها علينا باعتبارها أحسن القصص،و أكثرها فائده للناس،و الوسيله هى الوحى الذى لولاه لبقى البشر فى ضلال بعيد،و غفله شامله.

نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ أى القصص الحسنه،و بأسلوب حسن أيضا.

بِمٰا أَوْحَيْنٰا إِلَيْكَ هٰذَا الْقُرْآنَ وَ إِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغٰافِلِينَ الرسول-لولا رساله اللّه و هدايته-واحد من البشر،و هذا بالذات سرّ عظمه الرسل لأنهم متصلون مباشره باللّه سبحانه،و لذلك يبقى الرسول غافلا حتى يأتيه الوحى،كما يبقى البشر غافلا،ناسيا لما عنده من مواهب معنويه و ماديه حتى يهديه اللّه بالرسول.

ص:١٥٨

[سوره يوسف (١٢): الآيات ۴ الى ١٠]

اشاره

إِذْ قٰالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يٰا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَ اَلشَّمْسَ وَ اَلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سٰاجِدِينَ (۴) قٰالَ يٰا بُنَيَّ لاٰ تَقْصُصْ رُؤْيٰاكَ عَلىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً إِنَّ اَلشَّيْطٰانَ لِلْإِنْسٰانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ (۵) وَ كَذٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَ يُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ اَلْأَحٰادِيثِ وَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَ عَلىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمٰا أَتَمَّهٰا عَلىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرٰاهِيمَ وَ إِسْحٰاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (۶) لَقَدْ كٰانَ فِي يُوسُفَ وَ إِخْوَتِهِ آيٰاتٌ لِلسّٰائِلِينَ (٧) إِذْ قٰالُوا لَيُوسُفُ وَ أَخُوهُ أَحَبُّ إِلىٰ أَبِينٰا مِنّٰا وَ نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبٰانٰا لَفِي ضَلاٰلٍ مُبِينٍ (٨) اُقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اِطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَ تَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْماً صٰالِحِينَ (٩) قٰالَ قٰائِلٌ مِنْهُمْ لاٰ تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَ أَلْقُوهُ فِي غَيٰابَتِ اَلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ اَلسَّيّٰارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فٰاعِلِينَ (١٠)

اللغه

۶[يجتبيك]:الاجتباء معالى الأمور للمجتمعين.

٧[آيات]:عبر.

٨[عصبه]:العصبه الجماعه التى يتعصب بعضها لبعض و يعين بعضها بعضا.

ص:١۵٩

۹[اطرحوه أرضا]:ألقوه فی أرض بعیده.

[یخل لکم وجه أبیکم]:تخلص لکم محبه الأب،و تملکون قلبه.

۱۰[غیابت الجبّ]:الجب هو البئر و انما سمی البئر جبّا لأنه قطع عنها ترابها حتی بلغ الماء من غیر طی و منه المجبوب،و کل ما غاب شیء عن الحس بکونه فیه فهو غیابه،فغیابه البئر شبه لحف أو طاق فوق ماء البئر.

[السیاره]:الجماعه المسافرون،سمّوا بذلک لأنهم یسیرون فی البلاد،و قیل هم مارّه الطریق.

ص:۱۶۰

رؤيا تبشر بالمستقبل

هدى من الآيات:

ما هی أحسن القصـص التی تثیر العقل،و ترفع حجاب الغفله و التی بشـرت بها آیات الـدرس السابق؟ ها هی قصه یوسف واحده من أحسن القصـص و هی أطول قصّه قرآنیه ذکرت جمله واحـده عن قصّ یوسف رؤیـاه علی والـده یعقوب علیه السـلام کیف رأی فی المنام أحد عشـر کوکبا،و الشـمس و القمر یسـجدون له جمیعا،ففسـره والده رأسا بان اللّه سوف یصطفی یوسفا من بین إخوته لیکون وارثا لرساله اللّه التی أتاها اللّه من قبل -إبراهیم و إسـحاق- و لیکون فاتحا لعهد جدید فی حیاه الأسـره بفضل نعم اللّه التامه علیه،و لیکون عالما بعواقب الأمور و بالوحی،و لکم حـذّر یعقوب یوسف علیهما السـلام من نقل رؤیاه لأخوته من قبل ان یفسرها له لأن الشیطان عدو مبین للإنسان،فیدفع اخوته ضده بخطط السوء.

ان حسد اخوه یوسف کان سابقا لرؤیاه.لذلک جلسوا یتآمرون ضد سلامته

ص:۱۶۱

و قـالوا: إِنَّ أَبٰانٰا لَفِی ضَـلاٰلٍ مُبِینٍ حیث یحب أخانا الأصـغر یوسف بینما یترکنا نحن الکبار المتحـدین مع بعضـنا،فلا بـد إذا من التخلص من یوسف بقتله أو نفیه عن هـذه الأرض لیبقی لهم وجه أبیهم خالصـا دون منـافسه یوسف،و حنّ قلب واحـد منهم، و نصحهم بألا یقتلوه بل یرموا به إذا أرادوا به شرّا فی غیابت الجب لتلتقطه بعض القوافل السیاره فی ذلک الطریق.

بینات من الآیات:

الرؤیا بصیره المستقبل:

[۴]کـان یوسف الثـانی عشـر من أبنـاء یعقوب(إسـرائیل)و هو حفیـد إبراهیم الخلیل،و أبن إسـحاق،و کان بالرغم من صـغر سـنه الأکفاء بین أخوته،و لذلک أختاره اللّه لیکون و ریث الرساله إذ ان.

« اَللّٰهُ أَعْلَمُ حَیْثُ یَجْعَلُ رِسٰالَتَهُ » و قام ذات صـباح مسـرعا الی أبیه یقصّ علیه خبر رؤیاه العجیبه.و هو آنئذ غلام مراهق مضی من عمره أثنی عشر ربیعا.

ماذا رأی؟رأی أحد عشر کوکبا کما رأی الشمس و القمر،ثم کانت دهشته کبیره حین رآهم کأنهم یسجدون له.

إِذْ قٰالَ یُوسُفُ لِأَبِیهِ یٰا أَبَتِ إِنِّی رَأَیْتُ أَحَدَ عَشَرَ کَوْکَباً وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ رَأَیْتُهُمْ لِی سٰاجِدِینَ [۵]أول نصیحه قدّمها یعقوب لابنه و قبل ان یفسر رؤیاه هی التحذر من أخوته الاّ یحسدوه.

قٰالَ یٰا بُنَیَّ لاٰ تَقْصُصْ رُؤْیٰاکَ عَلیٰ إِخْوَتِکَ فَیَکِیدُوا لَکَ کَیْداً

ص:۱۶۲

أی یدبروا لک سوء،و السبب أن نوازع الشر موجوده لدی البشر،و الشیطان یدغدغ هذه النوازع لیثیرها.

إِنَّ الشَّیْطانَ لِلْإِنْسانِ عَدُوٌّ مُبِینٌ و لان یوسف الأخ الأصغر لأخوته،و لأنه من أم أخری یقال ان أسمها(راهیل) و قد توفیت،و کان یحن علیه أبوه لتعویضه عن الحنان الأمّی المفقود فکان الجو مهیا لتنامی الحسد فیهم.لذلک حذر،منهم یعقوب.

و جاء فی حدیث ان تظاهر یعقوب بحب یوسف کان السبب فی إثاره أخوته علیه،بینما المفروض ان یخفی الأب شده حبه لأحد أولاده عن أنظار الآخرین لکی لا یحسدوه و ربما کان فی تظاهر یعقوب فی حبه لابنه یوسف احترامه للخصال الکریمه التی کانت عنده،و ذلک بهدف تشجیع الآخرین علی التحلی بها.

علی العموم کان یعقوب یعرف مدی حسد أخوه یوسف تجاه أخیهم النّابه و یتحذر من اثاره الحسد.

[۶]ثم فسر یعقوب رؤیا یوسف،و بیّن أنها تدل:

أولا:علی ان اللّه سوف یصطفی یوسف،و یرزقه علما بعواقب الأمور التی سماها بتأویل الأحادیث.أی معرفه ما یئول الیه الأحادیث-و کیفیه جریانها.

ثانیا:أنه سوف یتم نعمته علیه بنصرته علی أعداءه کما فعل بآبائه الصالحین.

وَ کَذٰلِکَ یَجْتَبِیکَ رَبُّکَ وَ یُعَلِّمُکَ مِنْ تَأْوِیلِ الْأَحٰادِیثِ وَ یُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَیْکَ وَ عَلیٰ آلِ یَعْقُوبَ کَمٰا أَتَمَّهٰا عَلیٰ أَبَوَیْکَ مِنْ قَبْلُ إِبْرٰاهِیمَ وَ إِسْحٰاقَ إِنَّ رَبَّکَ عَلِیمٌ حَکِیمٌ

ص:۱۶۳

يعلم ما يخفيه الناس و ما يظهرونه من نيّه و عمل.فيؤتيهم بصلاح نيّاتهم و أعمالهم.لذلک فهو قد اجتبى يوسف بحق،و بقيه القصه تدل على ذلک.

[۷]لقد کان فى قصص يوسف.و قصص أخوته الذين کادوا له فى البدء ثم تابوا و أصلحوا-کان للناس-فيها آيات تهديهم الى طبيعه الإنسان فى کبوته أمام الشهوات،ثم تعرضه للآلام،و أخيرا توبته و إصلاح نفسه،و لکن هذه العبره ليست لکل الناس بل للسائلين منهم الذين يبحثون عن الحقيقه لإحساسهم بمدى الحاجه إليها.

لَقَدْ کَانَ فِي يُوسُفَ وَ إِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ فما هى تلک الآيات؟سوف نجد نوعين من العبر التاريخيه فى قصه يوسف و أخوته.

الأولى:ان العاقبه للمتقين،و هذا النوع يتبيّن لنا فى نهايه القصه فقط.

الثانيه:آيات تکشف نفسيّه البشر،و طبيعه القوى المتناقضه فى ذاته،و کيف يعين اللّه عباده فى الأوقات الحرجه،و ما أشبه من العبر التى تستوحى من اللحظات الحساسه فى القصه.لذلک علينا أن نلاحظ فى تدبرنا لقصه يوسف هذين النوعين من الآيات المفيده للسائلين.

المؤامره:

[۸]جلس أخوه يوسف يتآمرون و قالوا:ان يوسف و أخاه من أمه أحب الى قلب أبينا منا،بينما نحن أکثر عددا منهم،و ينبغى ان نکون نحن الوارثين لأمجاد أبينا، فأبونا إذا فى ضلال مبين.

ص:۱۶۴

إِذْ قٰالُوا لَيُوسُفُ وَ أَخُوهُ أَحَبُّ إِلىٰ أَبِينٰا مِنّٰا وَ نَحْنُ عُصْبَهٌ إِنَّ أَبٰانٰا لَفِی ضَلاٰلٍ مُبِینٍ قال بعض المفسرين ما يلى:أى فى ذهاب عن طريق الصواب الذى هو العدل بيننا فى المحبه،و قيل معناه:أنه فى خطأ من الرأى فى أمور الأولاد و التدبير الدنيوى، و نحن أقوم بأمور مواشيه و أمواله و سائر أعماله،و لم يريدوا به الضلال عن الدين لأنهم لو أرادوا ذلك لكانوا كفارا،و ذلك خلاف الإجماع (۱)و يبدو ان الضلال المقصود انما هو الضلال عن الطريق القويم فى معامله أبنائه.

[۹]و إذا كان الأب فى ضلال فلا بد أن يعارضوه و يقاطعوه،و لكنهم كادوا ليوسف-أخيهم البرىء-و تآمروا على أن يقتلوه،أو ينفوه فى ارض بعيده يموت فيها.

و السبب:ان منطلقهم الفكرى كان(العنصريه)التى اوحت إليهم بأنهم ما داموا عصبه فهم أفضل من غيرهم،و هذا هو منطق القوه الذى يتكلم به كل الطغاه، و إذا كان اخوه يوسف يقيّمون أنفسهم وفق المقاييس الرساليه لعرفوا بأن صفات يوسف الرساليه أحسن من صفاتهم،فهو أحقّ بحب والدهم منهم لذلك قالوا:

اُقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَ تَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْماً صٰالِحِينَ ان اخوه يوسف حاولوا الجمع بين الدين و الدنيا،بين الحق و الباطل،فمن جهه أثارهم حسدهم و نظرتهم العنصريه الى أنفسهم.نحو قتل أخيهم البرىء،و من جهه

۱- ۱) مجمع البيان الجزء الخامس/ص ۲۱۲

ثانيه فكروا فى أن يصبحوا صالحين فى يوم من الأيام.

[۱۰]و أدرك أحدهم حنان الأخوه.

قٰالَ قٰائِلٌ مِنْهُمْ لاٰ تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَ أَلْقُوهُ فِى غَيٰابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيّٰارَهِ إِنْ كُنْتُمْ فٰاعِلِينَ غيابت الجب شبه طاق فوق ماء البئر،و يقال:ان قائل هذا القول هو(لاوى) من أخوه يوسف،و يقال:انه كبيرهم الذى رفض مواجهه أبيه عند ما أخذ أخاهم منهم عند ما اتهمه يوسف بالسرقه خدعه،و هكذا انصرفوا عن قتل يوسف.و اجمعوا على أن يجعلوه قريبا من البئر فى الصحراء ليأخذه بعض الماره لقيطا.

و هؤلاء اخوه يوسف الذين تآمروا عليه حرموا النبوه،بالرغم من توبتهم أخيرا، و أنهم الأسباط الذين انحدرت من نسلهم الأنبياء ذلك لان النبوه لا تعطى لمثل هؤلاء الذين يقومون بمعاصى كبيره فى حياتهم،فاللّه أعلم حيث يجعل رسالته.

ص:۱۶۶

[سوره يوسف (١٢): الآيات ١١ الى ١٨]

اشاره

قالُوا يا أَبانا ما لَكَ لا تَأْمَنّا عَلى يُوسُفَ وَ إِنّا لَهُ لَناصِحُونَ (١١) أَرْسِلْهُ مَعَنا غَداً يَرْتَعْ وَ يَلْعَبْ وَ إِنّا لَهُ لَحافِظُونَ (١٢) قالَ إِنِّی
لَيَحْزُنُنِی أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَ أَخافُ أَنْ يَأْكُلَهُ اَلذِّئْبُ وَ أَنْتُمْ عَنْهُ غافِلُونَ (١٣) قالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ اَلذِّئْبُ وَ نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنّا إِذاً لَخاسِرُونَ (١۴)
فَلَمّا ذَهَبُوا بِهِ وَ أَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِی غَيابَتِ اَلْجُبِّ وَ أَوْحَيْنا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هذا وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ (١۵) وَ جاؤُ أَباهُمْ عِشاءً
يَبْكُونَ (١۶) قالُوا يا أَبانا إِنّا ذَهَبْنا نَسْتَبِقُ وَ تَرَكْنا يُوسُفَ عِنْدَ مَتاعِنا فَأَكَلَهُ اَلذِّئْبُ وَ ما أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنا وَ لَوْ كُنّا صادِقِينَ (١٧) وَ جاؤُ
عَلى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَ اَللّهُ اَلْمُسْتَعانُ عَلى ما تَصِفُونَ (١٨)

اللغه

١١[لا تأمنّا]:لا تثق بنا.

ص:١۶٧

مؤامره الحاسدين

هدى من الآيات:

و احكموا الخطه،و جاؤوا الى أبيهم ليلا طالبين منه أن يبعث معهم يوسف فى الصباح ليتمشوا و ليلعبوا،و تساءلوا لماذا لا يؤمّنهم على يوسف أو ليسا أخوته و هم له ناصحون؟!فقال يعقوب ان غياب يوسف يثير حزنى،كما يثير خوفى من الحاق ضرر به.كأن يأكله الذئب حين تغفلون عنه،و لكنهم أصروا على طلبهم،و تعهدوا بألّا يغفلوا عنه.كيف و هم جماعه؟!ان ذلك فقدان لعزّهم و كرامتهم و لعصبتهم، فلما ذهبوا به الى الصحراء أجمعوا أمرهم على ان يجعلوه فى طرف البئر من داخلها و جاءه الوحى يخبره بأنه سوف يتغلب عليهم و يذكرهم بهذا اليوم فى الوقت الذى لا يشعرون.

و تأخروا فى العوده حتّى جن الليل.و تصايحوا بالبكاء و ادّعوا لأبيهم أنهم راحوا يتسابقون و تركوا يوسف يحرس متاعهم،فلما عادوا وجدوا الذئب قد أكل أخاهم و جاؤوا بقميص يوسف عليه دم كذب،و لكن الدم كشف كذب أحدوثتهم،فقال

ص:۱۶۸

يعقوب لهم كلاـ.ان ذلك أمر سوّلته لكم شهواتكم فاننى أصبر صبرا لا جزع فيه، و لا خروج عن القيم،و أستعين بربى فى دفع المكاره.

بينات من الآيات:

[۱۱]جاء اخوه يوسف الى أبيهم و طرحوا عليه سؤالا محرجا.

قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لاَ تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَ إِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ يبدو ان يعقوب كان يخفى عنهم علمه بحسدهم ليوسف لكى لا يسبب ذلك إعطاء شرعيه لهذا الحسد،و لكن كان يباشر أمور ابنه الصغير بنفسه،و لا يدعها عند إخوته-و من هنا كان السؤال محرجا-إذ أدّعى أخوه يوسف ان قلوبهم صافيه تجاه أخيهم! و على نبى اللّه الذى جاء رحمه لعباده ألاّ يقول لمن القى اليه السلام لست مسلما.لهذا رد عليهم يعقوب بلطف،و لم يقل أنه لا يثق بهم-و هو لم يكن يثق بهم فعلا-.

[۱۲]ثم بعد ان هيؤوا الجو طالبوا أباهم بأن يثبت لهم عن حسن ظنه بهم، و يبعث بيوسف معهم فى اليوم الثانى ليفرّجوا عن همهم،و يتمشوا فى الصحراء و ليلعبوا.

أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَداً يَرْتَعْ وَ يَلْعَبْ ثم أكدوا له أنهم سوف يتولون حراسته و حفظه.

وَ إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ [۱۳]فبرّر يعقوب عليه السلام إبقاء يوسف عنده لأنه شيخ كبير،يستأنس

ص:۱۶۹

بيوسف،و يحزن لغيابه عنه،كما قال:بأنه يخشى عليه من الذئب،و بين لهم أنه قد يحدث ذلك و هم عنه غافلون،فلا يمكنهم الوفاء بوعدهم لعدم قدرتهم على ذلك.

قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَ أَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَ أَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ جاء في الحديث ان اخوه يوسف لم يخططوا لأبعاد المؤامره جميعا،بيد أن يعقوب عليه السلام أعطاهم بأقواله تبريرا لفعلهم،فعرفوا أن المنطقه يرتادها الذئاب،و أن بامكانهم ادعاء الغفله-و هكذا-مما يدل على ضروره التحذر في الحديث مع الكاذب.

[۱۴]عادوا و أكدوا بشرفهم و بعصبتهم انهم سوف يحافظون على يوسف،و قالوا كيف نسمح لأنفسنا ان يتلطخ شرفنا بهذا العار،فلا نستطيع ان نحافظ على أخينا الصغير من الذئب انها خساره لسمعتنا الغاليه.

قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَ نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذاً لَخَاسِرُونَ [۱۵]فذهبوا بيوسف و أجمعت إرادتهم و عزائمهم على أمر واحد هو جعله في داخل البئر.دون ان يلقوه في مائها ليغرق،بل ليلتقطه بعض السياره-كما أوصاهم أخوه لاوى-.

فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَ أَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ هناك أدركته رحمه ربه حيث جاءه الوحي يبشره بأنه منصور، و انه سيأتي يوم بعيد تكون الأيام قد أنست هؤلاء فعلتهم القبيحه،فيخبرهم يوسف بهذا الأمر الفضيع و هم لا يشعرون.

وَ أَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هٰذَا وَ هُمْ لاَ يَشْعُرُونَ

ص:۱۷۰

و بالرغم من ان محنه يوسف قد ابتدأت منذ تلك اللحظه إلّا ان يد الغيب هرعت اليه لتكون بديلا عن حمايه اخوته الخائنين به،و هكذا تشتد الأمور لتنفرج بإذن اللّه،و يأتى بعد العسر يسر من فضل اللّه.

جا فى الحديث عن الامام الصادق عليه السلام قال:

«لما القى اخوه يوسف فى الجب نزل عليه جبرائيل فقال له:يا غلام!من طرحك هنا فقال:اخوتى لأبى لمنزلتى من أبى حسدونى،و لذلك فى الجب طرحونى،فقال:أ تحب أن تخرج من هذا الجب؟ قال:ذلك إلى إله إبراهيم و إسحاق و يعقوب،فقال له:جبرائيل:فان اله إبراهيم و إسحاق و يعقوب يقول لك:قل:اللّهم إنّى اسألك بأنّ لك الحمد لا إله إلّا أنت بديع السموات و الأرض،يا ذا الجلال و الإكرام،أن تصلّى على محمد و آل محمّد،و ان تجعل لى من أمرى فرجا و مخرجا،و ترزقنى من حيث احتسب و من حيث لا احتسب فجعل اللّه له من الجب يومئذ فرجا و مخرجا،و من كيد المرأه مخرجا،و آتاه ملك مصر من حيث لم يحتسب» (۱) [۱۶]و لنترك يوسف تحوطه يد الرحمه الالهيه،و تربّيه فى غيابت الجب،و يأتى أحد اخوته بطعام له،و لنعد الى البيت حيث نجد يعقوب ينتظر بفارغ الصبر عوده ابنه الحبيب،و يتأخر إخوه يوسف أكثر من العاده،فلما أسدل الليل ستاره جاؤوا الى أبيهم لعل ظلام الليل يغطى بكاءهم الكاذب.

۱- ۱) مجمع البيان ص ۲۱۷-ج ۵

وَ جٰاؤُ أَبٰاهُمْ عِشٰاءً يَبْكُونَ [١٧]و قبل ان يسألهم يعقوب عن يوسف الذى لم يجده بينهم بادروه بالكلام.

قٰالُوا يٰا أَبٰانٰا إِنّٰا ذَهَبْنٰا نَسْتَبِقُ وَ تَرَكْنٰا يُوسُفَ عِنْدَ مَتٰاعِنٰا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ و لكن بسبب كذبهم و عدم ايمانهم بما يقولون بدرت منهم كلمه أظهرت ما اخفوه فقالوا:

وَ مٰا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنٰا وَ لَوْ كُنّٰا صٰادِقِينَ و لو كانوا صادقين فعلا لكانت الشواهد الواقعيه هى التى تكشف عن صدق حديثهم،و لم يكونوا بحاجه الى هذا الكلام.

[١٨]و ذبحوا ذبيحه لطخوا قميص يوسف بدمه،ناسين أن دم البشر يختلف عن دم الحيوان حتى بعد تخثره،و الخبير يميزه بسهوله،كما أنّهم نسوا تمزيق قميص يوسف مما عرف ان العمليه كذب باعتبار الذئب لا يخلع ثوب ضحيته ثم يأكله.

وَ جٰاؤُ عَلىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قٰالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً و

جاء فى الحديث:

«ان يعقوب قال حينما رأى القميص:لقد أكلك ذئب رحيم،أكل لحمك و لم يشقّ قميصک» (١)

و جاء فى حديث آخر:

ص:١٧٢

١- ١) المصدر

«تنبّه يعقوب على أنّ الـذئب لو أكله لمزق قميصه،لـذلك لمـا ذكرهم بـذلك قـالوا:بل قتله اللصوص،فقال:فكيف قتلوه و تركوا قميصه و هم الى قميصه أحوج منهم الى قتله» (۱)من هنا عرف يعقوب ان كيد اخوه يوسف قد أحاط به،فقال:

فَصَبْرٌ جَمِيـلٌ وَ اللّهُ الْمُسْتَعانُ عَلىٰ ما تَصِفُونَ اى أصبر صبرا جميلا-بالاستعانه باللّه فيما اصابنی من خيانه ابنائی بی و بأخيهم،و كذبهم علیّ و تآمرهم ضدی.

ص:۱۷۳

۱- ۱) المصدر

[سوره یوسف (۱۲): الآیات ۱۹ الی ۲۳]

اشاره

وَ جٰاءَتْ سَيّٰارَةٌ فَأَرْسَلُوا وٰارِدَهُمْ فَأَدْلىٰ دَلْوَهُ قٰالَ يٰا بُشْرىٰ هٰذٰا غُلاٰمٌ وَ أَسَرُّوهُ بِضٰاعَةً وَ اَللّٰهُ عَلِيمٌ بِمٰا يَعْمَلُونَ (۱۹) وَ شَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرٰاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَ كٰانُوا فِيهِ مِنَ اَلزّٰاهِدِينَ (۲۰) وَ قٰالَ اَلَّذِي اِشْتَرٰاهُ مِنْ مِصْرَ لاِمْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوٰاهُ عَسىٰ أَنْ يَنْفَعَنٰا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَ كَذٰلِكَ مَكَّنّٰا لِيُوسُفَ فِي اَلْأَرْضِ وَ لِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ اَلْأَحٰادِيثِ وَ اَللّٰهُ غٰالِبٌ عَلىٰ أَمْرِهِ وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَ اَلنّٰاسِ لاٰ يَعْلَمُونَ (۲۱) وَ لَمّٰا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنٰاهُ حُكْماً وَ عِلْماً وَ كَذٰلِكَ نَجْزِي اَلْمُحْسِنِينَ (۲۲) وَ رٰاوَدَتْهُ اَلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهٰا عَنْ نَفْسِهِ وَ غَلَّقَتِ اَلْأَبْوٰابَ وَ قٰالَتْ هَيْتَ لَكَ قٰالَ مَعٰاذَ اَللّٰهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوٰايَ إِنَّهُ لاٰ يُفْلِحُ اَلظّٰالِمُونَ (۲۳)

اللغه

۱۹[واردهم]:الوارد الذی یتقدم الرفقه الی الماء لیستقی.

[و أسروه]:أخفوه،و یقال:أسررت الی فلان حدیثا أی أفضیت الیه خفیه،و کنّی عن النکاح بالاسرار لأنه یخفی،و سرّه البطن ما یبقی بعد القطع و ذلک لاستتارها بعکس البطن.

[بضاعه]:البضاعه المال الوافر یقتنی للتجاره،و الأصل فی الکلمه الجمله من اللحم تبضع أی تقطع،و بضعه فابتعض و تبعّض کقولک قطعته فانقطع و تقطع.

۲۰[بخس]:البخس النقص من الحق،یقال بخسه فی الکیل أو الوزن إذا نقصه من حقه فیهما.

۲۱[أکرمی]:الإکرام إعطاء المراد علی جهه الإعظام.

[مثواه]:الثواء الاقامه،و المثوی موضع الاقامه.

۲۳[و غلقت]:التغليق أطباق الباب بما يعسر فتحه،و انما عدّد ذلک لتکثير الاغلاق أو المبالغه فی الايثاق.

[هيت لک]:أقبل و بادر.

ص:۱۷۵

یوسف یتحدی الفساد

هدی من الآیات:

و بقی یوسف فی الجب حتی جاءت قافله تسیر فی ذلک الطریق.فبعثوا واحدا منهم یجلب لهم الماء،فأدلی دلوه فی البئر،و لما ثقل الدلو بسبب تعلق یوسف به استبشر خیرا به،و زعم بأنه بضاعه حباها اللّه له و لکنه أسر بها لکی لا یکتشف انّه غلام حرّ و اللّه علیم بعملهم.

و لکی لا یفتضح أمره بادر ببیعه بثمن بخس و دراهم معدوده،و کان الجمیع یحذرون من شرائه لعدم معرفه واقع أمره،و جاؤوا به الی مصر حیث اشتراه عزیز مصر الذی قال لزوجته اکرمی مثوی هذا الغلام و احترمیه،فلربما ینفعنا فی حیاتنا الاجتماعیه،أو نتخذه ولدا فی حیاتنا الشخصیه،و تلک کانت من إرهاصات یوسف حیث مکنّه اللّه فی الأرض ابتداء من بیت ملک مصر بما أعطاه اللّه من علم بعواقب الأمور،بینما أکثر الناس لا یعلمون.

و بلغ یوسف مرحله البلوغ،فآتاه اللّه النبوه و العلم بسبب إحسانه السابق،

ص:۱۷۶

و حین بلغ مبلغ الرجال طلبت منه صاحبه البیت الفاحشه،و هیأت و سائلها بغلق الأبواب.و تهیئه فرص الفاحشه و لکنه أبی بشده و استعاذ باللّه من الشیطان،و قال بأن اللّه الذی ربانی و أحسن مثوای لا أعصیه و ان الظالمین لا یفلحون.

بینات من الآیات:

فأرسلوا واردهم:

[۱۹]کم بقی یوسف فی الجب؟ ثلاثه أیام أم أکثر،و ماذا کان طعامه؟هل کان یأتیه أحد اخوته بطعامه أم کان یکتفی بالماء،أم ان جبرائیل کان ینزل علیه الطعام لا ندری بالضبط!انما المهم ان اللّه سبحانه هیأ أسباب نجاه یوسف و تأدیب اخوته،فجاءت قافله سیاره ربما کانت تجاریه،فأرسلوا واحدا منهم یرد الماء قبل الآخرین علی عاده القوافل، خشیه مفاجأه غیر ساره،فلما أرسل دلوه فی البئر تعلق به یوسف،فنظر فاذا هو بغلام ما أجمله فاستبشر به خیرا.

وَ جٰاءَتْ سَیّٰارَهٌ فَأَرْسَلُوا وٰارِدَهُمْ فَأَدْلیٰ دَلْوَهُ قٰالَ یٰا بُشْریٰ هٰذٰا غُلاٰمٌ لقد کان یوسف فی غایه الحسن حتی

جاء فی الحدیث عن النبی صلی الله علیه و آله :

أعطی یوسف شطر الحسن و النصف الآخر لسائر الناس. (۱)

و لم یبد الوارد للسیاره انه قد التقطه من البئر لکی لا یجری علیه حکم اللقیط بل اتخذه بضاعه و کتم الحقیقه عن رفاقه،بید أن اللّه یعلم أنّ یوسف لیس عبدا، و هو یحافظ علی حریته..

۱- ۱) میزان الحکمه ص ۴۲۸ رقم ۱۹۳۱۷

وَ أَسَرُّوهُ بِضٰاعَةً وَ اللّٰهُ عَلِيمٌ بِمٰا يَعْمَلُونَ [٢٠]باعوا يوسف بثمن قليل،دراهم معدوده لقلتها،و انما يعدّ الشيء القليل، و زهدوا فيه بالرغم من حسنه المفرط،و ربما السبب محاوله التخلص منه مخافه ان يفضحهم، و يبيّن انه ليس بعبد فيخسرون حتى هذا الثمن القليل.

وَ شَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرٰاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَ كٰانُوا فِيهِ مِنَ الزّٰاهِدِينَ كانت ملامح العبد و صفاته النفسيه تختلف عن ملامح يوسف الذى كان كما

يقول الرسول فيما روى عنه: «الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم». (١)

لذلك زهد فيه الناس،و لكن لننظر عاقبه هذا الغلام الذى ينبذه اخوته فى البئر و يزهد فيه السياره،كيف يصبح سيدا و رئيسا.

التمكين:

[٢١]جاؤوا بيوسف الى مصر حيث اشتراه سيد مصر و مليكهم ليكون مساعده فى شؤونه،أو من ولده و ولى عهده.

وَ قٰالَ الَّذِي اشْتَرٰاهُ مِنْ مِصْرَ لاِمْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوٰاهُ أى اجعلى مكانته كريمه و ساميه عندك،فلا تستخدميه كأىّ عبد آخر،بل حاولى أن تربيه و تكلفيه الأعمال الهامه.

عَسىٰ أَنْ يَنْفَعَنٰا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً

١- ١) بح ١٢ ص ٢١٨

و هكـذا أصـبح الغلاـم الطريـد الـذى زهـدوا فيه ابنا لعزيز مصـر،و هكـذا مكنّه اللّه فى الأرض ماديا،أما معنويا فسوف يعلمه من تأويل الأحاديث حتى يعرف عواقب الأمور،و سنن الحياه و أنظمه الكون.

وَ كَذٰلِكَ مَكَّنّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَ لِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحادِيثِ وَ اللّهُ غالِبٌ عَلىٰ أَمْرِهِ وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَ النّاسِ لا يَعْلَمُونَ يزعم الناس أن حوادث الزمان تجرى على غير هدى،و لا يعلمون ان وراء ما يسـمى بالصدف اراده حكيمه،و وراء ما يسمى بالانظمه و السنن الطبيعيه تدبير رشـيد من اللّه سبحانه،و هكذا يشاء تدبير اللّه أن يزهد فى يوسف قوم فيشتريه عزيز مصر،كما يشاء تدبيره الاّ يقتل بل يوضع فى غيابت الجب،و أن تكون أول قافله تجاريه تمر من هناك متجهه الى مصـر،و هكـذا تتلاحق ما يسـمى بالصدف، و الاتّفاقات حتى يصبح يوسف سيد مصر.

[۲۲]شبّ يوسف و بلغ سنّ الرشد،و أتاه اللّه النبوه و العلم بسبب إحسانه.

وَ لَمّا بَلَغَ أَشُدَّهُ يبدو لى ان بلوغ الأشد هو بلوغه سن الرشد.

آتَيْناهُ حُكْماً وَ عِلْماً الحكم هى السـلطه الالـهيه التى تتجسـد فى النبوه،بينمـا العلم هو فقه الأحكـام الشـرعيه و مـا يتصل بها من متغيرات الحياه.

وَ كَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ فلان يوسف أحسن الى الناس و تحمل الصعاب من أجلهم،فاللّه بعثه رسولا

إليهم لان أهم صفه يحتاجها الرسول بعد الطهاره و الصدق هی حب الناس، و الإحسان إليهم.

[۲۳]طلبت امرأه العزيز من يوسف الفاحشه،و هيأت و سائلها بتزيين نفسها، و سدّ الأبواب،و دعته الی نفسها صراحه.

[و راودته] المراوده:المطالبه بأمر بالرفق و اللين ليعمل به.

ان امرأه العزيز لم تكتف بافساح المجال امام يوسف كما هو شأن المرأه بالنسبه الی الرجل،بل طالبته بأنواع الدلال و الغنج و الخضوع بالقول و الزينه، و استخدمت فی ذلک سلطتها عليه باعتبارها سيده البيت الذی يعمل يوسف فيه، لذلک قال ربنا عنها:

اَلَّتِی هُوَ فِی بَيْتِهٰا عَنْ نَفْسِهِ أی طلبت منه أمرا صادرا عن نفس يوسف،و بتعبير آخر:طلبت منه الانتفاع بنفس يوسف لا بخدمته كما كان المفروض فی مثل حاله.

وَ غَلَّقَتِ الْأَبْوٰابَ وَ قٰالَتْ هَيْتَ لَکَ أی تعال فالفرصه مهيأه لک.

و لكن يوسف رفض بشده و بلا تردد.

قٰالَ مَعٰاذَ اللّٰهِ إِنَّهُ رَبِّی أَحْسَنَ مَثْوٰایَ ان اللّه هو الذی أكرم علی يوسف بالجمال و العافيه،و هو الذی هيأ له المكانه

فی بیت العزیز و لیس العزیز أو امرأته.لـذلک لاـ ینبغی لـه أن یکفر بنعمـه اللّـه، و یفعـل الفـاحشه،کمـا انـه لاـ یفلـح مـن یفعل الفاحشه،لأنه ظالم لنفسه،منحرف عن الرشاد.

إِنَّهُ لاٰ یُفْلِحُ الظّٰالِمُونَ فبالرغم من إغراء الفاحشه فی الظاهر فانها سیئه العاقبه.

ان التحرر من سـلطه المالـک ذی القوه کـان عظیما عنـد یوسف بقـدر التحرر من إغراء جمال زلیخا و دعوته الی نفسـها بـذلک الإصرار،و لکن الاستعاذه باللّه و تذکر نعم اللّه الواسعه علی الفرد،کما ان تذکر العاقبه یعطی القدره علی مقاومه کل إغراء و کل تهدید.

و هذا-أفضل عبره نستفیدها من هذا الدرس-.

ص:۱۸۱

[سوره یوسف (۱۲): الآیات ۲۴ الی ۲۹]

اشاره

وَ لَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَ هَمَّ بِهٰا لَوْ لاٰ أَنْ رَأیٰ بُرْهٰانَ رَبِّهِ کَذٰلِکَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ اَلسُّوءَ وَ اَلْفَحْشٰاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبٰادِنَا اَلْمُخْلَصِینَ (۲۴) وَ اِسْتَبَقَا اَلْبٰابَ وَ قَدَّتْ قَمِیصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَ أَلْفَیٰا سَیِّدَهٰا لَدَی اَلْبٰابِ قٰالَتْ مٰا جَزٰاءُ مَنْ أَرٰادَ بِأَهْلِکَ سُوءاً إِلاّٰ أَنْ یُسْجَنَ أَوْ عَذٰابٌ أَلِیمٌ (۲۵) قٰالَ هِیَ رٰاوَدَتْنِی عَنْ نَفْسِی وَ شَهِدَ شٰاهِدٌ مِنْ أَهْلِهٰا إِنْ کٰانَ قَمِیصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَ هُوَ مِنَ اَلْکٰاذِبِینَ (۲۶) وَ إِنْ کٰانَ قَمِیصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَکَذَبَتْ وَ هُوَ مِنَ اَلصّٰادِقِینَ (۲۷) فَلَمّٰا رَأیٰ قَمِیصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قٰالَ إِنَّهُ مِنْ کَیْدِکُنَّ إِنَّ کَیْدَکُنَّ عَظِیمٌ (۲۸) یُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هٰذٰا وَ اِسْتَغْفِرِی لِذَنْبِکِ إِنَّکِ کُنْتِ مِنَ اَلْخٰاطِئِینَ (۲۹)

اللغه

۲۵[قدّت]:القد شق الشیء طولا.

[من دبر]:من الخلف.

[ألفیا]:وجدا.[من قبل]:من المقدمه.

ص:۱۸۲

هدی من الآیات:

انتهی بنا السیاق عنـد رفض یوسف طلب امرأه العزیز،و لکن لماذا رفض بعـد أن هیأت له الظروف؟ لأنه رأی برهان ربه فتـذکر نعم اللّه علیه،و انه لاـ یفلـح الظالمون،و یـد اللّه أنقـذت یوسف من عواقب الزنا المادیه و المعنویه لأنه کان قـد أخلص للّه نفسه، فـأخلصه اللّه لنفسه،و أراد یوسف الهرب و أرادت زلیخا امرأه العزیز منعه،و تعلقت بقمیص یوسف من الخلف فانشق القمیص،و إذا بزوجها علی الباب فافتعلت تهمه،و ادعت ان یوسف أراد بها سوء،و طالبته بأن یسجنه أو یعذبه،و قال یوسف:

انهـا هی التی طلبت منی الفاحشه فرفضت،و جاءت الشـهاده من داخل بیتها و من أهلها أن شقّ القمیص إن کان من الخلف فهی التی لحقت به و شـقته،و ان کان من الامام فانه-أی یوسف-الـذی حاول الاعتداء علیها،فشـقت قمیصه دفاعا عن نفسـها،فلما نظر العزیز وجد القمیص مشقوقا من الخلف و حکم علیها بالخیانه،

و امر يوسف بأن يبتعد عن السوء،و أمرها بأن تستغفر لذنبها لأنها هى الخاطئه.

و هكذا أنقذ اللّه يوسف مره اخرى من السوء،و لو كان يوسف فرضا قد استجاب لها،و دخل زوجها عليهما فما ذا كان مصيرهما، أو ليس القتل..؟

بينات من الآيات:

ما هى العصمه؟

[۲۴]هل الأنبياء معصومون بذاتهم أم بإراده اللّه و روح الاراده؟ لأن الأنبياء بشر يميلون بطبعهم نحو الرذيله كأى بشر آخر،يذوق جسدهم ألم الجوع و الارهاق و الضرب و العذاب،كما تتحسس قلوبهم بالم الغربه و بضغط الشهوات المكبوته،و لكن لأنهم موقنون.و يعصمهم اللّه بروحه فإنهم يتجاوزون أنفسهم بسرعه،و آيات القرآن التى تعكس هذه المفارقه فى حياه الأنبياء كثيره،و لا يكاد نبى مذكور اسمه فى الكتاب يخلو عن حاله صعبه اجتازها بتوفيق اللّه،و لولاه و لو لا روح الايمان لتردى كأى بشر آخر- حاشا للّه-و يوسف واحد من هؤلاء البشر الكرام،المعصومين بروح اللّه،فلأنه إنسان مكتمل الشخصيه البشريه كان يهم بها،و لأنه موقن و معصوم فقد رأى برهان ربه.

و من هنا نعلم ان همّ يوسف لم يتم عمليا بل كان همّا بالقوه،فلو لا برهان ربه المانع من همّه بالمعصيه لكان قد همّ بها،و التعبير القرآنى يبين بلطف عجيب هذه المفارقه فى آيه اخرى حيث يقول ربنا عن النبى محمد صلّى اللّه عليه و آله:« وَ لَوْ لاٰ أَنْ ثَبَّتْنٰاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً » (۱).

۱- ۱) الإسراء۷۴/.

و هنا يشير التعبير بدقه الى ذلك حيث يقول ربنا:

وَ لَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَ هَمَّ بِها لَوْ لاـ أَنْ رَأىٰ بُرْهٰانَ رَبِّهِ فبرهان ربه الـذى رآه ببصـيرته منعه من إراده المعصـيه،و لكنه من دون هـذا البرهان كان يهم بها و يريدها و أساسا الهمّ:هو العزم على الفعل،كما قال ربنا:

إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ . (۱)

و ربما يستخدم الهمّ فى الأمر الذى يريده الإنسان و يجد امامه مانع منه،كما قال الشاعر:

هممت و لم أفعل و كدت و ليتنى تركت على عثمان تبكى حلائله

و منه قوله تعالى: إِذْ هَمَّتْ طٰائِفَتٰانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلاٰ وَ اللّٰهُ وَلِيُّهُمٰا . (۲)

و يبقى السؤال:مـاذا رأى يوسف حتى تجـاوز الفحشاء،و بتعبير آخر:ما هو برهان ربه؟ أولا:البرهان هو السـلطان،و يراد به السـبب المقيد لليقين لتسلطه على القلوب كالمعجزه قال تعالى: فَذٰانِكَ بُرْهٰانٰانِ مِنْ رَبِّكَ إِلىٰ فِرْعَوْنَ وَ مَلاَئِهِ . (۳)

و قال: يٰا أَيُّهَا النّٰاسُ قَدْ جٰاءَكُمْ بُرْهٰانٌ مِنْ رَبِّكُمْ . (۴)

ص:۱۸۵

۱- ۱) المائده۱۱/.

۲- ۲) آل عمران۱۲۲/.

۳- ۳) القصص۳۲/.

۴- ۴) النساء۱۷۴/.

و قال: أَ إِلٰهٌ مَعَ اللّٰهِ قُلْ هٰاتُوا بُرْهٰانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صٰادِقِينَ . (۱)

و هو الحجه اليقينيه التى تجلى الحق و لا تدع ريبا لمرتاب على حد تعبير تفسير الميزان.

ثانيا:ان يوسف عليه السّلام،كان صديقا أيقن قلبه ان جماله من اللّه،و هو الذى أعطاه القوه و مكنه فى الأرض،و أن من كفر بأنعم اللّه لا يفلح،و بسبب إيمانه الصادق بهذه الحقائق أدركه فى ساعه المحنه ايمانه،و بلورت المعاناه شخصيته التى عجنت بروح الايمان و التقوى،فظهر له برهان ربه و حجته البالغه فى تلك اللحظه الشديده من صراعه مع طبيعته و مع مجتمعه المتمثل فى قوه ربه بيته،فكان كمن قد رأى البرهان واضحا أمامه.

و هكذا المؤمنون الصادقون يتذكرون ربهم كلما مرّ بهم طائف من الشيطان، و تعرضوا لتجربه صعبه فيتركون المعصيه،بينما يغط غيرهم فى غفله شامله.

ان اللحظات الصعبه فى حياه الفرد تستخرج دفائن نفسه،و خبايا ذاته،و سرائر عزيمته،فالمؤمن يزداد ايمانا،بينما غيره يفشل فى التجربه.

و من هنا كان على الفرد ان يعمل عملا صالحا ليزداد ايمانا فينتفع به فى ساعات صراعه الحاسم مع الشهوات أو ضغوط المجتمع حيث لا ينفع المرء إلّا ذخائر إيمانه.

كَذٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَ الْفَحْشٰاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبٰادِنَا الْمُخْلَصِينَ و

قد جاء فى الحديث: «ان برهان ربه كانت النبوه »كما

جاء فى حديث

۱- ۱) النمل ۶۴.

آخر: «ان زليخا قامت و ألقت ثوبا على صنم كان فى البيت استعدادا لفعل الفحشاء،فقال يوسف لها:ان كنت تستحين من الصنم،فانا أحقّ أن أستحى من الواحد القهّار» (۱)

المفاجأه:

[۲۵]و تسابقا نحو الباب،و أخذت زليخا قميص يوسف تمنعه،و اشتد يوسف فشقّ قميصه من خلفه،و عند الباب كانت المفاجأه حيث دخل العزيز و هو سيدها المفروض عليها طاعته كزوج،فاختلقت تهمه و نسبتها اليه.

وَ اسْتَبَقَا الْبابَ وَ قَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَ أَلْفَيا سَيِّدَها لَدَى الْبابِ قالَتْ ما جَزاءُ مَنْ أَرادَ بِأَهْلِكَ سُوءاً إِلاّ أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذابٌ أَلِيمٌ

أى هل جزاء المعتدى على شرف أهلك غير السجن و التعذيب.

[۲۶]و ردّ يوسف التهمه بقوه.

قالَ هِيَ راوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي .

فهى التى طلبت منى الفاحشه فلم استجب،و كان هناك شخص ثالث من أهل المرأه عرف القصه و قضى بأنه لو كان شقّ القميص من خلف فهى المسؤوله لأنها التى أخذت قميصه من الخلف و الا فهو المسؤول.

وَ شَهِدَ شاهِدٌ مِنْ أَهْلِها إِنْ كانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَ هُوَ مِنَ الْكاذِبِينَ

۱- ۱) البرهان ج ۲ ص ۴۲۱.

[۲۷] وَ إِنْ كٰانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَ هُوَ مِنَ الصّٰادِقِينَ أى انها هى الكاذبه و هو الصادق.

[۲۸]و نظر السيد فاذا القميص قد شق من خلف.

فَلَمّٰا رَأىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قٰالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ أى ان الذى حدث ابتدأ من النساء باعتبار انهن ذوات كيد عظيم.

و الكيد هو طلب الشىء بما يكرهه،كما طلبت المرأه يوسف بما يكرهه و يبدو أن فى الآيه إشاره الى أن ابتداء الفاحشه من المرأه،إذ أنها فتنه للرجل، و عليها ألا تظهر فتنتها عليه.

[۲۹]ثم وجه العزيز خطابه الى يوسف عليه السلام و أمره بالسكوت و الاعراض عن القضيه و عدم فضح امرأته بما فعلت،و اكتفى بدعوتها بالاستغفار لخطئها.

يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هٰذٰا وَ اسْتَغْفِرِى لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخٰاطِئِينَ و يبدو من هذه الآيات ان الفاحشه كانت شائعه فى ذلك البلد،و انها لم تكن قبيحه الى تلك الدرجه بسبب سلب الغيره منهم،و إلاّ فكيف يسكت الزوج عما رآه من زوجته رأى العين من مراوده فتاها،بل يأمر الفتى بالاعراض عن الأمر و عدم مطالبتها بعقابها.

ص:۱۸۸

[سوره يوسف (١٢): الآيات ٣٠ الى ٣٤]

اشاره

وَ قٰالَ نِسْوَةٌ فِي اَلْمَدِينَةِ اِمْرَأَتُ اَلْعَزِيزِ تُرٰاوِدُ فَتٰاهٰا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهٰا حُبًّا إِنّٰا لَنَرٰاهٰا فِي ضَلاٰلٍ مُبِينٍ (٣٠) فَلَمّٰا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَ أَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَ آتَتْ كُلَّ وٰاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّيناً وَ قٰالَتِ اُخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمّٰا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَ قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَ قُلْنَ حٰاشَ لِلّٰهِ مٰا هٰذٰا بَشَراً إِنْ هٰذٰا إِلاّٰ مَلَكٌ كَرِيمٌ (٣١) قٰالَتْ فَذٰلِكُنَّ اَلَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَ لَقَدْ رٰاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَ لَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مٰا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَ لَيَكُوناً مِنَ اَلصّٰاغِرِينَ (٣٢) قٰالَ رَبِّ اَلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمّٰا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَ إِلاّٰ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَ أَكُنْ مِنَ اَلْجٰاهِلِينَ (٣٣) فَاسْتَجٰابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ اَلسَّمِيعُ اَلْعَلِيمُ (٣٤)

اللغه

٣١[و اعتدت]:اعتدّى مأخوذ من العتاد،و مثله اعدّت.

٣٣[أصب]:الصبا دقه القلب.

و كبرت دائره التحدى

هدى من الآيات:

كنـا مع يوسف و قـد افتضـح أمر ربه بيته عنـد زوجها،و ها نحن نجـد قصه حبها ليوسف قـد شاعت فى المـدينه،و صارت النساء يعاتبن امرأه العزيز على عشـقها ليوسف لضـلالها،و سـمعت بالإشاعات،و بادرت بـدعوتهن الى مائده،و أعطت كل واحده منهن سكينا،و أمرت يوسف بالخروج عليهن،فأدهشـهن يوسف بجماله و جلاله،فاكبرنه و قطعن أيـديهم بالسـكاكين،و ابعدن يوسـف عن الفاحشه،و قلن بأنه ليس بشرا بل هو ملك كريم،و تدخلت فى الحديث و أجابت عن عتابهن بقولها:

ان ذلكن هو ما لمتننّى فيه،و اننى فعلا قد راودته عن نفسه لجماله الخارق و لكنه اسـتعصم و امتنع باللّه عن الفاحشه،و ليسجن لو لم يفعل و ليهان،و عاد يوسف يرد التهديد بان السجن أحب اليه من الفاحشه،و اعتصم باللّه من كيدهن،و اعترف بضعفه البشرى امام فتنتهن،و انه لا يقاومها من دون عصمه اللّه و دفع اللّه عنه كيدهن و هو السميع لدعاء عباده العليم بما يضمرون.

ص:١٩١

و هكذا اعتصم يوسف عن فتنه نساء أهل مصر فى تلك الحقبه التى يبدو انهن قد تعرضن فيها للفساد الخلقى.

بينات من الآيات:

فى مهب الفساد:

[٣٠]يبدو ان المجتمع المصرى كان قد تعرض آنئذ لموجه فساد عريضه و جاءت قضيه يوسف تفضح الحاله المترديه التى بلغها المجتمع،و كانت كالقشه التى قصمت ظهر بعير الفساد المثقل بالذنوب.

لقد كان حديث المجالس عندهم الفساد الخلقى.إذ انتشر نبأ مراوده امرأه العزيز ليوسف فتاها،و العامل فى بيتها كالنار فى الهشيم.

وَ قالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَهِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُراوِدُ فَتاها عَنْ نَفْسِهِ أى تطلب ممن يعمل عندها الفاحشه ليفجر بها.

قَدْ شَغَفَها حُبًّا اى دخل حب يوسف شغاف قلبها،و استولى على فؤادها،و إذا كان المجتمع سليما من الناحيه الخلقيه إذا لم يرض بإشاعه الفاحشه،و نشر أنباء الفساد.

إِنّا لَنَراها فِي ضَلالٍ مُبِينٍ يبدو ان النسوه كن يرين ضلاله امرأه العزيز لا لأنها تفعل الفاحشه،بل بسبب هبوطها الى مستوى فعل الفاحشه مع فتاها و هو من عنصر آخر غير عنصرهم.

[٣١]و عرفت امرأه ملك مصر ان النسوه يتآمرن ضدها،و يتخذن من قصه

ص:١٩٢

عشـقها وسيله للحطّ من شأنها،فأرادت أن تورطهن فى حب يوسف لتنقذ نفسها من المشكله،فأرسلت إليهن و هيأت لهن مائده،و اعطت لكل واحده منهن سكينا، و أمرت يوسف بأن يدخل عليهن.

فَلَمّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَ أَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً المكر لغه:هو الفتل بالحيله الى ما يراد،و انما سـميت الاشاعه التى بثتها النسوه حولها مكرا لأنهن أردن شيئا آخرا من الاشاعه.ربما إسقاط هيبتها أو محاوله الوصول الى يوسف،و معرفه سبب ولهها به.

أما المتكأ:فهو الوساده و هى كنايه عن المائـده أو لا أقل المجلس الطويل الذى يستراح اليه،و تدل الآيه على وجود شـىء يؤكل و يهىء قبل الأكل بالسكين.

وَ آتَتْ كُلَّ واحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّيناً وَ قالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ و هكذا خرج يوسف على النسوه فى وقت انشغالهن عنه بالطعام.

فَلَمّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ أى عظّمن يوسف أيما تعظيم،بجلاله و جماله.

وَ قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ فأخذن يجرحن أيديهن بسبب الانشغال بجمال يوسف.

وَ قُلْنَ حاشَ لِلّهِ ما هذا بَشَراً أى ان يوسف منزه عما ينسب اليه،و نزاهته انما هى للّه بل انه ليس ببشر.

ص:۱۹۳

إِنْ هٰذٰا إِلاّٰ مَلَكٌ كَرِيمٌ إذا فالتعبير الذى تعرضت له امرأه العزيز بسبب مراودتها لفتاها حتى قالت عنها النسوه انها فى ضلال مبين.لم يكن فى موقعه أبدا.إذ انه أرفع من مستوى البشر،فكيف يحسب فتى عاملا فى بيت العزيز-كما كانوا يزعمون-.

[۳۲]و استفادت امرأه العزيز من الوضع و أجابت عن تعييرهن لها.

قٰالَتْ فَذٰلِكُنَّ الَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ان هذا هو سبب تعييركن لى،فهل يعيّر من يعشق مثل هذا الفتى.

وَ لَقَدْ رٰاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ أى انه طلب العصمه من اللّه حتى لا يفعل ما يؤمر به.

وَ لَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مٰا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَ لَيَكُوناً مِنَ الصّٰاغِرِينَ و هنا أرادت زليخا ان تأخذ الشرعيه من النسوه لفعلها،و يبدو ان النسوه قد أعطينها تلك الشرعيه مما دلّ على مدى الفساد المنتشر فى ذلك المجتمع الجاهلى، حيث انه يسمح لامرأه تحب الفجور أن تسجن فتى بريئا لمجرد طهارته و استعصامه باللّه عن الفحشاء.

السجن أحب الى:

[۳۳]و يبدو أن النسوه اختلين بيوسف الواحده تلو الاخرى بحجه السعى وراء اقناعه بقبول كلام سيدته،و لكنهن عرضن ليوسف الفجور بهن،و الشاهد هو قول يوسف الذى ضاق بهن ذرعا،و توسل باللّه أن ينقذه من أيديهن و لو كان بالسجن.

ص:۱۹۴

قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ و بدل ان كانت المشكله واحده فقط أصبحت الآن متعدده،حيث ان الفساد الذى كان شائعا فى تلك البيئه قد أحاط بشخص يوسف عليه السلام ،و لكن كانت تلك حكمه بالغه للّه حيث ان تحدى يوسف عليه السلام و هو فتى اشترى للخدمه،و طالبته سيدات مصر للفاحشه بما فيهن من جمال و شهره،ان تحديه للفساد،و للضغوط المختلفه هز المجتمع الجاهلى من الاعماق و أثار فيهم التساؤلات إذا فوق قيمه الماده.

قيمه اسمى هى قيمه الايمان.إذا فنحن على خطأ.إذ كيف يرفض هذا الفتى هذا العرض المغرى،أم كيف يتحدى هذه الضغوط الهائله،فيعرض نفسه للسجن و الإهانه؟ لقد كانت الإغراءات كبيره إلى درجه نرى يوسف عليه السلام ذلك الفتى الصديق يستعين باللّه منها و يقول:

وَ إِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَ أَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ اى:ان لم تدركه رحمه اللّه و عصمته يكاد يميل إليهن و يصبح جاهلا بذلك،أو يفعل الفحشاء.

[۳۴]و أنقذه اللّه تعالى فى الوقت المناسب و أعطاه القوه الكافيه لمقاومه جاذبيه الماده الثقيله و من ثم التحليق فى سماء القيم.

فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ و هكذا يصرف اللّه تعالى عن المؤمنين الصادقين كيد شياطين الأنس و الجن، و يعطى الفرد عصمه عن الذنوب بعد ان يطلب الفرد ذلك من ربه.

[سوره یوسف (١٢): الآیات ٣۵ الی ۴١]

اشاره

ثُمَّ بَدا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ ما رَأَوُا اَلْآیاتِ لَیَسْجُنُنَّهُ حَتّی حِینٍ (٣۵) وَ دَخَلَ مَعَهُ اَلسِّجْنَ فَتَیانِ قالَ أَحَدُهُما إِنِّی أَرانِی أَعْصِرُ خَمْراً وَ قالَ اَلْآخَرُ إِنِّی أَرانِی أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِی خُبْزاً تَأْکُلُ اَلطَّیْرُ مِنْهُ نَبِّئْنا بِتَأْوِیلِهِ إِنّا نَراکَ مِنَ اَلْمُحْسِنِینَ (٣۶) قالَ لا یَأْتِیکُما طَعامٌ تُرْزَقانِهِ إِلاّ نَبَّأْتُکُما بِتَأْوِیلِهِ قَبْلَ أَنْ یَأْتِیَکُما ذلِکُما مِمّا عَلَّمَنِی رَبِّی إِنِّی تَرَکْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لا یُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ کافِرُونَ (٣٧) وَ اِتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبائِی إِبْراهِیمَ وَ إِسْحاقَ وَ یَعْقُوبَ ما کانَ لَنا أَنْ نُشْرِکَ بِاللّهِ مِنْ شَیْءٍ ذلِکَ مِنْ فَضْلِ اَللّهِ عَلَیْنا وَ عَلَی اَلنّاسِ وَ لکِنَّ أَکْثَرَ اَلنّاسِ لا یَشْکُرُونَ (٣٨) یا صاحِبَیِ اَلسِّجْنِ أَ أَرْبابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَیْرٌ أَمِ اَللّهُ اَلْواحِدُ اَلْقَهّارُ (٣٩) ما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلاّ أَسْماءً سَمَّیْتُمُوها أَنْتُمْ وَ آباؤُکُمْ ما أَنْزَلَ اَللّهُ بِها مِنْ سُلْطانٍ إِنِ اَلْحُکْمُ إِلاّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاّ تَعْبُدُوا إِلاّ إِیّاهُ ذلِکَ اَلدِّینُ اَلْقَیِّمُ وَ لکِنَّ أَکْثَرَ اَلنّاسِ لا یَعْلَمُونَ (۴٠) یا صاحِبَیِ اَلسِّجْنِ أَمّا أَحَدُکُما فَیَسْقِی رَبَّهُ خَمْراً وَ أَمَّا اَلْآخَرُ فَیُصْلَبُ فَتَأْکُلُ اَلطَّیْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِیَ اَلْأَمْرُ اَلَّذِی فِیهِ تَسْتَفْتِیانِ (۴١)

ص:١٩۶

رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ

هدى من الآيات:

بعد ان تحدى يوسف عليه السلام ضلاله المجتمع و فساده العريض لم يسعهم الا سجنه، و لكن يوسف اتخذ من السجن منطلقا للدعوه،فحين دخل معه فتيان وجدا عنده مظاهر المحسنين،فسألاه عن حلمين ترآى لأحدهما:انه يعصر العنب ليصنع منه الخمر لمولاه،بينما ترآى للآخر:انه وضع على رأسه خبزا تأكل الطير منه و وعدهما يوسف عليه السلام بتأويل ما رأياه قبل ان يأتيهما طعام،و لكنه قبلئذ ذكرهم:بأن معرفته بالتأويل هى مما علمه ربه،و ذلك بسبب رفضه لدين المشركين،و مقاومته لكفرهم باللّه و اليوم الاخر،و اتباعه لآبائه المؤمنين إبراهيم و إسحاق و يعقوب عليه السلام ،و هكذا أوضح لهم انه من سلاله النبيين،و انه أمر الا يشرك باللّه شيئا،و التوحيد فضل من اللّه عليهم و على الناس و لكن أكثر الناس لا يشكرون ربهم باتباع الرساله.

ثم ذكرهما بأن التوحيد دين الوحده،و ان الأرباب المتفرقين ليسوا سوى أسماء ليس وراءها حجه حقيقيه،انما السياده و الحق للّه.و انه امر أن تستوى هذه السياده

ص:١٩٨

على عرش الحياه الاجتماعيه،و ان هذا هو الدين القيم الذى لا عوج فيه،بينما أكثر الناس لا يعلمون.

و هكذا اعطى يوسف عليه السلام درسا فى الرساله لصاحبيه فى السجن قبل ان يفسر لهما الرؤيا.

بينات من الآيات:

قرار السجن:

[۳۵]بعد ان عرفوا ان يوسف عليه السلام لن يرضخ لفسادهم،و انه يتحدى ضغوطهم بقوه ايمانه،و انه يفضح واقعهم الذى تردوا اليه دون ان يشعروا.بعدئذ قرروا سجنه لفتره معينه.ايغالا فى الظلم و الفساد.

ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ

برنامج السجن:

[۳۶]و أنقذ اللّه يوسف عليه السلام من عذاب الأغراء ليمتحنه هذه المره بالسجن الذى يقال ان يوسف كتب على بابه يوم خرج منه:(هذا مقبره الأحياء.اللهم لا تمنعه أخيار الأرض)فلننظر كيف واجه الصديق هذه المحنه؟لقد دخل معه السجن شخصان آخران يبدوا ان كلا منهما كان أيضا مثله من الفتيان العاملين فى بيوت الأشراف من الذين عصوا أوامرهم الجائره،فزج بهم فى السجن،و دار بينهما و بين يوسف حوار رسالى.

وَ دَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْراً اى ارى نفسى و كأنى أعصر عنبا ليصبح خمرا.

ص:۱۹۹

و السؤال المطروح هو ان الرؤيه هذه هل كانت فی المنام أم كانت من أحلام اليقظه التی هی الاخری دليل علی إرهاصات الحقيقه التی يشعر بها الفرد أحيانا، و يسمی عاده بالتفاؤل أو التشاؤم،أو الحس السادس..أو ما أشبه.

فی بعض الأحاديث ان صاحب الخمر كان صادقا و هو الذی نجی،بينما كان صاحب الخبز كاذبا فی رؤياه،و سواء صدقا أم لا فان ما رأياه كان صوره عن الحقيقه التی سوف تقع.راها أحدهما فی المنام و تخيلها الثانی فی اليقظه،و القرآن سكت عن كيفيه الرؤيا و اكتفی بقوله:« إِنِّی أَرٰانِی »الذی ينطبق علی حاله الحلم كما فی حاله اليقظه.

وَ قٰالَ الْآخَرُ إِنِّی أَرٰانِی أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِی خُبْزاً تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنٰا بِتَأْوِيلِهِ إِنّٰا نَرٰاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ لقد استغل يوسف عليه السلام وجوده فی السجن عمليا و قوليا،فهو يبلغ لرسالته بالقول، و لكنه لم يكتف بذلك بل جسد رساله السماء فی سلوكه عمليا شأن كل الدعاه الصادقين لقد كان يبكی علی امتداد الوقت،و يجتهد فی الضراعه،و يتبتل الی ربه بصلواته الخاشعه و فی فترات فراغه كان إذا ضاق علی رجل مكانه وسع له،و ان احتاج جمع له،و ان مرض قام عليه لذلك انجذب اليه المعتقلون،و اعتقدوا بأنّه صاحب فضل عليهم و قالوا له:

« إِنّٰا نَرٰاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ».

[۳۷]قال يوسف عليه السلام قبل ان يأتيكما الطعام الذی هو مخصص لكم اما من البيت أو من إداره السجن سوف انبئكما بتأويل رؤيا كما.

قٰالَ لاٰ يَأْتِيكُمٰا طَعٰامٌ تُرْزَقٰانِهِ إِلاّٰ نَبَّأْتُكُمٰا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمٰا

و بعد ان وعدهما بتأويل رؤياهما قريبا.أخذ يبلغهما رسالات ربه.ابتداء من نفسه حيث كان معروفا عندهما بالإحسان و الفضل فقال لهما:

اولا:انه رسول من اللّه.

ذٰلِكُمٰا مِمّٰا عَلَّمَنِي رَبِّي فلقد علمه اللّه تأويل الأحاديث.

ثانيا:انه حنف عن الشرك الذى اتخذه قومه مله لهم،و رفض طريقه قومه و ملتهم،و ثار على نظامهم الثقافى و الاجتماعى.

إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاٰ يُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كٰافِرُونَ ان طريقه هذه الجماعه ليست المثلى لأنها قائمه على أساس الكفر و إنى ارفضها رأسا.

[٣٨]ثالثا:اما المله المثلى فى طريقه آبائى-إبراهيم و إسحاق و يعقوب-و هكذا بين يوسف عليه السلام انه من سلاله النبوه.

وَ اتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبٰائِي إِبْرٰاهِيمَ وَ إِسْحٰاقَ وَ يَعْقُوبَ و ان طريقه هؤلاء قائمه على أساس التوحيد،و رفض كل أنواع الشرك،و كل ألوان العبوديه و الطاعه لغير اللّه.

مٰا كٰانَ لَنٰا أَنْ نُشْرِكَ بِاللّٰهِ مِنْ شَيْءٍ ذٰلِكَ مِنْ فَضْلِ اللّٰهِ عَلَيْنٰا وَ عَلَى النّٰاسِ وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَ النّٰاسِ لاٰ يَشْكُرُونَ فالتوحيد ليس فقط واجب الهى مقدس،بل و أيضا نعمه كبرى على البشريه.

حیث انه یعنی التحرر من عبودیه الطاغوت و عبودیه المال و الشهوات.و لکن أکثر الناس لا یشکرون اللّه فی الأیمان بهذه النعمه.

[۳۹]رابعا:بین یوسف علیه السلام لصاحبیه و زمیلیه فی السجن الذین تقاسما و إیاه المعاناه و الأذی.ان أکثر الحروب و الصراعات الاجتماعیه،و الخلافات الهدامه انما هی نتیجه مباشره للشرک.حیث ان کل فریق یعبد صنما من دون اللّه،و یطیع ربا مختلفا عن رب الآخرین،فکل یعبد صنم أرضه و إقلیمه و قومه و عشیرته و حزبه.

فیختلفون.

یٰا صٰاحِبَیِ السِّجْنِ أَ أَرْبٰابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَیْرٌ أَمِ اللّٰهُ الْوٰاحِدُ الْقَهّٰارُ [۴۰]خامسا:بین ان الأصنام التی تعبد من دون اللّه تعالی ان هی الا انعکاس لأوضاع و حالات انحرافیه فاسده داخل المجتمع أو النفس،و لیست لها قدسیه أو واقعیه حقه.

ان صنم الإقلیمیه انعکاس لضیق الأفق،و شذوذ الفکر،و محدودیه الرؤیه،فهو إذا اسم سماه الإنسان و لیس حقا أنزله اللّه،و هکذا صنم الوطنیه و العنصریه و الشوفینیه و القومیه..و کل الأصنام الباطله.إنها أسماء اخترعها الإنسان انعکاسا لواقعه الفاسد،و لیس تعبیرا عن الحقیقه.

مٰا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلاّٰ أَسْمٰاءً سَمَّیْتُمُوهٰا أَنْتُمْ وَ آبٰاؤُکُمْ مٰا أَنْزَلَ اللّٰهُ بِهٰا مِنْ سُلْطٰانٍ نعم هنالک أسماء و رموز ینزل اللّه بها سلطانا فتکتسب الشرعیه من اللّه.مثل الرسول و خلیفته،و صاحب الفقه و العداله،و کل القیادات الشرعیه التی تطاع بأذن اللّه و باسم اللّه.لا بأذن الشعب أو باسم الأصنام.

ذلک لان الولایه الحق للّه،و الحاکمیه و السیاده و الملکوت للّه سبحانه،فکل حکم لا یستند الی اللّه و الی حاکمیته.بأن لا یکون بإذن اللّه،و لا یهدف اقامه حکم اللّه فهو حکم باطل و زائل.

إِنِ الْحُكْمُ إِلاّ لِلّهِ فلأن الولایه الحق للّه فی الکون،ففی مجال التشریع و فی الواقع السیاسی یجب ان یکون هو الحاکم من خلال خلیفته و رسالته.

أَمَرَ أَلاّ تَعْبُدُوا إِلاّ إِيّاهُ فلم یأذن للسلطه الا بأذنه.و لم یبح الحکم کما أباح-مثلا-خیرات الأرض و بتعبیر فقهی:الأصل فی نعم اللّه الإباحه و الحلیه،فالبشر حر فی الانتفاع إلا إذا جاء نص بخلاف ذلک،و لکن الأصل فی السلطه هو العکس تماما.ای لیس لبشر ان یطیع بشرا فی سلطه الا بعد التثبت من وجود نص.

ذٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَ النّاسِ لاٰ يَعْلَمُونَ ای هذا هو النهج السلیم للحیاه.الا یطیع أحد أحدا الا بأذن اللّه،و لیس یدین أبدا بسیاده الطغاه أو السکوت عنهم.و حاکمیه الفراعنه و الرضا بها.من هنا نعرف مدی دلاله الآیه علی ان الدین هو السیاسه.و السیاسه هی الدین.

لذلک تجدهم یفصلون الدین عن السیاسه،و یقول فرعونهم:لا دین فی السیاسه و لا سیاسه فی الدین،و یقول هامانهم:لا دخل لرجال الدین فی السیاسه،و یقول قارونهم:اننا نرید رجال دین لا یتدخلون فی السیاسه.

و جمهور الناس یسعون من أجل فصل الدین عن السیاسه تحت تأثیر التضلیل

الأعلامی،و بسبب انهم یستصعبون مسئولیات الدین و السیاسه،و یریدون الاکتفاء بالطقوس الدینیه السهله.

[۴۱]و بعد ان بین هذه الحقائق لهما.فسر رؤیاهما قائلا:

یٰا صٰاحِبَیِ السِّجْنِ أَمّٰا أَحَدُکُمٰا فَیَسْقِی رَبَّهُ خَمْراً ای یعود الی سیده،و یصبح ساقیا له فیسقیه الخمر کما وجد فی الرؤیا.

وَ أَمَّا الْآخَرُ فَیُصْلَبُ فَتَأْکُلُ الطَّیْرُ مِنْ رَأْسِهِ ای یقتل و تجلس الطیور الجارحه فوق رأسه لتأکله.

قُضِیَ الْأَمْرُ الَّذِی فِیهِ تَسْتَفْتِیٰانِ ای انتهی القضاء فیما سألتما الی هذه النهایه و لا عوده فیه.

ص:۲۰۴

[سوره يوسف (١٢): الآيات ۴٢ الى ۴٩]

اشاره

وَ قٰالَ لِلَّذِی ظَنَّ أَنَّهُ نٰاجٍ مِنْهُمَا اُذْکُرْنِی عِنْدَ رَبِّکَ فَأَنْسٰاهُ اَلشَّیْطٰانُ ذِکْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِی اَلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِینَ (۴٢) وَ قٰالَ اَلْمَلِکُ إِنِّی أَریٰ سَبْعَ بَقَرٰاتٍ سِمٰانٍ یَأْکُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجٰافٌ وَ سَبْعَ سُنْبُلاٰتٍ خُضْرٍ وَ أُخَرَ یٰابِسٰاتٍ یٰا أَیُّهَا اَلْمَلَأُ أَفْتُونِی فِی رُؤْیٰایَ إِنْ کُنْتُمْ لِلرُّؤْیٰا تَعْبُرُونَ (۴٣) قٰالُوا أَضْغٰاثُ أَحْلاٰمٍ وَ مٰا نَحْنُ بِتَأْوِیلِ اَلْأَحْلاٰمِ بِعٰالِمِینَ (۴۴) وَ قٰالَ اَلَّذِی نَجٰا مِنْهُمٰا وَ اِدَّکَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُکُمْ بِتَأْوِیلِهِ فَأَرْسِلُونِ (۴۵) یُوسُفُ أَیُّهَا اَلصِّدِّیقُ أَفْتِنٰا فِی سَبْعِ بَقَرٰاتٍ سِمٰانٍ یَأْکُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجٰافٌ وَ سَبْعِ سُنْبُلاٰتٍ خُضْرٍ وَ أُخَرَ یٰابِسٰاتٍ لَعَلِّی أَرْجِعُ إِلَی اَلنّٰاسِ لَعَلَّهُمْ یَعْلَمُونَ (۴۶) قٰالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِینَ دَأَباً فَمٰا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِی سُنْبُلِهِ إِلاّٰ قَلِیلاً مِمّٰا تَأْکُلُونَ (۴٧) ثُمَّ یَأْتِی مِنْ بَعْدِ ذٰلِکَ سَبْعٌ شِدٰادٌ یَأْکُلْنَ مٰا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاّٰ قَلِیلاً مِمّٰا تُحْصِنُونَ (۴٨) ثُمَّ یَأْتِی مِنْ بَعْدِ ذٰلِکَ عٰامٌ فِیهِ یُغٰاثُ اَلنّٰاسُ وَ فِیهِ یَعْصِرُونَ (۴٩)

اللغه

۴۴[أضغاث]:الأضغاث الأحلام الملتبسه.

[دأبا]:دأب فی عمله یدأب دؤبا إذا اجتهد.

ص:٢٠۵

۴۸[تحصنون]:تحرزون و تدخرون.

ص:۲۰۶

الكفاءه

اشاره

مقدمه التمكين فى الأرض

هدى من الآيات:

و خرج الفتيان من السجن.أحدهما الى الحريه،و الثانى الى المشنقه،فاستغل يوسف عليه السلام نجاه أحدهما،فطلب منه العمل من أجل نجاته بيد ان الشيطان أنساه ذكر ربه،فبقى فى السجن عده سنين بسبب نسيان اللّه و التوسل بعبيده، و حين قضى اللّه مده سجنه قدر اللّه له النجاه و ذلك بأن رأى الملك فى منامه سبع بقرات سمان يأكلهن سبع بقرات هزال،و رأى بجنبها سبع سنبلات خضر و سبع سنبلات يابسات،فجاء الى كبار أصحابه يستفسرهم عن رؤياه فقالوا:إنها أحلام مختلطه ببعضها و لسنا بعالمين بها،و كان صاحب يوسف حاضرا فتذكر،بعد فتره طويله، فطلب إرساله الى يوسف عليه السلام و طلب منه تفسير رؤيا الملك لينقلها اليه فقال يوسف عليه السلام :ان أمامكم سبع مواسم خيره تعقبها سبع مواسم شحيحه،و هكذا تأكل السنين السبع التاليه ما كانت فى السنين السابقه من نعمه،أما السنه الأخيره.فهى سنه الاستغاثه.حيث يعصر الجوع الناس عصرا،و هكذا وفر اللّه ليوسف أسباب النجاه.

بینات من الآیات:

وصیه یوسف:

[۴۲]خرج الشخص الذی فسر یوسف رؤیاه بالنجاه.و استغل یوسف المناسبه، و طلب منه ان یرفع مظلمته عند الملک،و کان علیه ان یتوسل باللّه فی ذلک لا بالسجین الناجی أو الملک لأنه رسول اللّه الذی ینبغی ان یقطع صلاته الشخصیه بالناس جمیعا،و یمحض اللّه إخلاصه.

وَ قٰالَ لِلَّذِی ظَنَّ أَنَّهُ نٰاجٍ مِنْهُمَا اذْکُرْنِی عِنْدَ رَبِّکَ لماذا استخدم القرآن تعبیر الظن.أو لم یقل ربنا سابقا:ان اللّه قد علمه تأویل الأحادیث؟ فی الاجابه قال صاحب المجمع:ان معنی الآیه أی للذی علم من طریق الوحی انه ناج متخلص،کما فی قوله تعالی:« إِنِّی ظَنَنْتُ أَنِّی مُلاٰقٍ حِسٰابِیَهْ »هذا قول الأکثرین و اختیار الجبائی.و قال قتاده:للذی ظنه ناجیا لأنه لم یحکم بصدقه فیما قصه من الرؤیا و الأول أصح. (۱)

و لکن-یبدو لی-ان الظن هنا بمعناه الأصلی و هو التصور و التخیل الذی یوهم بعدم وجود علم ثابت بذلک،و السبب ان یوسف علیه السلام لم یکن یضمن المستقبل لأن اللّه قد یشاء شیئا أخر،فلربما مات الشخص أو تغیر نظام الملک،أو بدی للّه فی شأنه و عاد به الی السجن،أو الی الاعدام،و مناسبه الظن بما بعده هی ان یوسف علیه السلام کان موقنا بأن اللّه سبحانه ارحم الراحمین،و انه یستجیب له دعاءه بینما کان یظن بنجاه

ص:۲۰۸

۱- ۱) المجمع ج ۲ ص ۲۳۴

صاحبه ظنا،و كان ينبغى ان يتوسل باللّه قبل توسله بذلك الشخص لأن اللّه اولى باليقين من رؤياه حول الشخص التى لو صدقت لتجاوزت حدود الأقدار،و قضاء اللّه فوق قدره و إرداته فوق سنته سبحانه و تعالى.

و لكن الشيطان اعجل يوسف.حيث ان مشكلات السجن رفعته الى التسرع بالتوسل بالبشر دون ربه.

فَأَنْسٰاهُ الشَّيْطٰانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ليربيه ربّه على الإخلاص التام فى عبادته سبحانه.

رؤيا الملك:

[۴۳]و بعد ان قضى مده سجنه التى حددها اللّه له من بعد نسيان ذكر ربه -و التى طالت سبع سنين حسب ما جاء فى الأخبار- بعدئذ هيأ اللّه له وسيله نجاته بحلم رآه الملك.

وَ قٰالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرىٰ سَبْعَ بَقَرٰاتٍ سِمٰانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجٰافٌ اى هزال.

وَ سَبْعَ سُنْبُلاٰتٍ خُضْرٍ وَ أُخَرَ يٰابِسٰاتٍ و أراد من كبار مستشاريه تفسيرا لرؤياه الغامضه.

يٰا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيٰايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيٰا تَعْبُرُونَ اى ان كنتم تفسرون ما يراه النائم فى حلمه.

[۴۴]و لكنهم حين عجزوا عن تفسير رؤياه الغامضه.قالوا بأنها أفكار مختلطه

ص:۲۰۹

و ليست رؤيه للحقيقه.

قٰالُوا أَضْغٰاثُ أَحْلاٰمٍ وَ مٰا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلاٰمِ بِعٰالِمِينَ الضغث:الحزمه من كل شیء،و قيل بأنه الخلط،و قالوا:و الحلم بكسر الحاء ضد الطيش و هو الاناه،و كأن أصل حلم النوم عن هذا لأنه حال أناه و سكون.

و يبدوا ان الحلم غير الرؤيا،فهو كل ما يراه النائم من آثار نفسه و تخرصاتها.

مفاتيح الرؤيا:

[۴۵]و كان فی حاشيه الملك صاحب يوسف فی السجن الذی تذكر الآن رؤياه فی السجن،و تعبير يوسف الصادق له.

وَ قٰالَ الَّذِی نَجٰا مِنْهُمٰا وَ ادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ای تذكر بعد مرور وقت طويل،قالوا:انها سبع سنين.

أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ای ابعثونی الی يوسف لآتيكم بتأويله.

[۴۶]فبعثوه الی يوسف فی السجن،فطلب منه تفسير رؤيا الملك بعد ان نقله له.

يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ عبر عنه بالصديق لما رأى منه من آيات الصلاح فی السجن،و لما جرّبه شخصيا فی تعبير رؤياه و نجاته.

أَفْتِنٰا فِی سَبْعِ بَقَرٰاتٍ سِمٰانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجٰافٌ وَ سَبْعِ سُنْبُلاٰتٍ خُضْرٍ وَ أُخَرَ

يَابِسَاتٍ لَعَلِّی أَرْجِعُ إِلَی النّٰاسِ لَعَلَّهُمْ یَعْلَمُونَ یبدو ان صاحب یوسف عرف انه یحب خدمه الناس بینما یکره الطغاه، لذلک لم یقل:لعلی ارجع الی الملک بل قال(إلی الناس).

[۴۷]و عبر یوسف رؤیا الملک،بما اهتز له أرکان المجتمع،فبین لهم:ان امامهم سبع سنین من الرفاه و الوفره،و لکن علیهم ان یستعدوا فیها لسبع سنین جدباء، فکلما حصدوا أکثر من حاجتهم من القمح احتفظوا به و هی فی السنابل لمجابهه أیّام القحط التی تنتهی بسنه صعبه یتوافد علیهم الناس من کل مکان طلبا للقمح.

قٰالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِینَ دَأَباً ای تجتهدون سبع سنین فی الزراعه،و یبدو ان الشعب المصری کان فی عز حضارته فی تلک السنین.

فَمٰا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِی سُنْبُلِهِ إِلاّٰ قَلِیلاً مِمّٰا تَأْکُلُونَ ای اعملوا کثیرا،و کلوا قلیلا،و حافظوا علی ثرواتکم للمستقبل،و هکذا نصح یوسف قوم مصر بأفضل الحکم الحضاریه.

[۴۸] ثُمَّ یَأْتِی مِنْ بَعْدِ ذٰلِکَ سَبْعٌ شِدٰادٌ یَأْکُلْنَ ای تأتی سبع سنین شدیده جدباء تأکلون فیها ما جمعتم فی سنین الرخاء.

مٰا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ و عبر یوسف علیه السلام بالسنین و کأنها حیوانات تأکل خیرات السنین الماضیات للإشاره إلی الرؤیا،و أن السنه تشبه البقره التی رآها ملک مصر فی نومه.

ص:۲۱۱

إِلاّ قَلِيلاً مِمّا تُحْصِنُونَ فهو الوحيد الباقى لكم.

الحصن هو:الحرز،و يبدوا ان يوسف أشار عليهم بضروره المحافظه على انتاجهم فى سنين الرخاء بصوره جيده.

[۴۹]و أشار لهم عن السنه الأخيره التى انعكست فى الرؤيا فى صوره سبع سنبلات خضر و أخر يابسات،و هى سنه القحط الشديد التى يتوافد فيها الناس الى مصر طلبا لشراء الطعام.

ثُمَّ يَأْتِى مِنْ بَعْدِ ذلِكَ عامٌ فِيهِ يُغاثُ النّاسُ و الغوث:هو نفع يأتى بعد شده الحاجه،أو نفع يأتى لدفع ضر شديد،و يبدو ان معناه قريب من رفع ضرر الجوع،و منه أطلقت كلمه الغيث على المطر.

وَ فِيهِ يَعْصِرُونَ اى يلتجئون طلبا للطعام.

ص:۲۱۲

[سوره يوسف (١٢): الآيات ۵٠ الى ۵٧]

اشاره

وَ قٰالَ اَلْمَلِكُ اِئْتُونِى بِهِ فَلَمّٰا جٰاءَهُ اَلرَّسُولُ قٰالَ اِرْجِعْ إِلىٰ رَبِّكَ فَسْئَلْهُ مٰا بٰالُ اَلنِّسْوَهِ اَللاّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ
(۵٠) قٰالَ مٰا خَطْبُكُنَّ إِذْ رٰاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حٰاشَ لِلّٰهِ مٰا عَلِمْنٰا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قٰالَتِ اِمْرَأَهُ اَلْعَزِيزِ اَلْآنَ حَصْحَصَ اَلْحَقُّ أَنَا
رٰاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَ إِنَّهُ لَمِنَ اَلصّٰادِقِينَ (۵١) ذٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَ أَنَّ اَللّٰهَ لاٰ يَهْدِى كَيْدَ اَلْخٰائِنِينَ (۵٢) وَ مٰا أُبَرِّئُ
نَفْسِى إِنَّ اَلنَّفْسَ لَأَمّٰارَهٌ بِالسُّوءِ إِلاّٰ مٰا رَحِمَ رَبِّى إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَحِيمٌ (۵٣) وَ قٰالَ اَلْمَلِكُ اِئْتُونِى بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى فَلَمّٰا كَلَّمَهُ قٰالَ
إِنَّكَ اَلْيَوْمَ لَدَيْنٰا مَكِينٌ أَمِينٌ (۵۴) قٰالَ اِجْعَلْنِى عَلىٰ خَزٰائِنِ اَلْأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ (۵۵) وَ كَذٰلِكَ مَكَّنّٰا لِيُوسُفَ فِى اَلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ
مِنْهٰا حَيْثُ يَشٰاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنٰا مَنْ نَشٰاءُ وَ لاٰ نُضِيعُ أَجْرَ اَلْمُحْسِنِينَ (۵۶) وَ لَأَجْرُ اَلْآخِرَهِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَ كٰانُوا يَتَّقُونَ (۵٧)

اللغه

۵١[خطبكن]:الخطب الأمر الذى يعظم شأنه فيخاطب الإنسان فيه صاحبه.

[حصحص]:اشتقاقه من الحصه أى بانت حصه الحق وجهته من حصه الباطل.

۵٢[كيد]:الكيد الإقبال سرا لإيصال الضرر الى الغير.

ص:٢١٣

۵۴[استخلصه]:الاستخلاص طلب خلوص الشیء من شائب الاشتراک کأنه یرید أن یکون خالصا به.

[مکین]:المکین من المکانه،و أصله التمکن فی الأمر.

۵۶[یتبوء]:التبوء اتخاذ منزل یرجع الیه و أصله من باء یبوء إذا رجع.

ص:۲۱۴

الملک من بعد

هدی من الآیات:

و عـاد الرسول الی الملک،یحمل معه تعبیر الرؤیا،فلما سـمعه الملک دعا یوسف، فلمّا جاء الرسول یـدعوه أبی یوسف ان یخرج من السـجن بعفو بل بإثبات براءته و ادانه الـذین اتهموه،و هکـذا عاد الرسول الی الملک الـذی أعاد الملف،و سأل النسوه اللاتی قطعن أیدیهن هل کان یوسف مذنبا،فکررن کلمتهن الشـهیره(قلن حاشا للّه)ما علمن علیه من سوء،و هنالک اعترفت امرأه العزیز انها هی التی راودته عن نفسه.

و هکـذا أرسل یوسف الی الملک تلک الرساله لاثبات براءته،و انه لم یخنه فی غیبته عنه،و ان اللّه لا یهدی کید الخائنین،و لکن دون أن یبرئ نفسه من کل زله و غطاء إذ ان النفس اماره بالسوء،و لکن اللّه هو الذی یعصم عباده المؤمنین،و انه غفور رحیم.

و هکذا بعد أن ثبتت براءته التامه.أراد الملک أن یستخلصه لنفسه، و یجعله وزیرا

ص:۲۱۵

له،و طلب یوسف أن یجعله علی أموال الدوله لأنه حفیظ لا یخون،و علیم بالأمور لا یجهل.

و هکذا مکنّ اللّه لیوسف فی الأرض برحمته الواسعه لأنه کان من المحسنین، و هذا أجر الدنیا،و أجر الآخره خیر للذین آمنوا و الذین یتقون ربهم.

بینات من الآیات:

الآن حصص الحق:

[۵۰]صاحب یوسف فی السجن عاد الی الملک یحمل الیه بشاره حل اللغز الذی أعجز الملأ من قومه بما فیهم من کبار العلماء،فأمر الملک بإحضار یوسف عنده.

وَ قٰالَ الْمَلِکُ ائْتُونِی بِهِ و لکن یوسف أبی الحضور عند الملک،إلا بعد ان یثبت عنده براءته،و بعد إثبات فساد نظامه الذی یلقی بشخص فی السجن بضع سنین من دون محاکمه أو إثبات للتهمه.

فَلَمّٰا جٰاءَهُ الرَّسُولُ أی جاء صاحبه الیه.

قٰالَ ارْجِعْ إِلیٰ رَبِّکَ فَسْئَلْهُ مٰا بٰالُ النِّسْوَهِ اللاّٰتِی قَطَّعْنَ أَیْدِیَهُنَّ و احتج یوسف علی الملک بالنسوه اللاتی شهدن له أول یوم بالبراءه و الطهر، و استشهد بهن علی زوجه العزیز التی اتهمته بالفجور،کما ذکرهم بربهم العلیم بکیدهن.

إِنَّ رَبِّی بِکَیْدِهِنَّ عَلِیمٌ

يبدو أن كل النسوه اشتركن فی المؤامره ضد يوسف،لذلک اتهمن يوسف، و ذكر الملک ان الكيد الشيطانی لا يدوم.

و

جاء فی حديث ظريف مأثور عن النبی صلی الله عليه و آله انه قال بهذه المناسبه:

«لقد عجبت من يوسف و كرمه و صبره-و اللّه يغفر له-حين سئل عن البقرات العجاف و السمان،و لو كنت مكانه ما أخبرتهم حتی اشترط أن يخرجونی من السجن،و لقد عجبت من يوسف و صبره و كرمه-و اللّه يغفر له-حين أتاه الرسول فقال إرجع الی ربک و لو كنت مكانه و لبثت فی السجن ما لبث، لأسرعت الاجابه و بادرتهم الباب و ما ابتغيت العذر-انه كان لحليما ذا أناه-» (۱) [۵۱]و هكذا بقی يوسف فی السجن الی أن يتم التحقيق فی سبب سجنه، و استحضر الملک النسوه و سألهن عن سبب تقطيع أيديهن،و هل كان ذلک بسبب فعل يوسف لشیء-حاشاه-،و لم يحرن جوابا،فاعترفن بحقيقه الأمر،و ان يوسف كان نقیّ الجيب،و انهن دونه طلبن الفاحشه.

قٰالَ مٰا خَطْبُكُنَّ إِذْ رٰاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ أی هل بسبب انه كان أهلا لهذا.

قُلْنَ حٰاشَ لِلّٰهِ مٰا عَلِمْنٰا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ لقد كان نظيفا للغايه،و استعذن باللّه من اتهام يوسف بسوء،فلما شهدن بالأمر اضطرت امرأه العزيز إلی الاعتراف هی الأخری.

ص:۲۱۷

۱- ۱) نور ثقلين ج ۲ ص ۴۳۱

قالَتِ امْرَأَهُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ ای الآن ظهر الحق و أبان عن الباطل.

أَنَا رٰاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَ إِنَّهُ لَمِنَ الصّٰادِقِينَ فأنا و ليس هو الذى طلب منّى الفجور.

[۵۲]و قال يوسف عليه السلام -و هو يؤكد براءته امام عزيز مصر-انما اطلب منه التحقيق مجددا،ليعلم انى برىء،و أننى لم أخن الملك فى بيته و هو غائب عنه.

ذٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ و ان الخائن كانت امرأته التى لم يوفقها اللّه،بل أظهر حقيقتها للناس.

وَ أَنَّ اللّهَ لاٰ يَهْدِى كَيْدَ الْخٰائِنِينَ و الكيد:الحيله،و اللّه لا يوفق الخائنين فى حيلهم و مكرهم.

[۵۳]ثم أكد يوسف عليه السلام ان كلامه لا يعنى انه من انصاف الآلهه،و انه ليس من جنس البشر،و ان الذين يعملون السيئات هم من الشياطين.كلا..بل إن النفس لأماره بالسوء،و ان السقوط فى اوحال الرذيله ليس بعيدا عن طبيعه البشر، و انما يعنى ان التمسک برسالات اللّه و التسلح بقوه الايمان و التقوى يمنع من هذا السقوط.

وَ مٰا أُبَرِّئُ نَفْسِى إِنَّ النَّفْسَ لَأَمّٰارَهٌ بِالسُّوءِ إِلاّٰ مٰا رَحِمَ رَبِّى فرحمه اللّه تعطى الإنسان قدره كبيره للتغلب على النفس الأماره بالسوء.

إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَحِيمٌ

ص:۲۱۸

المؤمن يـدركه اللّه فی الظروف التی يتعرض فيهـا للضـغوط الاجتمـاعيه أو النفسـيه كمـا فعل سـبحانه بيوسف الـذی أحاطت به أسـباب الرذيله الاجتماعيه. حيث هـددته زوجه العزيز بالسـجن،و كذلک عواملها النفسـيه حيث عرضت امرأه شابه جميله نفسـها عليه و هو فی عنفوان شـبابه،حيث الشـهوه الجنسـيه فی أوجهـا،و لكنه نجـا من الرذيله برحمه اللّه حيث قـال:« وَ إِلاّ تَصْـرِفْ عَنِّی كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ ».

[۵۴]و بعد ان ثبتت براءه يوسف عليه السلام امام الملک طلبه لكی يصبح من المقربين اليه.

وَ قالَ الْمَلِکُ ائْتُونِی بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِی ای اجعله خالصا لنفسـی،أستعين به فی اموری،و يبدو ان الكلمه توحی بمفهوم الوزاره عندنا.

و جاء يوسف عليه السلام تحدث معه الملک،فعرف رشد عقله،و اكتمال شخصيته من خلال كلامه.

«فالمرء مخبوء تحت لسانه» كما جاء فی الحديث، لذلک خوّل اليه المناصب الهامه.

فَلَمّا كَلَّمَهُ قالَ إِنَّکَ الْيَوْمَ لَدَيْنا مَكِينٌ أَمِينٌ ای ذا مكانه ثابته،و اننا نثق بک.

[۵۵]و لكن يوسف عليه السـلام لم يكتف بذلک،و لم يفرح بالتحول الفجائی الذی حدث عنده من السجن،الی الوزاره،بل سعی من أجل الوصول الی خطته البعيده المدی.

قالَ اجْعَلْنِی عَلی خَزائِنِ الْأَرْضِ ای طالب بما یسمی بوزاره المالیه،و اداره البنوک لأنه عرف ان المشکله الاساسیه فی الدوله هی مشکله القحط الذی سوف یصابون به،و علیه من جهه العمل من أجل حل هذه المشکله،و ان یسعی من جهه اخری نحو هدایه الناس من خلالها.

و بین أنه أفضل فرد تخوّل الیه شؤون المال و هو صاحب علم و امانه،فبعلمه یخطط و بأمانته یعمل دون فساد.

إِنِّی حَفِیظٌ عَلِیمٌ [۵۶]و قبل الملک ذلک،فلما امتلک یوسف علیه السلام سلطه المال فی الدوله نشر سلطته الی سائر المرافق،و تمکن فی الأرض بفضل ربه الذی جازاه علی إحسانه.

وَ کَذلِکَ مَکَّنّا لِیُوسُفَ فِی الْأَرْضِ یَتَبَوَّأُ مِنْها حَیْثُ یَشاءُ ای بنشر سلطته فیها فی ای مجال یرید بسبب علمه و أمانته و سلطته المالیه.

نُصِیبُ بِرَحْمَتِنا مَنْ نَشاءُ ذلک لأن الأمور بید اللّه،و اللّه سبحانه اجری فی الدنیا نوعین من الأنظمه:

النوع الاول:الانظمه الطبیعه،مثل السعی و الحکمه و الصبر و الاستقامه.

النوع الثانی:الانظمه الغیبیه مثل الایمان و التقوی و الإحسان،و یوسف تقدم من خلال تطبیق هذین النوعین من الأنظمه،فمن جهه عمل بحکمه و أناه و استقامه،و من جهه ثانیه قاوم الشهوات،و اتقی ربه،و أحسن الی الناس.

وَ لا نُضِیعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِینَ

ص:۲۲۰

ان الإحسان الى الناس يتضاعف بإذن اللّه ليعود إليك فى يوم قريب أو بعيد.

[۵۷]و جزاء المؤمن فى الدنيا شاهد على جزائه الأوفى فى الآخره،و ان اللّه سبحانه لا يخلف وعده معه.

وَ لَأَجْرُ الْآخِرَهِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَ كانُوا يَتَّقُونَ و هكذا نستوحى من هذه الآيات ان أسباب التقدم الغيبيه هى التقوى و الايمان و الإحسان بيد ان الإحسان أشد و أسرع أثرا فى أمور الدنيا.

و

جاء فى حديث مأثور عن الامام الرضا عليه السلام :

«و اقبل يوسف على جمع الطعام فجمع فى السبع السنين المخصبه،فكبسه فى الخزائن،فلما مضت تلك السنون،و أقبلت المجدبه اقبل يوسف على بيع الطعام فباعهم فى السنه الاولى بالدراهم و الدنانير حتى لم يبق بمصر و ما حولها دينار و لا درهم إلا صار فى مملكه يوسف،و باعهم فى السنه الثانيه بالحلى و الجواهر حتى لم يبقى بمصر و ما حولها حلى و لا جواهر،الا صار فى مملكته،و باعهم فى السنه الثالثه بالدواب و المواشى حتى لم يبق بمصر و ما حولها دابه و لا ماشيه،الا صارت فى مملكته،و باعهم فى السنه الرابعه بالعبيد و الإماء حتى لم يبق بمصر عبد و لا امه الا صار فى مملكته،و باعهم فى السنه الخامسه بالدور و العقار حتى لم يبق بمصر و ما حولها دار و لا عقار الا صار فى مملكته،و باعهم فى السنه السادسه بالمزارع و الأنهار حتى لم يبق بمصر و ما حولها نهر و لا مزرعه الا صار فى مملكته،و باعهم فى السنه السابعه برقابهم حتى لم يبق بمصر و ما حولها عبد و لا حر الا صار عبد يوسف، فملك احرارهم و عبيدهم و أموالهم،و قال الناس ما رأينا و لا سمعنا بملك أعطاه اللّه من الملك ما اعطى هذا الملك حكما و علما و تدبيرا».

ثم قال يوسف للملك:«ايها الملك ما ترى فيما خوّلنى ربى من ملك مصر

و أهلها؟!اشر علينا برأيک فانی لم أصلحهم لأفسدهم،و لم انجهم من البلاء لأکون بلاء علیهم،و لکن اللّه أنجاهم علی یدی قال له الملک الرأی رأیک.

قال یوسف:انی اشهد اللّه و أشهدک-ایها الملک-انی قد أعتقت أهل مصر کلهم و رددت علیهم أموالهم و عبیدهم،و رددت علیک ایها الملک خاتمک و سریرک و تاجک علی الا تسیر الا بسیرتی و لا تحکم الا بحکمی.

قال له الملک ان ذلک لزینی و فخری ألاّ أسیر إلاّ بسیرتک،و لا أحکم الا بحکمک، و لولاک ما قویت علیه و لا اهتدیت له،و لقد جعلته سلطانا عزیزا لا یرام،و انا اشهد ان لا اله الا اللّه وحده لا شریک له،و انک رسوله،فأقم علی ما ولیتک،فانک لدینا مکین أمین». (۱)

و

جاء فی خبر:

«ان یوسف علیه السلام کان لا یمتلئ شبعا من الطعام فی تلک الأیام المجدبه فقیل له:تجوع و بیدک خزائن الأرض،فقال علیه السلام :أخاف ان أشبع فأنسی الجیاع »

ص:۲۲۲

۱- ۱) نور الثقلین ج ۴۳۵۲

[سوره يوسف (۱۲): الآيات ۵۸ الى ۶۶]

اشاره

وَ جٰاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَ هُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ (۵۸) وَ لَمّٰا جَهَّزَهُمْ بِجَهٰازِهِمْ قٰالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَ لاٰ تَرَوْنَ
أَنِّي أُوفِي اَلْكَيْلَ وَ أَنَا خَيْرُ اَلْمُنْزِلِينَ (۵۹) فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلاٰ كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَ لاٰ تَقْرَبُونِ (۶۰) قٰالُوا سَنُرٰاوِدُ عَنْهُ أَبٰاهُ وَ إِنّٰا
لَفٰاعِلُونَ (۶۱) وَ قٰالَ لِفِتْيٰانِهِ اجْعَلُوا بِضٰاعَتَهُمْ فِي رِحٰالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهٰا إِذَا انْقَلَبُوا إِلىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (۶۲) فَلَمّٰا رَجَعُوا إِلىٰ
أَبِيهِمْ قٰالُوا يٰا أَبٰانٰا مُنِعَ مِنَّا اَلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنٰا أَخٰانٰا نَكْتَلْ وَ إِنّٰا لَهُ لَحٰافِظُونَ (۶۳) قٰالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلاّٰ كَمٰا أَمِنْتُكُمْ عَلىٰ أَخِيهِ مِنْ
قَبْلُ فَاللّٰهُ خَيْرٌ حٰافِظاً وَ هُوَ أَرْحَمُ اَلرّٰاحِمِينَ (۶۴) وَ لَمّٰا فَتَحُوا مَتٰاعَهُمْ وَجَدُوا بِضٰاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قٰالُوا يٰا أَبٰانٰا مٰا نَبْغِي هٰذِهِ بِضٰاعَتُنٰا
رُدَّتْ إِلَيْنٰا وَ نَمِيرُ أَهْلَنٰا وَ نَحْفَظُ أَخٰانٰا وَ نَزْدٰادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ (۶۵) قٰالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتّٰى تُؤْتُونِ مَوْثِقاً مِنَ اَللّٰهِ
لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلاّٰ أَنْ يُحٰاطَ بِكُمْ فَلَمّٰا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قٰالَ اَللّٰهُ عَلىٰ مٰا نَقُولُ وَكِيلٌ (۶۶)

اللغه

۵۹[جهزهم بجهازهم]:اجهاز البيت متاعه،و جهزت فلانا هيأت جهاز سفره.

۶۱[سنراود عنه أباه]:نصرفه عن رأيه.

۶۲[بضاعتهم]:ثمن ما اشتروه من الطعام.

[رحالهم]:الرحال جمع و هى الاوعيه،و مفردها رحل،و أصله الشىء المعد للرحيل من وعاء المتاع و مركب البعير.

ص:۲۲۳

۶۳[نکتل]:یقال کلت فلانا أی أعطیته الشیء کیلا و اکتلت علیه أخذت منه.

۶۴[آمنکم]:الأمن اطمئنان القلب الی سلامه الأمر.

۶۶[و نمیر]:المیره الأطعمه التی تحمل من بلد الی بلد،و یقال مرتهم أمیرهم میرا إذا أتیتهم بالمیره.

[موثقا]:عهدا مؤکدا بالیمین.

ص:۲۲۴

هدی من الآیات:

و مضت السنون الاربعه عشر السمان فالعجاف،و جاء عام الاغاثه،و ضاعت الحیاه بأهل فلسطین و سعی اخوه یوسف الی مصر-فیمن سعی-للحصول علی نصیبهم من المؤونه لقاء ما عندهم من سلع أو نقود.

فلما وردوا مصر دخلوا علی أخیهم،فعرفهم یوسف دون أن یعرفوه،و أمر بأن یهیأ لهم نصیبهم ثم قال لهم اِئْتُونِی بِأَخٍ لَکُمْ مِنْ أَبِیکُمْ ،أ فلا تجدونی انی أوفی الکیل و أحسن الضیافه،و إلا فلا أعطیکم نصیبه و لا أقربکم الی نفسی،قالوا سنحاول ذلک مع أبیه،و قبل أن یرحلوا أمر یوسف بأن یجعل السلعه التی جاؤوا بها فی رحالهم لعلهم یعرفونها،فیعودون الی مصر دون أن یمنعهم قله الزاد أو خشیه الجفاف،فلما عاد اخوه یوسف قالوا لأبیهم ان الکیل قد منع منا حتی تبعث معنا أخانا نکتل له،و انا له لحافظون،و عاد یعقوب یذکرهم بمصیر أخیهم یوسف بعد أربعین عاما،و قال هل آمنکم علیه کما آمنتکم علی أخیه یوسف من قبل؟!ثم

قرر أن يتوكل على اللّه بعد أن عرف من أبنائه التوبه و الصدق،فقال:اللّه خير من يحفظ و هو أرحم الراحمين.

ثم حين فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم قد ردت إليهم،فقالوا لأبيهم ماذا نطلب لقد ردّت إلينا بضاعتنا،و انا نسعى من أجل الحصول على الطعام لأهلنا، بالاضافه الى كيل نأخذه لاخينا و هو كيل يسير بالنسبه لحاجتنا الماسه،قال أبوهم:

كلا..لن أرسله معكم حتى تأتونى بوثيقه و عهد من اللّه بإعادته اليّ إلاّ إذا لم تقدروا على ذلك،فلمّا أعطوه الموثق قال يعقوب:اللّه على ما نقول وكيل.

و هكذا بعد اليمين المكرّر أذن الشيخ لابنه العزيزه بالرحيل مع اخوته طلبا للمايره.

بينات من الآيات:

بعد أربعين عاما مرت على قصه الجب:

[۵۸]أربعون عاما مرّ على قصه الجب،و يوسف ذلك الغلام المتوهج جمالا و اناقه قد أصبح اليوم رجلا عركته المآسى و الويلات،و جلس على أريكه الملك بملابسه الزاهيه.كل ذلك مع هيبه السلطنه منعت اخوته من معرفته،أما يوسف فقد عرفهم بسرعه لأنهم كانوا رجالا حين تركهم.

وَ جٰاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَ هُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ قبل أربعين عاما نبذ هؤلاء أخاهم يوسف منكرين له،فقطعوا رحمهم،بينما هو وصل رحمه،و كانت عاقبه الأمر هو ان يجازيه اللّه بالملك و المعرفه و يجازيهم بالحاجه و الجهل.

[۵۹]و بعد أن أعدّ لهم ما جاؤوا من أجله من طعام،استدرجهم يوسف بحديثه

حتی اعترفوا له أنّ لهم أخا من أبیهم،و من زوجه ثانیه لأبیهم لا یصاحبهم، فطلب منهم أن یأتوا به،و قال:انی لا أرید ظلمه أو ظلمکم،و لکنی أرید الخیر لکم.أ فلا ترون انی أوفی الکیل و أحسن الضیافه؟! وَ لَمّا جَهَّزَهُمْ بِجَهازِهِمْ قالَ ائْتُونِی بِأَخٍ لَکُمْ مِنْ أَبِیکُمْ أَ لا تَرَوْنَ أَنِّی أُوفِی الْکَیْلَ وَ أَنَا خَیْرُ الْمُنْزِلِینَ و یبدو من هذه الآیه ان یوسف أعطی لأخوته مقدارا من الطعام و منع عنهم مقدارا.

[۶۰]و بعد أن رغّبهم فی عطائه الجزیل.هددهم أنه لو لم یأتوا بأخیهم فانه سوف یمنع عنهم الکیل.

فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِی بِهِ فَلا کَیْلَ لَکُمْ عِنْدِی وَ لا تَقْرَبُونِ أی فی المستقبل.

[۶۱]اخوه یوسف الذین اذهلتهم المفاجأه و عدوه بتنفیذ أمره،و محاوله اقناع والده بالأذن له بالمجیء.

قالُوا سَنُراوِدُ عَنْهُ أَباهُ وَ إِنّا لَفاعِلُونَ [۶۲]و لکن یوسف لم یرض بأن یأخذ منهم أموالهم التی جاؤوا بها لأخذ المیره،بل أمر غلمانه بأن یجعلوا بضاعتهم فی أمتعتهم لکی یعرفوا أنها لهم،و لکی یکون لدیهم دافع للمجیء الی مصر مره اخری.

وَ قالَ لِفِتْیانِهِ اجْعَلُوا بِضاعَتَهُمْ فِی رِحالِهِمْ لَعَلَّهُمْ یَعْرِفُونَها إِذَا انْقَلَبُوا إِلی أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ یَرْجِعُونَ

ص:۲۲۷

إذا عرفوا بضاعتهم عرفوا ان الملك رحيم بهم،فلا يخشون ظلمه فيعودون اليه.

[۶۳]و قطعوا تلك المسافه الطويله قافلين الى أبيهم، فلما تلقاهم أبوهم قالوا له ان ملك مصر منع عنا الكيل فلم يعطنا كل حصتنا من الطعام،و طالبنا بإحضار أخينا من أبينا،فأرسله معنا لكى نأخذ نصيبنا و انا سوف نحفظه.

فَلَمّا رَجَعُوا إِلى أَبِيهِمْ قالُوا يا أَبانا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنا أَخانا نَكْتَلْ وَ إِنّا لَهُ لَحافِظُونَ [۶۴]و أعاد يعقوب عليهم قصتهم مع يوسف،و كيف فرّطوا فيه.

قالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلاّ كَما أَمِنْتُكُمْ عَلى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فأنتم لا تحفظون عهدكم،و لكن لا آمنكم عليه،بل اترك الأمر الى اللّه، و اجعله حافظا له فهو أفضل حافظ،و خير راحم لعباده.

فَاللّهُ خَيْرٌ حافِظاً وَ هُوَ أَرْحَمُ الرّاحِمِينَ [۶۵]و كانت المفاجأه عند ما فتحوا أمتعتهم ليجدوا فيها بضاعتهم التى اشتروا بها الطعام،فآنئذ ازدادوا إلحاحا على أبيهم بالسماح لأخيهم بالسفر معهم.

وَ لَمّا فَتَحُوا مَتاعَهُمْ وَجَدُوا بِضاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قالُوا يا أَبانا ما نَبْغِي أى ماذا ننتظر أكثر من هذا،لقد أوفى الكيل،و ردت البضاعه إلينا.

هذِهِ بِضاعَتُنا رُدَّتْ إِلَيْنا ثم شرعوا فى تشجيع أبيهم على الأذن لأخيهم بالسفر معهم.

وَ نَمِيرُ أَهْلَنٰا أى نأتى بالطعام لهم.

وَ نَحْفَظُ أَخٰانٰا وَ نَزْدٰادُ كَيْلَ بَعِيرٍ حيث ان كل واحد كان يكال له بقدر حمل بعير.

ذٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ أى ميسور الحصول.حيث باستطاعتنا جلبه بسهوله.

[۶۶]و لان قلب يعقوب،لكنه طلب منهم تعهدا أكيدا بإعاده أخيهم اليه.

قٰالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتّٰى تُؤْتُونِ مَوْثِقاً مِنَ اللّٰهِ أى تتعهدون لى بذلك تعهدا دينيا..

لَتَأْتُنَّنِى بِهِ إِلاّٰ أَنْ يُحٰاطَ بِكُمْ تردونه علىّ إلاّ عند ما تغلبون على أمركم،فلا تقدرون على ذلك ففعلوا،فاذن يعقوب لهم باصطحاب ابنه الذى تسلى به عن يوسف.

فَلَمّٰا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قٰالَ اللّٰهُ عَلىٰ مٰا نَقُولُ وَكِيلٌ فاللّه وكيل بينى و بينكم على هذا الأمر.

ان اللّه ابتلى يعقوب مره بغياب يوسف فصبر،و ابتلاه هذه المره بغياب ابنه بنيامين شقيق يوسف فصبر أيضا بالرغم من التجربه السابقه التى كانت عنده من أبنائه اخوه يوسف الذين رموا به فى غيابت الجب،و هكذا تجاوز يعقوب حساسيته

النفسيه لما رأى ضروره عقلانيه لبعث ابنه العزيز عليه مع اخوته،و هكذا جعل اللّه ذلک وسيله لانهاء محنته الطويله.

و من جهه اخرى يبتلى اللّه اخوه يوسف مره ثانيه بذات المشكله السابقه تقريبا ليجرب مدى صدقهم فى ادعاء التوبه،و لكى يجزيهم بسوء أعمالهم السابقه.

ص:٢٣٠

[سوره يوسف (١٢): الآيات ۶٧ الى ٧۵]

اشاره

وَ قٰالَ يٰا بَنِيَّ لاٰ تَدْخُلُوا مِنْ بٰابٍ وٰاحِدٍ وَ اُدْخُلُوا مِنْ أَبْوٰابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَ مٰا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اَللّٰهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ اَلْحُكْمُ إِلاّٰ لِلّٰهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَ عَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ اَلْمُتَوَكِّلُونَ (۶٧) وَ لَمّٰا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مٰا كٰانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اَللّٰهِ مِنْ شَيْءٍ إِلاّٰ حٰاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضٰاهٰا وَ إِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمٰا عَلَّمْنٰاهُ وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَ اَلنّٰاسِ لاٰ يَعْلَمُونَ (۶٨) وَ لَمّٰا دَخَلُوا عَلىٰ يُوسُفَ آوىٰ إِلَيْهِ أَخٰاهُ قٰالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلاٰ تَبْتَئِسْ بِمٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ (۶٩) فَلَمّٰا جَهَّزَهُمْ بِجَهٰازِهِمْ جَعَلَ اَلسِّقٰايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا اَلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسٰارِقُونَ (٧٠) قٰالُوا وَ أَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مٰا ذٰا تَفْقِدُونَ (٧١) قٰالُوا نَفْقِدُ صُوٰاعَ اَلْمَلِكِ وَ لِمَنْ جٰاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَ أَنَا بِهِ زَعِيمٌ (٧٢) قٰالُوا تَاللّٰهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مٰا جِئْنٰا لِنُفْسِدَ فِي اَلْأَرْضِ وَ مٰا كُنّٰا سٰارِقِينَ (٧٣) قٰالُوا فَمٰا جَزٰاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كٰاذِبِينَ (٧۴) قٰالُوا جَزٰاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزٰاؤُهُ كَذٰلِكَ نَجْزِي اَلظّٰالِمِينَ (٧۵)

اللغه

۶٩[آوى]:يقال آوى منزله،يأوى أويا إذا صار إليه.

[تبتئس]:الابتئاس الاغتمام و اجتلاب البؤس و الحزن.

٧٠[السقايه]:الإناء التى يسقى منها و هو من السقى،و قيل السقايه و الصواع واحد.

ص:٢٣١

[العير]:القافله.

۷۲[زعيم]:كفيل و الزعيم أيضا القائم بأمر القوم و هو الرئيس.

ص:۲۳۲

انّی أنا أخوک

هدی من الآیات:

و بعد ان أخذ یعقوب موثقه من أبنائه بعث معهم أخاهم،و أوصاهم بألا یدخلوا فی مصر من باب واحد لیمنع عنهم الشر لو کان قد خطط ضدهم به،و أکد ان هذا الاجراء لا یقاوم قضاء اللّه،و ان الحکم للّه،و ینبغی ان یتوکل علیه المتوکلون، فذهبوا و لما وصلوا مصر دخلوا حسبما أمرهم أبوهم-ای من أبواب شتی-و لکن البلاء قد قدر لهم.نعم استطاع یعقوب بذلک ان یمتحن عملیا مدی طاعتهم بالغیب له.

فلما دخلوا علیه اقترب یوسف علیه السلام الی أخیه من امه و کشف له السرّ،و أمره بألا یحزن بما کانوا یعملون من الأذی به،و لما جهزهم جعل الکیل فی امتعه أخیه من امه، ثم نادی منادی الدوله:أیتها العیر انکم لسارقون،و کانت تلک مفاجأه ثانیه بالنسبه إلیهم.حیث أسرعوا الی المنادی،و قالوا له:ماذا تفقدون؟قالوا نفقد کیل الملک و حددوا جائزه لمن کشف عن السارق و هی حمل العیر،و أکد یوسف علیه السلام علی انه

كفيل بإعطاء ذلك الكيل لأهميته عند الناس فى سنى المجاعه.قال اخوه يوسف و هم يحلفون باللّه لم نأت لكى نفسد فى الأرض أو نسرق،فسألهم:ماذا لو وجد الكيل عند واحد منكم،و ما هو جزاؤه؟قالوا ان السارق سوف يكون شخصيا جزاء جريمته،و بإمكان السلطه ان تأخذه عبدا لما اقترفه،و هكذا تأمرنا قوانين بلادنا، و هكذا تم ليوسف ما أراد حيث وجد مبررا لإبقاء أخيه عنده.

بينات من الآيات:

قاعده امنيه:

[۶۷]قبل ان يرحل أبناؤه عنه أوصاهم يعقوب بألا يدخلوا مصر من باب واحد بل من أبواب شتى.

وَ قٰالَ يٰا بَنِيَّ لاٰ تَدْخُلُوا مِنْ بٰابٍ وٰاحِدٍ وَ ادْخُلُوا مِنْ أَبْوٰابٍ مُتَفَرِّقَةٍ و السؤال لماذا؟ هل خشى عليهم من العين الحاسده.حيث انهم كانوا ذوى هيئه و جمال،و كانوا مجموعه اخوه من أب واحد متحدين،أم أراد ان يجرب مدى طاعتهم له و هم بعيدون عنه،أم انه خشى عليهم من السلطه التى طلبتهم باصطحاب أخيهم؟ يبدو من السياق ان الاحتمال الأخير أقرب الى ذلك لأن يعقوب أكد لهم ان مثل هذا الاجراء لا يحفظهم عن اللّه،و ان قدره اللّه محيطه بهم،و بسلطات مصر، و على الإنسان ان يتحذر من مكر أعدائه،و لكن دون ان يترك التوكل على اللّه الذى يعطيه الشجاعه و التواضع و السعى الدائم الأفضل قال يعقوب:

وَ مٰا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللّٰهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاّٰ لِلّٰهِ

أي ان تدبير الأمور فی الحياه بيد اللّه سبحانه.

عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَ عَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ای ليس من الصحيح ان يعتمد أحد على ذكائه أو حذره و خططه بل على اللّه.

[۶۸]و هكذا انفصل اخوه يوسف عن بلدهم،و دخلوا مصر من أبواب متفرقه مثلما أمرهم أبوهم،و كانت خطه ملك مصر أسبق من خطه والدهم،فلقد خطط يوسف للإبقاء على واحد منهم من أجل استدراجهم الى مصر،و هكذا غلب التوكل الحذر.

وَ لَمّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ ما كانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلاّ حاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضاها تلك الحاجه هی امتحانهم،أو دفع الحسد عنهم،أو المحافظه عليهم و الاطمئنان على سلامتهم.

و بالرغم من ان التوكل يغلب الحذر،فأن على البشر الا يترك الحذر،و هكذا يمدح اللّه يعقوب على الانتفاع بعلمه و وصيته لأبنائه بأخذ الحيطه بالرغم من ان ذلك لم ينفعهم شيئا بعد ان هيئت أسباب بقائهم بمصر.

وَ إِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِما عَلَّمْناهُ وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النّاسِ لا يَعْلَمُونَ لقد كان يعقوب عالما استفاد من علمه الذی علمه ربه،و لكن أكثر الناس لا يستفيدون من علم اللّه،فلا يعلمون شيئا.

لقاء الأخوين:

[۶۹]و دخلوا على يوسف فقرب أخاه بنيامين،و أسر إليه بأنه هو يوسف صاحب

ص:٢٣٥

الجب،لکی لا یحزن للخطه التی سوف یطبقها علیه.

وَ لَمّا دَخَلُوا عَلی یُوسُفَ آوی إِلَیْهِ أَخاهُ قالَ إِنِّی أَنَا أَخُوکَ فَلا تَبْتَئِسْ بِما کانُوا یَعْمَلُونَ لقد کانت آثار الحزن بادیه علی بنیامین لیس فقط لما فعلوا بشقیقه یوسف من قبل،انما أیضا بما کانوا یعملون به من التمییز.فطمأنه یوسف و دعاه الی ترک الحزن.

[۷۰]و لأجل الإبقاء علی أخیه جعل الکیل الذی یکتال به و الذی سماه القرآن مره بالسقایه لأنه کان یسقی به،و مره بالصواع لأن الکیل کان بقدر صاع،جعله فی امتعه أخیه.

فَلَمّا جَهَّزَهُمْ بِجَهازِهِمْ جَعَلَ السِّقایَهَ فِی رَحْلِ أَخِیهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَیَّتُهَا الْعِیرُ إِنَّکُمْ لَسارِقُونَ ای أیتها القافله انکم لسارقون.

[۷۱]و کانت دهشتهم بالغه من هذه التهمه الکبیره،لذلک اجتمعوا الیه و هم یسألون عما فقد.

قالُوا وَ أَقْبَلُوا عَلَیْهِمْ ما ذا تَفْقِدُونَ [۷۲]قالُوا نَفْقِدُ صُواعَ الْمَلِکِ وَ لِمَنْ جاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِیرٍ وَ أَنَا بِهِ زَعِیمٌ فبکفالتی سیحصل الذی یدلنا علی مکان الکیل علی حمل بعیر من الطعام.

[۷۳]فتبرأ أخوه یوسف من هذه التهمه،و حلفوا باللّه:أنهم لم یهدفوا الفساد فی الأرض و السرقه حین جاؤوا الی مصر.انما جاؤوا لطلب المیره کما تدل علی ذلک

ص:۲۳۶

شواهد حالهم،أما أحوالهم السابقه فلم تكن لهم سوابق السرقه.

قٰالُوا تَاللّٰهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مٰا جِئْنٰا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَ مٰا كُنّٰا سٰارِقِينَ يقال:ان اخوه يوسف أعادوا اليه ما وجدوه فى رحالهم.زعما منهم بأنه قد وضع خطأ،و انهم حينما دخلوا مصر سدّوا أفواه دوابهم لكى لا تأكل من زرع الناس احتياطا على دينهم و كل ذلك دفعهم الى الاعتقاد بان ملك مصر و ملائه على يقين بصلاحهم،و براءتهم عن تهمه السرقه.

عقاب السرقه:

[۷۴]و قبل ان يستخرج يوسف الصاع من رحل أخيه بنيامين.سأل اخوته عن جزاء السارق فى دينهم،و كان هذا أسلوبا جديدا فى الحكم ان يعترف المجرم بحكم الجريمه لو ثبتت عليه:- قٰالُوا فَمٰا جَزٰاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كٰاذِبِينَ [۷۵]كان و لا يزال جزاء السرقه مختلفا عند الشعوب باختلاف الظروف المعيشيه،و لأن السرقه خرق للنظام الاقتصادى القائم و للقوانين الاجتماعيه الحاكمه،فلا بد ان يكون عقابها متناسبا مع ذلك النظام و تلك القوانين،و فى مصر حيث الرخاء كانت السرقه خروجا على العرف الاجتماعى و جزاؤها الضرب و السجن،بينما فى فلسطين ذلك اليوم حيث القحط كانوا يستعبدون السارق بقدر سرقته لأن السرقه كانت بهدف أخذ حقوق الناس و لدوافع اقتصاديه.

لذلك تجدهم يحددون جزاء السارق حسب بلدهم.

قٰالُوا جَزٰاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزٰاؤُهُ

ای فان السارق بذاته سوف یصبح جزاء سرقته.

کَذٰلِکَ نَجْزِی الظّٰالِمِینَ و تمت لیوسف خطته التی استهدفت الإبقاء علی أخیه عنده.

ص:۲۳۸

[سوره يوسف (١٢): الآيات ٧٦ الى ٨٢]

اشاره

فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعٰاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اِسْتَخْرَجَهٰا مِنْ وِعٰاءِ أَخِيهِ كَذٰلِكَ كِدْنٰا لِيُوسُفَ مٰا كٰانَ لِيَأْخُذَ أَخٰاهُ فِي دِينِ اَلْمَلِكِ إِلاّٰ أَنْ يَشٰاءَ اَللّٰهُ نَرْفَعُ دَرَجٰاتٍ مَنْ نَشٰاءُ وَ فَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ (٧۶) قٰالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسَرَّهٰا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَ لَمْ يُبْدِهٰا لَهُمْ قٰالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكٰاناً وَ اَللّٰهُ أَعْلَمُ بِمٰا تَصِفُونَ (٧٧) قٰالُوا يٰا أَيُّهَا اَلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَباً شَيْخاً كَبِيراً فَخُذْ أَحَدَنٰا مَكٰانَهُ إِنّٰا نَرٰاكَ مِنَ اَلْمُحْسِنِينَ (٧٨) قٰالَ مَعٰاذَ اَللّٰهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلاّٰ مَنْ وَجَدْنٰا مَتٰاعَنٰا عِنْدَهُ إِنّٰا إِذاً لَظٰالِمُونَ (٧٩) فَلَمَّا اِسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قٰالَ كَبِيرُهُمْ أَ لَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبٰاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقاً مِنَ اَللّٰهِ وَ مِنْ قَبْلُ مٰا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ اَلْأَرْضَ حَتّٰى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اَللّٰهُ لِي وَ هُوَ خَيْرُ اَلْحٰاكِمِينَ (٨٠) اِرْجِعُوا إِلىٰ أَبِيكُمْ فَقُولُوا يٰا أَبٰانٰا إِنَّ اِبْنَكَ سَرَقَ وَ مٰا شَهِدْنٰا إِلاّٰ بِمٰا عَلِمْنٰا وَ مٰا كُنّٰا لِلْغَيْبِ حٰافِظِينَ (٨١) وَ سْئَلِ اَلْقَرْيَةَ اَلَّتِي كُنّٰا فِيهٰا وَ اَلْعِيرَ اَلَّتِي أَقْبَلْنٰا فِيهٰا وَ إِنّٰا لَصٰادِقُونَ (٨٢)

اللغه

٧٧[فأسرها]:كتمها.

٨٠[خلصوا نجيّا]:انفردوا للتناجى و التشاور و المناجاه،المشاوره و الاختفاء فى الكلام.

ص:٢٣٩

[فلن أبرح]:لن أفارق.

ص:٢٤٠

يوسف خطه حكيمه

هدى من الآيات:

فلما اعترفوا بجزاء السارق.امر بتفتيش أمتعتهم،و لكن بـدأ برحالهم،ثم فتح امتعه أخيه و اسـتخرج الصاع منها،و حق له ان يحتفظ بأخيه عنده جزاء سرقته، بينما لم يكن بإمكانه حسب انظمه الملك ان يفعل ذلك الا ان اللّه علمه خطه حكيمه،و هكذا يتفاضل الناس فى العلم بما يعلمهم اللّه سبحانه.

و لكى يبرءوا ساحتهم قالوا بأنه ليس شـقيقنا،و ان شـقيقه يوسف كان قد سرق هو الآخر،فكتم يوسف الحادثه فى نفسه،و اكتفى بـان قـال لهم:كلاـ.أنتم شر مكانـا بما تتهمون شـخصا غير حاضـر،كما توافقون على تهمه غير ثابته بحق أخيكم، و اللّه اعلم بما تقولون!! و لكنهم لم يقـدروا على فصل مصـيرهم عن مصـير أخيهم بعـد ان أخـذ منهم أبوهم الميثاق،فتوسـلوا بالعزيز للعفو عنه لمكان والده العجوز،و طلبوا منه ان يأخذ أحدهم مكانه،و لكنه رفض و قال:انه ظلم ان نستعبد غير السارق،أما هم فتنكبوا جانبا

و تناجوا بينهم،فذكرهم كبيرهم بعهده الإلهى مع أبيهم،و بما فعلوا سابقا بيوسف، و قال:انى سأبقى هنا حتى يسمح لى أبى،أو يحكم اللّه لى و هو خير الحاكمين، و أمرهم بأن يعودوا الى أبيهم،و يقولوا له ان ابنك سرق،و لكنا لا نشهد ضده الا بقدر ما علمنا من ظواهر الأمور دون ان نعلم الغيب،و بإمكانك ان تسأل أهل مصر،أو تسأل القوافل المسافره.و انا لصادقون.

بينات من الآيات:

استخراج السقايه:

[۷۶]بدء يوسف يفتش اوعيه اخوته من أبيه التى كانت مليئه بالحنطه بتهمه وجود الكيل داخلها،و لم يفتش متاع أخيه الا أخيرا،فوجدوا الصاع فيه.

فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ اى استخرج السقايه من امتعه أخيه من امه بنيامين،و انما فعل كل ذلك مبالغه فى السريه،و احكاما للخطه.

كَذٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ اى هكذا علمنا يوسف الخطه و الكيد:كل فعل لا يعرف الآخرون هدفك منه الذى قد يكون الإضرار بهم أو الانتفاع منهم دون معرفتهم بوجهه.

و لم يكن باستطاعه يوسف و هو عزيز مصر ان ينفذ قانونا اجتماعيا يرعاه ملك مصر.ان يظلم الناس،و يستعبد الذين جاؤوا لشراء الطعام الا بالكيد الذى علمه اللّه.

مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلاّ أَنْ يَشَاءَ اللّهُ

و لقد شاء اللّه ان يأتى بعائله يوسف الى مصر،فعلّم يوسف هذه الخطه،و اجرى مشيئته على يد وليه الصالح يوسف عليه السلام و هكذا نعلم ان محتوى الأحكام الشرعيه و الحكم البالغه التى هى وراء سن الأحكام،و تشريع الأنظمه و ان اللّه كلف الأنبياء بقدر عقولهم،فمنهم من فرض عليه التقيد بحرفيه الأنظمه الشرعيه كسائر الناس،و منهم من أوجب عليه العمل وفق الغايات الساميه التى يوحى بها إليهم اللّه،ليحققوا مشيئه اللّه كالأنبياء و الأئمه و العلماء الذين بدورهم يختلفون فى درجاتهم،و على الأقل علما منهم ان يهتدى بنور الأكثر علما،و اللّه يرفع من يشاء بحكمته و علمه ممن هم أصلح من غيرهم.

نَرْفَعُ دَرَجٰاتٍ مَنْ نَشٰاءُ وَ فَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ

خبث التهمه:

[۷۷]فور ما تراءى لهم ان أخاهم قد سرق نسوا عهدهم مع والدهم يعقوب بإعاده أخيهم بنيامين اليه سالما،و نسوا ما فعلوه بأخيهم يوسف،فاذا بهم يؤكدون تهمه أخيهم،و يتبرءون منه،و يعودون الى اتهام يوسف بالسرقه أيضا.

قٰالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ و بذلك اخطأوا مرتين:عند ما أكدوا تهمه بنيامين،و عند ما اتهموا أخاه يوسف بالسرقه من دون اى سبب سوى إنقاذ أنفسهم من المشكله،و يبدو ان شبح الجريمه التى قاموا بها بحق أخيهم يوسف ظل يلاحقهم،فاذا بهم حساسون من إلصاق ايه تهمه بهم خشيه ان يفضح أمرهم،و إذا بهم لا يزالون يبررون بيعهم لأخيهم الحر بأنه كان قد سرق،فاستعبد و بيع جزاء سرقته،و كانت التهمه شديده الوقع على قلب يوسف و لكنه ملك نفسه،و لم تظهر على ملامحه آثار الغضب.

فَأَسَرَّهٰا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِ وَ لَمْ يُبْدِهٰا لَهُمْ

ص:۲۴۳

و لكنه اكتفى بتأنيبهم على ذكر أخيهم بسوء.

قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكاناً و يطرح المفسرون هذا السؤال:ماذا كان التبرير الظاهر ليوسف حينما قال لهم:« أَنْتُمْ شَرٌّ مَكاناً »؟فأجاب بعضهم:ان هذا القول أسره يوسف فى نفسه دون ان يبديه لهم،و بعضهم قال:بل ظهر للناس الشقاق القائم بينهم و بين أخيهم بنيامين مما كان يكفى لتأنيبهم،و ربما كان يوسف يذكرهم بأن جفاءهم لأخيهم هو السبب فى سرقته لو انه فعلا ارتكبها،و لكنه هز ضميرهم بقوله:

وَ اللّهُ أَعْلَمُ بِما تَصِفُونَ و انه هل هو فعلا صحيح أم لا؟و بالتالى.هل قد سرق اخوه أم ان ذلك ليس سوى تهمه؟ [۷۸]و تذكروا موقفهم مع أبيهم يعقوب،و اكتشفوا ان مصيرهم بالتالى مرتبط بمصير أخيهم،فأخذوا يتضرعون الى عزيز مصر بأن يعفو عن أخيهم أو ان يأخذ أحدهم مكانه.

قالُوا يا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَباً شَيْخاً كَبِيراً فَخُذْ أَحَدَنا مَكانَهُ إِنّا نَراكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ و هكذا يتردد البشر بين حالتين متناقضتين فبين ان يتهم الأبرياء بالسرقه و بين ان يفدى بنفسه فى سبيل الوفاء بعهده.

[۷۹]اما يوسف عليه السلام الذى رتّب كل تلك الخطه للإبقاء على أخيه عنده،فرفض العرض.

ص:۲۴۴

قَالَ مَعَاذَ اللّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلاّ مَنْ وَجَدْنا مَتاعَنا عِنْدَهُ إِنّا إِذاً لَظالِمُونَ و ذكرهم بـذلك ان الإحسان يجب الا يمنع تنفيـذ القوانين السائده.و الا ينقلب الى ظلم،فالإنسان يحسن فى إعطاء ماله و ما هو اولى به،و لا يحسن فى اموال الناس و حقوقهم،و لذلك جاء فى الإسلام:

«لا شفاعه فى حد»

الموقف المسؤول:

[٨٠]ألحوا على يوسف-عبثا-بترك أخيهم بأيه وسيله ممكنه،فلما بلغوا حد اليأس اجتمعوا الى بعضهم يتناجون فقال كبيرهم و أسمه روبين كما يقال،و هو ابن خاله يوسف و هو الذى نهاهم من قتله من قبل قال لهم:إننا قد عاهدنا اللّه عند أبينا الا نفرط فى أخينا،و قد كنا فعلنا مثله مع يوسف،فتعهدنا و أخلفنا،و لا يمكن ان نكرر الأمر،و انى سأبقى هنا انتظر امر اللّه،فأما يأذن لى أبى أو يأذن لى ربى.

فَلَمّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ قال ابن كثير:«استيأسوا منه»و«استيأس الرسل»و يئس و استيأس بمعنى مثل سخر و استسخر و عجب و استعجب.

و لكن يبدو ان اليأس هو:العلم الصادق بعدم فائده المحاوله بينما الاستيئاس هو الظن بذلك الذى يداخله الضعف النفسى للبشر،و إذا كان هذا المعنى صحيحا فان ذلك يعنى ان اخوه يوسف كانوا غير مستقيمين نفسيا بسبب الجريمه السابقه التى ارتكبوها بحق أخيهم،و لذلك فهم يأسوا سريعا..

خَلَصُوا نَجِيًّا

اى انفردوا عن الناس حتى أصبحوا خالصين من دون غريب يشاركهم الأمر، و هدف خلوصهم و انفرادهم كان النجوى،و هنا من أبلغ ما نفهمه من آيات القرآن فى اناقه الظاهر و عمق الباطن،و تنوع المعنى.

قٰالَ كَبِيرُهُمْ أَ لَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبٰاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقاً مِنَ اللّٰهِ وَ مِنْ قَبْلُ مٰا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ اى بعد ان أخذ أبوكم منكم موثقا أيضا.

فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتّٰى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللّٰهُ لِي وَ هُوَ خَيْرُ الْحٰاكِمِينَ اى حتى يأذن لى صاحب الحق أو صاحب التشريع،و هكذا تجلت فى أخيهم الأكبر روح المسؤوليه،و ظهر انه تاب الى ربه توبه نصوحا.

[۸۱]و أمرهم روبين و هو أكبر الأخوه بالعوده،و بيان كل الحقيقه و من دون اضافه آرائهم إليها،قال لهم:

اِرْجِعُوا إِلىٰ أَبِيكُمْ فَقُولُوا يٰا أَبٰانٰا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ و لكن دون ان تؤكدوا التهمه،بل قولوا لأبيكم أيضا.

وَ مٰا شَهِدْنٰا إِلاّٰ بِمٰا عَلِمْنٰا إذ رأينا انهم اخرجوا السقايه من وعائه،و لم نشهد بأكثر من هذا.

وَ مٰا كُنّٰا لِلْغَيْبِ حٰافِظِينَ لم نكن حافظين لما يجرى فى الواقع،و لذلك لا نعرف هل سرق أخونا أم لا، و لعله تهمه،يبدو ان تفريطا حصل منهم بشأن أخيهم حيث قبلوا من دون تردد تهمه

السلطات ضد أخيهم و ذلک بسبب سوء ظنهم به و بأخيهم يوسف من قبل.

[۸۲]و بإمكانک ان تسأل المجتمعين ببلد مصر،أو تسأل العائدين من هناک.

وَ سْئَلِ الْقَرْيَهَ الَّتِی كُنّا فِيها ای أهل القريه.

وَ الْعِيرَ الَّتِی أَقْبَلْنا فِيها ای:ایّ مسافر قادم مع قافلتنا.

وَ إِنّا لَصادِقُونَ

ص:۲۴۷

[سوره يوسف (١٢): الآيات ٨٣ الى ٩٣]

اشاره

قٰالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اَللّٰهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ اَلْعَلِيمُ اَلْحَكِيمُ (٨٣) وَ تَوَلّٰى عَنْهُمْ وَ قٰالَ يٰا أَسَفىٰ عَلىٰ يُوسُفَ وَ اِبْيَضَّتْ عَيْنٰاهُ مِنَ اَلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ (٨٤) قٰالُوا تَاللّٰهِ تَفْتَؤُا تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتّٰى تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ اَلْهٰالِكِينَ (٨٥) قٰالَ إِنَّمٰا أَشْكُوا بَثِّي وَ حُزْنِي إِلَى اَللّٰهِ وَ أَعْلَمُ مِنَ اَللّٰهِ مٰا لاٰ تَعْلَمُونَ (٨٦) يٰا بَنِيَّ اِذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَ أَخِيهِ وَ لاٰ تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اَللّٰهِ إِنَّهُ لاٰ يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اَللّٰهِ إِلاَّ اَلْقَوْمُ اَلْكٰافِرُونَ (٨٧) فَلَمّٰا دَخَلُوا عَلَيْهِ قٰالُوا يٰا أَيُّهَا اَلْعَزِيزُ مَسَّنٰا وَ أَهْلَنَا اَلضُّرُّ وَ جِئْنٰا بِبِضٰاعَةٍ مُزْجٰاةٍ فَأَوْفِ لَنَا اَلْكَيْلَ وَ تَصَدَّقْ عَلَيْنٰا إِنَّ اَللّٰهَ يَجْزِي اَلْمُتَصَدِّقِينَ (٨٨) قٰالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مٰا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَ أَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جٰاهِلُونَ (٨٩) قٰالُوا أَ إِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قٰالَ أَنَا يُوسُفُ وَ هٰذٰا أَخِي قَدْ مَنَّ اَللّٰهُ عَلَيْنٰا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَ يَصْبِرْ فَإِنَّ اَللّٰهَ لاٰ يُضِيعُ أَجْرَ اَلْمُحْسِنِينَ (٩٠) قٰالُوا تَاللّٰهِ لَقَدْ آثَرَكَ اَللّٰهُ عَلَيْنٰا وَ إِنْ كُنّٰا لَخٰاطِئِينَ (٩١) قٰالَ لاٰ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ اَلْيَوْمَ يَغْفِرُ اَللّٰهُ لَكُمْ وَ هُوَ أَرْحَمُ اَلرّٰاحِمِينَ (٩٢) اِذْهَبُوا بِقَمِيصِي هٰذٰا فَأَلْقُوهُ عَلىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيراً وَ أْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ (٩٣)

اللغه

٨٣[سوّلت]:زينت و سهلت.

٨۴[يا أسفى]:يا حزنى.

[كظيم]:الكظم اجتراع الحزن و هو أن يمسكه فى قلبه و لا يبثه فى غيره.

٨۵[تاللّه تفتؤا]:لا تزال.

[حرضا]:الحرض المشرف على الهلاك.

٨۶[البث]:الهم الذى لا يقدر صاحبه على كتمانه فيبثه.

٨٧[فتحسّسوا]:التحسس طلب الشىء بالحاسه.

[روح اللّه]:الروح الراحه،و الروح الرحمه،و أصل الباب من الريح التی تأتی بالرحمه.

و لا تيأسوا من روح اللّه

هدى من الآيات:

و عاد اخوه يوسف عليه السلام الى أبيهم و بغم جديد،و خرق للميثاق،فلم يصدقهم يعقوب عليه السلام بان أخاهم سرق،و اتهمهم بتدبير حيله جديده،و لكنه تذرع بالصبر الجميل،و وضع كل أمله على اللّه العليم الحكيم،و ترك أبناءه و أعاد نوحه على ابنه يوسف عليه السلام و أسفه عليه حتى مشى البياض فى سواد عينه،و كادت تعمى،و حتى بدى للناظر فى مظهره المليء،بالهموم.الكاظم نفسه عنها.أما هم فقد أشفقوا عليه و قالوا:انك لا تزال تذكر يوسف حتى تشرف على الهلاك أو تهلك فعلا،و لكن يعقوب تمسك بهدى ايمانه فلم ييأس و قال:انى أشكو همومى و احزانى الى اللّه الذى اعلم انه ارحم الراحمين،و انه يفى بوعده باستخلاف يوسف و سجود اخوته امامه و أمرهم بتكرار،المحاوله لعلهم يقرون على يوسف،و نهاهم عن اليأس الذى هو بضاعه الكفار الذين لا يؤمنون باللّه و برحمته الواسعه،و استجاب اخوه يوسف لأمر والدهم الذى أشفقوا عليه،و بلغ ندمهم على فعلهم السابق مبلغ التوبه النصوح.

فذهبوا الى مصر و دخلوا على العزيز و قالوا له بلهجه المتضرع:اننا قوم قد أحاط بنا البلاء حتى تحسسنا بألم الفقر،و لا نملك الا بضاعه رديئه.و نسألك ان تعتبرها جيده فتوفى لنا الكيل بقدر البضاعه الجيده،و تصدق علينا بإطلاق أخينا فاللّه يجزى المتصدقين الذين يحسنون الى الناس ابتغاء مرضاته،و رأى يوسف ان الوقت قد حان للكشف عن نفسه فقال.

هل تذكرون ما فعلتم بيوسف فى أيام جهلكم تحسبون ان باستطاعتكم سلب حب أبيه عنه؟و كان أبوهم قد أعطاهم الأمل فى البحث عن يوسف،و جاء سؤال العزيز عن يوسف غريبا فقالوا:أ إنك لأنت يوسف.قال:انا يوسف و هذا اخى.

انظروا كيف منّ اللّه علينا بسبب التقوى و الصبر و الإحسان،و بالرغم من انفه اخوه يوسف الشديده من الاعتراف بفضل يوسف سابقا.الا أنهم حلفوا الآن باللّه بأن اللّه قد فضّله عليهم،و انهم هم الخاطئون،فعفى عنهم يوسف،و استغفر اللّه لهم و أملهم من رحمه ربهم الذى هو ارحم الراحمين و طلب منهم العوده الى أبيهم مع قميصه ليستعيد بصره الذى فقده لحزنه،و ليأتوا بأهله جميعا ليشهدوا نعم اللّه عليه.

بينات من الآيات:

نفحات الأمل:

[۸۳]لماذا اتهم يعقوب أبناءه بالكذب بعد ما اخبروه بواقع ما جرى عليهم من احتجاز السلطات لأخيهم بتهمه سرقه صواع الملك،و قال لهم بعد ما اخبروه:

قٰالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً اى ان أهواء كم زينت لكم فكره آمنتم بها انطلاقا من الهوى لا العقل لماذا؟ أولا:ان اخوه يوسف عليه السلام كذبوا أول مره و كانت تهمه الكذب أقرب إليهم

لسوء سابقتهم فی الخیانه.

ثانیا:ان اتهام السرقه الی أخیهم بمجرد وجود السقایه فی وعائه،کان نابعا من استصغارهم له،و عدائهم الدفین له و لأخیهم یوسف.

ثالثا:ان تذلیل أخیهم و التعصب لأنفسهم فی مواجهته کان هو السبب لسرقته لو انه ارتکبها.

و لکن یعقوب علیه السلام تسلح بالصبر الجمیل لمعالجه سوء أخلاق ابنائه،و عنصریتهم المقیته حتی ضد أخیهم الأصغر سنا منهم.

فَصَبْرٌ جَمِیلٌ ای عندی صبر جمیل استعیض به عن مکرکم،و ما تسوله لکم أنفسکم،فلا أجزع لشده البلاء،فافقد رشدی و قوه احتمالی،و لا أتردد فی أن البلاء سیزول بأذن اللّه،و لا أنطوی علی نفسی بسبب المصیبه و اترک العمل انتظارا لزوال المصیبه بذاتها أو بطریقه غیبیه،و بالتالی أضیف عامل الزمن(الصبر)الی سائر عوامل النجاح حسن التدبیر-السعی-التوکل حتی ینصرنی ربی،و یدل علی معنی الجمال فی الصبر السیاق القادم.یقول ربنا علی لسان یعقوب:

عَسَی اللّهُ أَنْ یَأْتِیَنِی بِهِمْ جَمِیعاً إِنَّهُ هُوَ الْعَلِیمُ الْحَکِیمُ [۸۴]و ترک أبناءه موقتا،و لکنه اثار فیهم عواطف الأبناء لوالدهم العجوز و قد أنهکته المصائب فابیضت عیناه حزنا..

وَ تَوَلّی عَنْهُمْ وَ قالَ یا أَسَفی عَلی یُوسُفَ وَ ابْیَضَّتْ عَیْناهُ مِنَ الْحُزْنِ یبدو ان استمرار الکآبه افقد یعقوب قدرته علی الرؤیه.فتحول سواد عینه الی

بیاض شأنه شأن کبار السن،و لا یجب ان یکون ذلک بسبب البکاء وحده.إذ ان الحزن المکبوت الذی یکظمه صاحبه قد یکون أشد أثرا علی البشر من البکاء لذلک قال ربنا.

فَهُوَ کَظِیمٌ ای یحفظ نفسه من آثار الحزن التی تظهر علیه،و منها فقد توازنه بأبعاد ابنائه عن نفسه و الإسراع فی عقابهم دون انتظار تربیتهم و هدایتهم.

تأثیر البکاء علی القلب القاسی:

[۸۵]یبدو ان قلب أبناءه القاسی بدأ الآن یلین لوالدهم الحزین فجاءوا الیه یواسونه و یطلبون منه التقلیل من الحزن للإبقاء علی صحته لکی لا یکون فاسد الجسم أو هالکا.

قٰالُوا تَاللّٰهِ تَفْتَؤُا تَذْکُرُ یُوسُفَ ای اننا نقسم علیک باللّه الا تستمر علی ذکر یوسف فتعجل مرضک أو موتک.

حَتّٰی تَکُونَ حَرَضاً أَوْ تَکُونَ مِنَ الْهٰالِکِینَ الحرض المشرف علی الهلاک.

[۸۶]و لکنه قال:کلا ان عاقبتی لیست الهلاک أو المرض بل سوف أبلغ هدفی لان اعتمادی علی اللّه،و لانی اعلم عن تعبیر رؤیا ولدی یوسف.انی سوف أراه ذا شأن کبیر.و هذا الأمل یحدونی الی الضراعه الی اللّه لتعجیل الفرج علی.

قٰالَ إِنَّمٰا أَشْکُوا بَثِّی وَ حُزْنِی إِلَی اللّٰهِ

البث هو ما ظهر من الحزن.

وَ أَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مٰا لاٰ تَعْلَمُونَ

بث روح الأمل:

[۸۷]ثم دعاهم الى السعى بلا يأس،و أمرهم بالتحرك و التفتيش عن يوسف و أخيه لمعرفته ان البلاء يرفع عند شدته.

يٰا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا اى استفيدوا من احساسكم و لا تعتمدوا على نظر يأتكم التى قد يداخلها اليأس فتبدو لكم الحقائق أساطير،و لا تعتمدوا على أقوال الناس التى قد لا تكون صحيحه، و هذا امر صريح منه بضروره الاعتماد على العلم خصوصا الحاصل من التجربه الحسيه.

مِنْ يُوسُفَ وَ أَخِيهِ وَ لاٰ تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللّهِ ان آفه التحسس و التفتيش عن الحقيقه هى اليأس و الاعتقاد بقصر عقل الإنسان عن المعرفه و روح اللّه.ذلك الإلهام المفاجئ الذى يغمر قلب الباحث فيهتدى الى الحق.

ان العلم نور يقذفه اللّه تعالى فى قلب من يشاء،و هو روح اللّه فى هذا المجال و لكن لا يقذفه الا بعد ان يكون الفرد صالحا و الذى لا يتحسس و لا يفتش بأحساسه عن الحقيقه لا يقذف اللّه نورها فى قلبه.

إِنَّهُ لاٰ يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكٰافِرُونَ فالذين يكفرون باللّه و يسترون نعمه عليهم.هم الذين ييأسون من روح اللّه.

بين يدى يوسف:

[۸۸]و قام اخوه يوسف عليه السلام بشد الرحال الى مصر يحدوهم أمل جديد لانهاء مشكله والدهم،و قد بلغت الضراء بالنسبه إليهم حدا لا يطاق،فدخلوا على يوسف فى حاله يرثى لها إذ جاؤوا ببضاعه قليله رديئه لا تساوى قدرا يذكر من الطعام، و طلبوا منه ان يتقبلها منهم على أساس انها كامله صالحه فيعطيهم من الطعام ما يعوض ضرهم.كما طلبوا منه ان يتصدق عليهم بإطلاق سراح أخيهم.طلبا لجزاء اللّه الذى أعده للمتصدقين.

فَلَمّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قالُوا يا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنا وَ أَهْلَنَا الضُّرُّ وَ جِئْنا بِبِضاعَهٍ مُزْجاهٍ أصل الكلمه الدفع قليلا قليلا.و سميت البضاعه اليسيره و الناقصه بالمزجاه.

فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَ تَصَدَّقْ عَلَيْنا إِنَّ اللّهَ يَجْزِى الْمُتَصَدِّقِينَ الصدقه أصلها من تصديق وعد اللّه.

[۸۹]لقد تحطم غرور اخوه يوسف عليه السلام على صخره الواقع فها هم يجأرون الى عزيز مصر لكى يرحمهم،و يطلبون منه التصدق عليهم-و الجوع-و مشكله والدهم، و هاجس الذنب يقض مضاجعهم،و كان الوقت إذا مناسبا ليكشف يوسف عن لغز القصه.فبادرهم بسؤال مفاجئ.

قالَ هَلْ عَلِمْتُمْ ما فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَ أَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جاهِلُونَ ففى أيام جهلكم و صغر سنكم و كبر غروركم.القيتم يوسف أخاكم البرىء فى غيابت الجب.و استصغرتم أخاكم الثانى،ثم تركتموه عبدا عند الغرباء بعد ان أثبتم عليه تهمه السرقه و اتهمتم أخاه يوسف بها،و الآن تطالبوننى بالتصدق

و تزعمون ان اللّه يجزى المتصدقين؟الآن عرفتم هذه الحقيقه.أم لأنها فى مصلحتكم توسلتم بها؟

و حل اللغز:

[۹۰]كان واضحا ان تقريع العزيز لم يكن عبثا،و انما كان يتناسب مع شعورهم الداخلى لأن مشاكلهم انما هى بسبب ما فعلوه بأخيهم يوسف..و هنا أدركهم روح اللّه الذى طلبوه بإرشاد والدهم يعقوب-فعرفوا-بلغته الذكيه ان الذى يخاطبهم هو يوسف ذاته.

قٰالُوا أَ إِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قالوا بلحن السؤال الملىء بالتعجب و الشوق الى الجواب.

قٰالَ أَنَا يُوسُفُ وَ هٰذٰا أَخِي قَدْ مَنَّ اللّٰهُ عَلَيْنٰا و لم ينسى يوسف ان يذكرهم بعبره الحياه و يقول:

إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَ يَصْبِرْ فَإِنَّ اللّٰهَ لاٰ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ اى ان من يقاوم ضغوط الشهوات،و يقاوم الحسد و الحقد،و يبقى مستقيما على تقواه.صابرا على المكاره التى تصيبه بسبب التقوى..فان اللّه يجزيه بقدر إحسانه الى الآخرين،و القرآن يؤكد فى سوره يوسف على قيمه الإحسان لأهميتها فى الملك،و فى الحصول على مغانم الدنيا.

لحظات الاعتراف:

[۹۱]فاعترفوا بذنبهم،و بأن اللّه حين فضله عليهم فانما بعلمه و حكمته البالغه.

قَالُوا تَاللّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللّهُ عَلَيْنَا وَ إِنْ كُنّا لَخَاطِئِينَ إن خطأهم الأساسى كان فى مقاومه سنه اللّه التى لا يزيدها رفض الناس لها الا عجله.

[۹۲]اما يوسف عليه السلام الذى عرف عاقبه الغرور بالقوه،و كيف ان اخوته قد أسكرهم خمر العصبيه فقاموا بجريمه منكره و حطموا مستقبلهم،اما يوسف عرف ان زكاه النصر هى العفو فقد تسلح بقيمه الإحسان التى رفعته الى هذا المقام بإذن اللّه.

و عفا عنهم بل و أعطاهم الأمل بأن يعفو عنهم اللّه لكى لا يلاحقهم شبح الجريمه فتتعقد أنفسهم،و تسوء أخلاقهم فيقوموا بجرائم اخرى..

قَالَ لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ اى لا توبيخ و لا تقريع.

يَغْفِرُ اللّهُ لَكُمْ وَ هُوَ أَرْحَمُ الرّاحِمِينَ [۹۳]ثم أمرهم بأخذ قميصه الى والده يعقوب.و هو ذلك القميص الذى تضوع بعبق جسده ذا النكهه الخاصه التى لا بد لأبيه الواله من معرفته بسبب تركز احاسيسه فى لحظه المصاب و تذكره كل شىء من يوسف..بسبب استمرار حضور يوسف فى مخيلته رغم مرور أربعين سنه على فراقه.

اِذْهَبُوا بِقَمِيصِى هٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيراً وَ أْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ان الحزن البالغ الذى ذهب بنور عين الشيخ الواله..يتبدل فجأه الى سرور بالغ فتنشط خلايا جسده جميعا،و يعود بصيرا بأذن اللّه.

[سوره يوسف (۱۲): الآيات ۹۴ الى ۱۰۲]

اشاره

وَ لَمّا فَصَلَتِ اَلْعِيرُ قالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْ لا أَنْ تُفَنِّدُونِ (۹۴) قالُوا تَاللّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلالِكَ اَلْقَدِيمِ (۹۵) فَلَمّا أَنْ جاءَ اَلْبَشِيرُ أَلْقاهُ عَلى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيراً قالَ أَ لَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اَللّهِ ما لا تَعْلَمُونَ (۹۶) قالُوا يا أَبانَا اِسْتَغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا إِنّا كُنّا خاطِئِينَ (۹۷) قالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ اَلْغَفُورُ اَلرَّحِيمُ (۹۸) فَلَمّا دَخَلُوا عَلى يُوسُفَ آوى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَ قالَ اُدْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شاءَ اَللّهُ آمِنِينَ (۹۹) وَ رَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى اَلْعَرْشِ وَ خَرُّوا لَهُ سُجَّداً وَ قالَ يا أَبَتِ هذا تَأْوِيلُ رُءْيايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَها رَبِّي حَقًّا وَ قَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ اَلسِّجْنِ وَ جاءَ بِكُمْ مِنَ اَلْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ اَلشَّيْطانُ بَيْنِي وَ بَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِما يَشاءُ إِنَّهُ هُوَ اَلْعَلِيمُ اَلْحَكِيمُ (۱۰۰) رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ اَلْمُلْكِ وَ عَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ اَلْأَحادِيثِ فاطِرَ اَلسَّماواتِ وَ اَلْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي اَلدُّنْيا وَ اَلْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَ أَلْحِقْنِي بِالصّالِحِينَ (۱۰۱) ذلِكَ مِنْ أَنْباءِ اَلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَ ما كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَ هُمْ يَمْكُرُونَ (۱۰۲)

اللغه

۹۴[فصلت]:الفصل أصله القطع،و فصلت العير بمعنى انفصلت من المدينه نحو الشام.

[تفنّدون]:التفنيد تضعيف الرأى و الفند ضعف الرأى.

ص:۲۵۸

۱۰۰[نزغ]:أفسد و حرش.

ص:۲۵۹

من الرؤيا الى الحقيقه

هدى من الآيات:

و تحركت من مصر قافله البشر تحمل قميص يوسف عليه السلام . فقال يعقوب عليه السلام و هو جالس بين بعض أبنائه إنى لأشتمّ ريح يوسف.بالرغم من انكم تضّعفون رأيى.

فأنكروا عليه ذلك و نسبوه الى الابتعاد عن الحقيقه بسبب حبه العميق لولده.بيد ان البشير ما لبث حتى و صل و القى قميص يوسف على وجهه فأعاد اللّه عليه به عينيه.

قٰالَ أَ لَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّى أَعْلَمُ مِنَ اللّٰهِ نهايه مشكلتى،و تعبير رؤيا ابنى و أنتم لا تعلمون فسقط فى أيديهم و طلبوا أباهم ان يستغفر لهم اللّه من ذنوبهم و اعترفوا بخطئهم،فقال يعقوب: سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّى إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ .و ارتحلوا جميعا الى مصر فدخلوا على يوسف عزيز مصر حيث استقبلهم بحفاوه- وَ قٰالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شٰاءَ اللّٰهُ آمِنِينَ و جعل أبويه فوق العرش بينما خرّ الناس سجد اللّه امام عرشه،و قال يوسف:هذا تأويل رؤياى.من قبل-لقد جعلها اللّه واقعا حقا،ثم فصل قصته لهم و كيف انه سجن فأحسن اللّه به و أخرجه من السجن،و كيف بالتالى جاء بأهله من الصحراء بعد ان فرق الشيطان بكيده بينه و بين اخوته.

ص:٢٦٠

و كيف ان اللّه لطيف يجرى سننه برفق.و بحسن تدبير و هو عليم حكيم.ثم استغل المناسبه لكى يدعو اللّه و يحدد موقفه من الملك الذى أنعم به اللّه عليه.فقال ان اللّه أتاه الملك و علمه من تأويل الأحاديث لذلك فهو يطلب منه مزيدا من الفضل -و هو فاطر السموات و الأرض و هو الولى فى الدنيا-ذلك الفضل هو ابقاؤه فى الدنيا على الإسلام و إلحاقه بالصالحين فى الآخره.كل ذلك كانت قصه يوسف عليه السلام التى اوحى بها ربنا الى قلب الرسول،و كيف احتوت على أدق التفاصيل الهامه مثل مباحثاتهم و هم يجمعون أمرهم و يخططون لإلقائه فى غيابت الجب.

بينات من الآيات:

نسائم البشرى:

[۹۴]حينما تحركت القافله التى تحمل قميص يوسف عليه السلام تجدد الأمل فى قلب يعقوب برؤيه ابنه المختطف بعد طول المعاناه فقال لمن حوله انى أجد ريح يوسف.

وَ لَمّٰا فَصَلَتِ الْعِيرُ قٰالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ بيد ان من حوله لم يكونوا يصدقوه.

أولا:لأنهم اعتقدوا أن أمل يعقوب نابع من حبه العميق لابنه يوسف.

ثانيا:لأنه لم يكن معقولا عندهم ان يجد أحد ريح ابنه من بعيد خصوصا من مسافه عشره أيام سيرا لذلك قال يعقوب:

لَوْ لاٰ أَنْ تُفَنِّدُونِ أى تضعفون رأيى.و تحاولون إبطاله..و يبقى هذا السؤال هل ان الحاسه السادسه..التى هى قد تكون تركيزا.لمجمل القوى العلميه عند البشر هى التى

كشفت ليعقوب تحرك العير بقميص يوسف.أم انه كان إعجازا غيبيا؟! [۹۵]و بالرغم من ان يعقوب أكّد لهم ان تفنيدهم لرأيه لا يؤويه عنه و هو متشبث برأيه بالرغم من مخالفتهم و بالرغم من ذلك نجدهم يؤكدون له معارضتهم و يحلفون باللّه أنه فى ذات الضلاله القديمه التى كانت عنده.

قالُوا تَاللّهِ إِنَّكَ لَفِی ضَلالِکَ الْقَدِیمِ حيث أنه لا يزال ينتظر ابنه الذى ضاع فى دنيا المآسى و فى عالم الإنسان أقل قيمه فيه من أى شىء آخر.

فَارْتَدَّ بَصِيراً:

[۹۶]ما لبث أن وصل البشير يحمل قميص يوسف.و ربما بعد عشره أيام من السير الحثيث لقطع المسافه بين فلسطين و مصر..فأخذ القميص و ألقاه على وجه يعقوب فعاد اليه بصره ربما بسبب الفرح الذى طرأ بصوره مفاجئه أو بسبب غيبى الهى.

فَلَمّا أَنْ جاءَ الْبَشِیرُ أَلْقاهُ عَلی وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِیراً قالَ أَ لَمْ أَقُلْ لَکُمْ إِنِّی أَعْلَمُ مِنَ اللّهِ ما لا تَعْلَمُونَ حيث علم يعقوب بتفسير رؤيا يوسف انه يبقى حتى يصبح ملكا تخضع له أعناق اخوته كما علم بالغيب ان يوسف لم يمت و لقد وعده اللّه بإعادته اليه.

[۹۷]و هنا لك فقط اعترف اخوه يوسف-و يبدو أنهم الباقون منهم عند أبيهم يعقوب-اعترفوا بذنبهم،و طلبوا من أبيهم ان يشترک فى الاستغفار لهم.

قالُوا یا أَبانَا اسْتَغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا إِنّا کُنّا خاطِئِینَ

[۹۸]و وعدهم يعقوب الاستغفار مستقبلا و أملهم فى مغفره ربهم كما فعل يوسف بسائر اخوته!و كما يفعل الصالحون بالمذنبين،و السبب ان اليأس من جنود الشيطان.و من عوامل الانحراف.

قالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّی إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ و يبقى سؤال-لماذا أخر الاستغفار؟ و الجواب:ان للاستغفار شروطا:إصلاح ما فسد و العزم على عدم التكرار، و تزكيه النفس و تطهيرها من رواسب الذنب،ثم الاستغفار فى أوقات خاصه.بعد صلاه خاشعه.و هكذا.لذلک

جاء فى الحديث المأثور عن الصادق عليه السلام:

«إنّ يعقوب أخرّ أبناءه الى وقت السحر لأنه أقرب الى إجابه الدعاء» (۱)ثم أن الذنب لا يكفيه مجرد طلب المغفره مره واحده بل لا بد من الاستمرار على الاستغفار المره بعد الاخرى هذا لا يحصل الاّ عبر أيام متطاوله،و لذلک قال يعقوب لهم سوف...و قالوا:ان يعقوب كان يصف أولاده عشرين سنه يدعو و يؤمنون على دعائه و استغفاره لهم.

و تحقق الحلم:

[۹۹]جمع يعقوب أبناءه و أمتعته و ساروا الى مصر حيث الملک العادل.فاستقبل يوسف عند المدينه أبويه يعقوب.و زوجته التى هى خالته.و راحيل امه الحقيقيه.

فَلَمّا دَخَلُوا عَلى يُوسُفَ آوى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَ قالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شاءَ اللّهُ آمِنِينَ

۱- ۱) نور الثقلين ج ۲ ص ۴۶۶ رقم ۱۹۷

ان أعظم نعم اللّه على أصحاب المدن هو الأمان.و الابتعاد عن الحر و البرد و الحيوانات الضاريه.و الغزو و النهب و ما أشبه.

[۱۰۰]أما أبواه فقد استقرا عند يوسف على عرش الملك.بينما سجد الجميع للّه شكرا لهذه النعمه.

وَ رَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَ خَرُّوا لَهُ سُجَّداً قال بعضهم إن السجود كان باتجاه يوسف فعلا.و لكنه لم يكن بمعنى الوقوع على الأرض.انما الانحناء التام احتراما لمقام الملك.و الإكرام يجوز.فيما تحرم العباده إذ ان الحرام هو تقديس أحد و رفعه الى مستوى الالوهيه.سواء كان ذلك عن طريق السجود له أو الطاعه المطلقه له أو حتى رفع اليد،فحتى رفع اليد إذا كان إشاره الى ان صاحبه إله.فهو حرام و شرك..و أما لو كان الاحترام بهدف الإكرام لا التقديس،و إذا كانت الطاعه بهدف عباده اللّه و الخضوع لأمره بطاعه ولى الأمر.فان السجود امامه.لا يكتب حرمه.إلاّ إذا كان السجود بذاته رمزا للألوهيه كما الحال بيننا نحن المسلمين.

و إن كثيرا من الشعوب ينحنون الى حد الركوع أو أكثر تحيه للقاء بينهم.و لا يعنى ذلك أبدا معنى الاعتقاد بألوهيه من يفعلون أمامه ذلك..و بالتالى لا يحرم عليهم ذلك بينما يحرم علينا لان الركوع قد تحول بذاته الى رمز للعباده،و اختص به اللّه.و حين فعل أخوه يوسف أمامه ما فعلوه التفت يوسف الى أبيه.

وَ قٰالَ يٰا أَبَتِ هٰذٰا تَأْوِيلُ رُءْيٰايَ مِنْ قَبْلُ فالشمس و القمر هما والداه،و الأحد عشر كوكبا هم أخوته الذين سجدوا أمامه

جميعا.

و هكذا جعل ربنا تلك الرؤيا حقيقيه.بينما كان من الممكن لو لم يوفر يوسف شروط تحقيقها فى نفسه و بسعيه و حسن إختياره إذا بقيت حلما و أمانى.

قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا وَ قَدْ أَحْسَنَ بِى إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ السِّجْنِ ركز حديثه على مرحله السجن لأهميتها و لبعد المسافه بين السجين المتهم بجريمه شرف و بين الملك العزيز الذى بيده كل شىء.

وَ جَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ أى من حياه الصحراء الى العيش بمصر.حيث المدينه.

مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِى وَ بَيْنَ إِخْوَتِى أى أفسد العلاقه بينى و بين اخوتى.ثم أكد ان أمر اللّه ينفذ برفق بين ثنايا الحياه كما الماء فى مسارب الرمال.بحيث لا يعرف أحد كيف تم التحول.

إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ حيث أن تدبيره يوغل برفق و من دون صخب أو صعوبه بين صخور الحياه دون أن يقدر أحد على الوقوف أمامه.

إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ فبعلمه سبحانه أحاط بسبل الحياه.و بحكمته أجرى تدبيره عبرها حتى النهايه.

ص:۲۶۵

[۱۰۱]فی عزه قدرته و ملکه لم یغفل یوسف علیه السّلام ربه.و لم ینس أنه هو الذی آتاه الملک،و ان ما عنده جزء من الملک الأکبر الذی یملکه اللّه سبحانه فخوّله إیاه.کما ان علمه جزء مما عند اللّه..و بالتالی فانه بحاجه الی ربه لیأتیه المزید من الملک.و یعلمه المزید من تأویل الأحادیث.

رَبِّ قَدْ آتَیْتَنِی مِنَ الْمُلْکِ وَ عَلَّمْتَنِی مِنْ تَأْوِیلِ الْأَحٰادِیثِ ان نشوه الانتصار لم تدع یوسف الی الانتقام لایام الذله و العذاب.حیث ألقی فی الجب،و حیث وجد نفسه عبدا یتبادله الناس بثمن بخس دراهم معدوده.

و حیث تسجنه امرأه العزیز زورا،و یعانی فی السجن الأمرّین ذلک لان قلبه کان عامرا أبدا بنور اللّه فلم یصب بعقده النقص و الانهیار و السلبیه.کما لم یصب بالغرور و الفخر لأنه کان یعلم ان الشر و الخیر فتنه،و ان البلاء رحم العظمه و قد تکون النعمه سبیل الهاویه.

کما کان یؤمن بان الحیاه الدنیا بما فیها من خیر و شر.قنطره الی الآخره التی هی الحیوان لذلک لم ینس تفاهه الدنیا بخیرها و شرها،بسجنها و ملک مصرها، لذلک قال.و هو یدعو ربه.

فٰاطِرَ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ أَنْتَ وَلِیِّی فِی الدُّنْیٰا وَ الْآخِرَهِ تَوَفَّنِی مُسْلِماً وَ أَلْحِقْنِی بِالصّٰالِحِینَ ان الهدف الأسمی للإنسان ینبغی ان یکون الاستمرار علی خط الإسلام حتی الموت.و من ثم ان یحشر مع الصالحین.

[۱۰۲]و هکذا انتهت قصه یوسف یوحیها ربنا علی قلب الرسول،و یعلمنا بأدق التفاصیل فیها و بعدها،و کیف ان المکر لا ینفع صاحبه،و انه لا یحیق المکر

السیء إلا بأهله.

ذٰلِکَ مِنْ أَنْبٰاءِ الْغَیْبِ نُوحِیهِ إِلَیْکَ وَ مٰا کُنْتَ لَدَیْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَ هُمْ یَمْکُرُونَ و فی الـدروس القادمه.نجد المزید من عبر هذه القصه الحکیمه.

ص:۲۶۷

[سوره يوسف (١٢): الآيات ١٠٣ الى ١١١]

اشاره

وَ مٰا أَكْثَرُ اَلنّٰاسِ وَ لَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ (١٠٣) وَ مٰا تَسْئَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلاّٰ ذِكْرٌ لِلْعٰالَمِينَ (١٠٤) وَ كَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي
اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهٰا وَ هُمْ عَنْهٰا مُعْرِضُونَ (١٠٥) وَ مٰا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّٰهِ إِلاّٰ وَ هُمْ مُشْرِكُونَ (١٠٦) أَ فَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ
غٰاشِيَةٌ مِنْ عَذٰابِ اَللّٰهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ اَلسّٰاعَةُ بَغْتَةً وَ هُمْ لاٰ يَشْعُرُونَ (١٠٧) قُلْ هٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اَللّٰهِ عَلىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَ مَنِ اِتَّبَعَنِي وَ
سُبْحٰانَ اَللّٰهِ وَ مٰا أَنَا مِنَ اَلْمُشْرِكِينَ (١٠٨) وَ مٰا أَرْسَلْنٰا مِنْ قَبْلِكَ إِلاّٰ رِجٰالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ اَلْقُرىٰ أَ فَلَمْ يَسِيرُوا فِي اَلْأَرْضِ
فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كٰانَ عٰاقِبَةُ اَلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ لَدٰارُ اَلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اِتَّقَوْا أَ فَلاٰ تَعْقِلُونَ (١٠٩) حَتّٰى إِذَا اِسْتَيْأَسَ اَلرُّسُلُ وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ
قَدْ كُذِبُوا جٰاءَهُمْ نَصْرُنٰا فَنُجِّيَ مَنْ نَشٰاءُ وَ لاٰ يُرَدُّ بَأْسُنٰا عَنِ اَلْقَوْمِ اَلْمُجْرِمِينَ (١١٠) لَقَدْ كٰانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي اَلْأَلْبٰابِ مٰا كٰانَ
حَدِيثاً يُفْتَرىٰ وَ لٰكِنْ تَصْدِيقَ اَلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَ تَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَ هُدىً وَ رَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (١١١)

اللغه

١٠٣[حرصت]:الحرص طلب الشیء باجتهاد فی اصابته.

١٠٧[غاشيه]:الغاشيه المجلّله للشیء بانبساطها عليه،و الغشاء الغطاء.

[بغته]:البغته الفجأه و هو مجیء الشیء من غير توقع.

١٠٨[سبيلی]:السبيل الطريق و هو المكان المهيأ للسلوك.

ص:٢٦٨

۱۱[استيأس]:استيأس بمعنى يئس كأنه طلب اليأس لعلمه بامتناع الأمر.

[بأسنا]:البأس الشده و هو شده الأمر على النفس،و منه البؤس الفقر.

۱۱۱[الألباب]:العقول،مفردها لب و انما سمى بذلك لأنه أنفس شىء فى الإنسان، و لب كل شىء خياره.

هدی من الآیات:

انتهت قصه یوسف علیه السلام .و بقیت عبرتها المتمثله فی طبیعه البشر المعانده للحق، فأكثر الناس رغم حرص الرسول و أصحاب الحق لیسوا بمؤمنین،و یحسبون ان الرساله خساره بینما هی ذكر.و توجیه للعاملین الی الحق الذی غفلوا عنه،و كم هی الآیات المنتشره فی السماوات و الأرض یمرون علیها.دون ان ینتفعوا بها بل هم معرضون عنها.إن ایمان أكثرهم مخلوط بالشرك.و بالتالی فهو لیس بأیمان.و لا یدری هل هم قد أخذوا صك الأمان من عذاب اللّه الذی یشملهم إذا جاء و من الساعه التی تأتیهم فجأه فی الوقت الذی هم لا یشعرون.

و لكن الرسول یدعوهم الی سبیل واضحه هی الدعو الی اللّه علی بصیره و رؤیه واضحه له و لمن یتبعه،و هی بصیره التوحید و تنزیه اللّه عن ای نوع من أنواع الشرك.

و هذه كانت رساله اللّه من قبل التی نزلت علی رجال من أهل القری،فلما ذا لا یسیرون فی الأرض لیروا ماذا كانت نهایه أولئك السابقین و لیعرفوا ان الدار الآخره

ص:۲۷۰

أفضل للمتقين.فلما ذا لا يعقلون و الحقيقه واضحه.

لقد أرسل إليهم رجالا فبلغوا رسالات اللّه فلم يستجيبوا لهم حتى إذا بلغوا درجه اليأس،و ظنوا انهم قد كذبوا فعلا جاءهم نصر اللّه.فنجى ربنا من شاء بينما لم يقدر أحد على رد بأسه سبحانه عن المجرمين.ان هذه هى عبره قصص السابقين التى يستوعبها أولوا الألباب و العقول،و ليس حديثا يمكن ان يفترى انما هو كلام حق يصدق الأحاديث السابقه و بفصل كل شىء و يهدى المؤمنين.و يفلح به المؤمنون.

بينات من الآيات:

البشر و طبيعته:

[۱۰۳]مبدئيا يجب على كل إنسان ان يكون مؤمنا.إذ ان اللّه أودع فيه العقل و انزل له الهدى.اما عمليا فان قليلا من الناس يرتفعون الى مستوى الايمان،كما ان قليلا منهم يستفيد من طاقه العلم و من كنوز الاراده التى استفاد منها كبار العباقره من أبناء آدم.من هنا لا يجوز لصاحب الرساله ان يصطدم بسبب عدم ايمان أكثر الناس.بل عليه ان يشكر اللّه كثيرا لايمان من آمن منهم لأنه قد وفق ان يكون سببا لصعود طائفه من أبناء البشر الى هذه القمه السامقه برغم الصعاب.

وَ مٰا أَكْثَرُ النّٰاسِ وَ لَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ [۱۰۴]و لا يدل عدم ايمان الناس بالرساله ان مصالحهم تضرب بالرساله،أو ان الرسول يطالبهم بأجر،أو ان الرساله قد هبطت لطائفه خاصه فقط.كلا..

وَ مٰا تَسْئَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلاّٰ ذِكْرٌ لِلْعٰالَمِينَ [۱۰۵]كما لا يعنى عدم إيمانهم قله الآيات.لان الآيات كثيره و مبثوثه فى السماوات و الأرض و لكنهم يعرضون عنها الى شهواتهم و الى الضغوط القريبه.

وَ كَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهٰا وَ هُمْ عَنْهٰا مُعْرِضُونَ [۱۰۶]نعم ان الناس يتعرفون بفطرتهم على اللّه،و لا ينكرون وجوده سبحانه و تعالى بصوره أو بأخرى.انما القضيه التى جاءت رسالات السماء من أجل إصلاحها هى ان ايمانهم مشوب بالشرك.فهم يؤمنون باللّه و بالهوى و بالطاغوت، و بالتالى لا يخضعون كاملا للّه سبحانه،و هذا يساوى الكفر تماما.إذ ما فائده الايمان الذى لا يعطيك القدره على مقاومه الضغوط.

وَ مٰا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّٰهِ إِلاّٰ وَ هُمْ مُشْرِكُونَ [۱۰۷]يبقى ان نعرف ان عدم ايمانهم باللّه ايمانا حقيقيا انما هو بسبب زعمهم بان اللّه لا يعاقبهم.لقد فرحوا بنعم اللّه عليهم.فلم يخشوا العذاب الذى يشملهم و يغشاهم.كما لم يخافوا الموت و ما وراءه من ساعه القيامه.التى تأتيهم فجأه فى الوقت الذى هم غافلون عنها.

أَ فَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غٰاشِيَةٌ مِنْ عَذٰابِ اللّٰهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السّٰاعَةُ بَغْتَةً وَ هُمْ لاٰ يَشْعُرُونَ

مهمه الرسول:

[۱۰۸]الدعوه الإلهيه.واضحه و يؤمن بها أصحابها على يقين.و هى ليست ماديه أو شخصيه أو مصلحيه بل خالصه للّه وحده.

قُلْ هٰذِهِ سَبِيلِي هذه الآيات القرآنيه تشكل سبيل اللّه.

أَدْعُوا إِلَى اللّٰهِ

لا الی نفسی أو وطنی أو ارضی أو عشیرتی أو..أو إلخ.

عَلیٰ بَصِیرَهٍ أَنَا وَ مَنِ اتَّبَعَنِی فنحن نری بوضوح طریقنا و نمشی علیه.لا نشک فیه و لا نتردد قید أنمله و لا نختار طریقنا علی الهوی أو التقلید أو استجابه للضغوط.

منطق السماء:

وَ سُبْحٰانَ اللّٰهِ وَ مٰا أَنَا مِنَ الْمُشْرِکِینَ [۱۰۹]ان المؤمنین علی طریق معبد بسیره السابقین،فلقد بعث اللّه رجالا من الناس أنفسهم فأوحی إلیهم کما اوحی الی النبی محمد صلی الله علیه و آله .

وَ مٰا أَرْسَلْنٰا مِنْ قَبْلِکَ إِلاّٰ رِجٰالاً نُوحِی إِلَیْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُریٰ ای من أهل المدن التی بعثوا إلیهم.

أَ فَلَمْ یَسِیرُوا فِی الْأَرْضِ فَیَنْظُرُوا علیهم-لکی یفهموا الحقیقه-الا یکتفوا بالجلوس فی بیوتهم و الاکتفاء بأفکار السابقین أو ثقافه الوسط الاجتماعی بل علیهم ان یتحرکوا،ان یسیروا فی الأرض و لیکن سیرهم و بحثهم بهدف الوصول الی الحقیقه.لینظروا نهایه المجتمعات الهالکه.

أَ فَلَمْ یَسِیرُوا فِی الْأَرْضِ فَیَنْظُرُوا کَیْفَ کٰانَ عٰاقِبَهُ الَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ فقد کانت عاقبتهم الدمار بسبب تکذیبهم بالرسالات أما الآخره فانها -بالطبع-لیست من نصیب الکافرین.

وَ لَدارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَ فَلا تَعْقِلُونَ [۱۱۰]و هلاك الكفار و المكذبين لم يكن من دون سابقه إنذار،بل لقد استنفذ الرسل كلما كان بوسعهم فى سبيل دعوتهم،و صبروا على أذاهم،و بلغ بهم الأذى درجه اليأس.

حَتّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جاءَهُمْ نَصْرُنا جاء فى التفاسير:اى تيقن الرسل ان قومهم كذبوهم تكذيبا عاما حتى انه لا يصلح واحد منهم..و من جهه فمعناه ظن الأمم ان الرسل كذبوهم فيما اخبروهم من نصر اللّه إياهم و إهلاك أعدائهم..و روى عن ابن عباس قال:كانوا بشرا فضعفوا و يئسوا و ظنوا انهم قد أخلفوا ثم تلا قوله تعالى:« حَتّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتى نَصْرُ اللّهِ »..قال الطبرسى و هذا بعيد و قد بينا ما فيه.المجمع ج ۲ ص ۲۷۱ فَنُجِّيَ مَنْ نَشاءُ وَ لا يُرَدُّ بَأْسُنا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ [۱۱۱]إن المقتطفات من تاريخ الرسل.و قومهم يمكن ان تأخذنا الى ما ورائها من انظمه اجتماعيه و تكشف عن طبيعه التحولات التاريخيه.و لكن بشرط واحد و هو ان يكون الإنسان عاقلا.و يهتم بجوهر القضايا.

لَقَدْ كانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبابِ و بالتالى ليس العبره التاريخيه مما يمكن ان يفترى.لأنها اشاره الى حقائق خارجيه يمكن لكل إنسان ان يعرفها لو استخدم عقله أو حتى شعوره.مثلا لو أشار أحد الى الشمس أو الى الجبال و البحار.و قال أ فلا ترونها كيف انها جميله و منظمه.

فهل يمكن أن يقال له بأنك كذاب؟!الشمس يراها الفرد بذاته،و يشعر بجمالها، و يعقل نظامها بمجرد التفكير فيها.و ليس بما يقوله الآخرون،و هكذا آيات القرآن

أشارات واضحه الی ما فی الکون ذاته من حقائق.

مٰا کٰانَ حَدِیثاً یُفْتَریٰ وَ لٰکِنْ تَصْدِیقَ الَّذِی بَیْنَ یَدَیْهِ وَ تَفْصِیلَ کُلِّ شَیْءٍ انما القرآن یفصل الحقائق التی یراها الفرد بأبهام.

وَ هُدیً وَ رَحْمَهً لِقَوْمٍ یُؤْمِنُونَ یعرفهم بحقیقه الأشیاء و یوفر لهم النعم بهذه المعرفه.

و هکذا تنتهی سوره یوسف الملیئه بالعبر التاریخیه و التی کشفت خبیئه النفس البشریه بما تمتلک من عقل و إراده و علم تجلت عند یوسف.أو من حسد و کبر و حیله تجلت عند اخوته.

ص:۲۷۵

سوره الرعد

اشاره

ص:۲۷۷

بسم الله الرحمن الرحيم

فضل السوره

عن الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله قال:

«من قرأ سوره الرعد،أعطى من الأجر عشر حسنات،بعدد كل سحاب مضى،و كل سحاب يكون الى القيامه،و كان يوم القيامه من الموفين بعهد اللّه تعالى» (م البيان-ص-۲۷۳-ج-۶)

عن الامام الحسين عليه السلام قال:

«من أكثر قراءه الرعد لم يصبه اللّه بصاعقه أبدا و ان كان مؤمنا أدخل الجنه بغير حساب و شفع فى جميع من يعرفه من أهل بيته و إخوانه» (م البيان-ص-۲۷۳-ج-۶)

ص:۲۷۹

الإطار العام للسوره

لماذا سميت السوره بسوره الرعد؟ سميت السوره بسوره الرعد لوجود آيه محوريه فيها تنبئ عن الخط العام للسوره التى توصلنا الى الايمان و الهدايه عبر آياته الكونيه،فالرعد حاله طبيعيه،له مسبباته و أهدافه، على ان الرعد ليس آيه كونيه فقط،و انما من الممكن ان يكون آيه لنا يدلّنا على اللّه و قوته و رزقه للعباد.

و بالرغم من ان الرعد يخيفنا صوته عند سماعه،الا أن اللّه ينبهنا الى قضيه مهمه و هى:ان الرعد آيه من آياته،كما ان السماوات و الأرض آيات له،فليست الطبيعه هى المعبود الذى يجب ان نعبده،و انما هى خلق من خلق اللّه،سخرها إلينا لنستفيد منها فليست الطبيعه هى الحاكمه.هذا إذا علمنا ان الرعد و السماوات و الأرض تسبّح اللّه من خيفته.

لقد كانت الطبيعه منذ القدم ربّا يعبدها بعض الناس لمّا رأوا عظمتها،فهناك

من عبد الشمس و هناك من عبد القمر أو النجم أو..أو..و لا زال الحاضر يشهد على مخلفات الماضى.فمثلا كلمه اطلس تدل على إله الأرض،و كذلك ابوالو على إله السماء.

فاذا عبدت اللّه فانه يعبّد لك كل شیء.

«عبدى اطعنى تكن مثلى أقول للشیء كن فيكون،و تقول للشیء كن فيكون »

«فلا تكن عبد غيرك و قد خلقك اللّه حرّا » إما إذا لم تعبد اللّه فانك لن تكون سيدا على الطبيعه بل ستكون الطبيعه سيده عليك،يسلطها اللّه عليك متى جحدت و كذّبت.

إذا فالهدف من آيات اللّه سبحانه فى الطبيعه ليس ذاتها،و انما الهدف من آيات اللّه فى الطبيعه هى تعميق روح الايمان بالله فى قلب الإنسان،و زرع اليقين فى قلبه، فمسيره الطبيعه هى تلخيص لحياه الإنسان،فمثلا يقول العلماء:ان الطبيعه الى زوال،و انها فى تناقص مستمر،أ فلا يدل ذلك على ان أعمارنا كذلك،و إذا لم نصدق بأن أعمارنا ستنتهى عند حد معيّن لوجود موانع نفسيه تمنع هذا التصديق.الا يعنى ذلك أنه لا بد أن تنتهى أعمارنا عند أفول الشمس و الأرض و القمر الى الأبد.

هذا إذا تصورنا ان أعمارنا بقدر عمر الشمس و القمر.

ص:٢٨٢

[سوره الرعد (۱۳): الآیات ۱ الی ۲]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ . المر تِلْكَ آيٰاتُ اَلْكِتٰابِ وَ اَلَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ اَلْحَقُّ وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَ اَلنّٰاسِ لاٰ يُؤْمِنُونَ (١) اَللّٰهُ اَلَّذِي رَفَعَ اَلسَّمٰاوٰاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهٰا ثُمَّ اِسْتَوىٰ عَلَى اَلْعَرْشِ وَ سَخَّرَ اَلشَّمْسَ وَ اَلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ اَلْأَمْرَ يُفَصِّلُ اَلْآيٰاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقٰاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ (٢)

اللغه

۲[عمد]جمع عماد و هی الدعائم.

ص:۲۸۳

بينات من الآيات:

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ لماذا تتكرر البسـمله فى كل سوره؟ تتكرر البسـمله فى كل سوره لتعطى معنى جديدا ينسـجم مع الإطار العام للسوره،فبسمله الحمد يختلف تأويلها عنها فى سوره الشورى،و يختلف عنهما فى سوره الذاريات و هكذا.

و هكـذا فانّ بسـمله هـذه السوره تنسـجم مع السوره،حيث انّ السوره تتحدث عن الهدى عن طريق آيات اللّه فى الطبيعه،و الرعد هو نموذج عن آيـات اللّه فى الطـبيعه، و هى جميعـا تجـل لأسـماء اللّه التى تـدل على القـدره و السـلطان و العظمه فبـاسم اللّه ذا الهيمنه و العظمه و الملكوت و القدره،و الرحمه الشامله و الرحمه الدائمه نبدأ:

ص:۲۸۴

آفاق القرآن:

[۱][المر] الرموز فی بدایه السوره تشیر الی أحد معنیین:

انها رموز بین اللّه و بین عباده المخلصین،أو انها اشاره الی القرآن ذاته أو کلاهما،فنحن قد نقول کلاما نقصد به معنی واحدا و لکن الأدیب قد یقول کلاما یقصد به معنیین،و لکن رب العزه قد یوحی بکلام یقصد به سبعین معنی،و کذلک

جاء فی الحدیث:

«کتاب اللّه علی أربعه أشیاء:علی العباره و الاشاره و اللطائف و الحقائق، فالعباره للعوام،و الاشاره للخواص و اللطائف للأولیاء،و الحقائق للأنبیاء» (۱) تِلْکَ آیٰاتُ الْکِتٰابِ وَ الَّذِی أُنْزِلَ إِلَیْکَ مِنْ رَبِّکَ الْحَقُّ لا بد أن تعرف ان الذی أنزل إلیک هو الحق-کل الحق-.

لم یقل اللّه«و الذی انزل إلیک من ربک حق»بل قال:الحق-فالالف و اللام تعطی معنی الاستغراق-ای لا یوجد حق فی غیر القرآن.

وَ لٰکِنَّ أَکْثَرَ النّٰاسِ لاٰ یُؤْمِنُونَ یکرر اللّه سبحانه فی کثیر من الآیات هذا المعنی:ان القلیل من العباد الشکور، و القلیل من العباد المؤمنون،و ان تتبع أکثر من فی الأرض یضلوک و هکذا..

ص:۲۸۵

۱- ۱) -البحار-ج ۹۲-ص ۱۰۳

لماذا؟ یتکرر هذا المعنی کثیرا فی القرآن لان الإنسان بطبیعته الضعیفه،و انعدام ثقته بنفسه لا یتبع عقله دائما،بل یتبع الناس و یقول:حشر مع الناس عید،فلکی یجعلنا القرآن ننظر الی آفاق السماوات و الأرض بلا حجاب یبعدنا عن الضغوط الاجتماعیه التی تکبل عقل الإنسان إذا فی البدء اقطع العلاقه التبعیّه لکی تکوّن شخصیه مستقله ثم فکر فی ذلک لأنّ مفتاح العقل التحرر.

حقائق کونیه:

[٢] اَللّٰهُ الَّذِی رَفَعَ السَّمٰاوٰاتِ بِغَیْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهٰا

جاء فی الحدیث فی تفسیر علی بن إبراهیم القمی فی حدیث طویل عن الامام الرضا علیه السلام عن هذه الآیه:قال: فثم عمد و لکن لا ترونها (١)و اللّه اعلم ما هذه العمد.

کل تصورنا حتی الآن عن هذه العمد،أنها ربما تکون تعادل قوی الطرد و الجذب بین الکواکب و النجوم فمثلا:ان قوه الطرد الناشئه من دوران الأرض حول الشمس تساوی بالضبط قوه الجذب للشمس،فعلی ذلک تبقی الأرض ملایین السنین فی مدار واحد،اما لو تغیرت احدی هاتین القوتین لحدث ما لم یکن فی الحسبان فلو زادت قوه الطرد لانفلتت الأرض الی المجهول فی خط مستقیم،و لو زادت قوه جذب الشمس للأرض لالتصقت الأرض بالشمس لأنها ستضطر فی النهایه لأن تسیر فی مسار حلزونی،و لنشبه هذا المثال بما یلی:

أنت تمسک بطرف حبل فی یدک و الطرف الآخر للحبل مشدود به قطعه حجر..

١- ١) -تفسیر نور الثقلین-ج ٢-ص ۴٨١

حاول أن تدير الحجر،ماذا يحدث ان الحجر يريد الانفلات،فلا الحجر ينفلت،و لا هو يلتصق بيدك،لأن كلا القوتين متساويتين،و لكن هب أنك تركت طرف الحبل الذی بيدک،انک تجد الحجر ينفلت،و هب انک أثناء تدويرک للحجر تلف الحبل بيدک ستجد بعد قليل ان الحجر قد التصق بيدک.

ربما هذا التفسير يكون تفسيرا للعمد-و اللّه أعلم:

ثُمَّ اسْتَوىٰ عَلَى الْعَرْشِ ان اللّه سبحانه لم يخلق الحياه كساعه ميكانيكيه تجری لحالها،بل أنه خلقها، ثم استوى على العرش يدبر أمرها،فحتى حركتك أنت انما هی بإراده،فكيف بالسموات و الأرض،فالله وراء كل شیء يجری فی الكون و مدبره.

هناک أحاديث عن العرش تصوّر بأنه مخلوق،و الواقع ان عقلی يقف عند هذه الأحاديث تلک التی تصفه أنه فوق الكون و أكبر منه،و أنه على الماء،و هذا معنى العقل:ان تقف عند حدودک،و لا تقف بما لا تعلم.كما

قال الرسول صلّى اللّه عليه و آله فی وصيته لأبی ذر:

«يا أبا ذر:إذا سئلت عن علم لا تعلمه،فقل:لا أعلمه،تنجی من تبعته و لا تقف بما لا علم لک به تنج من عذاب اللّه يوم القيامه» (1) وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِی لِأَجَلٍ مُسَمًّى ان اللّه سخر الشمس و القمر لأهداف معلومه و الی وقت معلوم لذلک لا نتطرق الی هذه الأهداف،و لكن الذی يهمنا شيئان:

1- 1) -بحار الأنوار-ج 77-ص 78

الشیء الاول:ان الشمس و القمر لفظان یدلان علی العموم مما کان من جنسهما،و هذا یعنی حتی الأرض،و ربما أن اللّه سبحانه ذکر هذین الاثنین للاشاره الی أبناء الأرض.

و لا یمکن تحدید ذلک الوقت بالدقه الاّ أن عمر الشمس و القمر یقدر بأعمار الکواکب و النجوم،و علی کل حال،ان شمسنا هذه أصبحت کهله بالنسبه الی بعض الشموس الاخری.

یقول أحد العلماء أن(النجم)یمر من مرحله الی أخری عملا بقوانین التطور الطبیعی،و لأنه کان یتطور فانه یهرم،و قد یستغرب القارئ قولنا:ان النجم یهرم، فمنذ ان کانت البشریه لم یسمع أحد بأن النجم القطبی ینازع،أو أن قلب العقرب یلفظ أنفاسه!و مع ذلک فان هذا ما یحدث فی الواقع،فکل نجم إذ یلمع یشع طاقه، کأی کائن حی خلال حیاته،و إذا أفلح بطریقه ما فی تجدید طاقته فان هذه الطاقه تنضب أخیرا،و یکون هذا النضوب سریعا بقدر ما یفرط به،و یأتی وقت لا محاله -تنفذ فیه جمیع و سائله-.

فاذا نظرنا الی الشمس نلاحظ انها شتت فی الفضاء بشکل اشعاعات کهروطیسیه مختلفه طاقه تبلغ(۰۰۰ و ۳۸۰)ملیار ملیار کیلوواط،و هذا ما یکفی لحمل میاه المحیطات کلها علی الغلیان فی ثانیه واحده،و تعجز مخیلتنا عن تصور أرقام بهذا المقدار،و لکنها تحملنا علی الاعتقاد بأن هذا التبذیر لن یمکّن الشمس من ان تعمّر طویلا،و لو کانت مؤلفه من الفحم الصافی لکانت قد تحولت منذ زمان طویل الی رماد،و لکن ما یغذی الشمس بالطاقه لیس وقودا کیمیائیا عادیا،و هی تدین باشعاعها لتفاعل زخمی حراری دائم،کما هو معلوم.

بقی کلمه و هی ان هذه الآیه تشیر الی ان الزمن جزء من الطبیعه.

ص:۲۸۸

يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيٰاتِ ان اللّه يفصل الآيات لنا،و يقصـها علينا،و لكن ما هو الهدف؟ لَعَلَّكَمْ بِلِقٰاءِ رَبِّكَمْ تُوقِنُونَ اليقين هو أعلى درجات الايمان.

[سوره الرعد (۱۳): الآيات ۳ الى ۷]

اشاره

وَ هُوَ اَلَّذِی مَدَّ اَلْأَرْضَ وَ جَعَلَ فِیهٰا رَوٰاسِیَ وَ أَنْهٰاراً وَ مِنْ كُلِّ اَلثَّمَرٰاتِ جَعَلَ فِیهٰا زَوْجَیْنِ اِثْنَیْنِ یُغْشِی اَللَّیْلَ اَلنَّهٰارَ إِنَّ فِی ذٰلِكَ لَآیٰاتٍ لِقَوْمٍ یَتَفَكَّرُونَ (۳) وَ فِی اَلْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجٰاوِرٰاتٌ وَ جَنّٰاتٌ مِنْ أَعْنٰابٍ وَ زَرْعٌ وَ نَخِیلٌ صِنْوٰانٌ وَ غَیْرُ صِنْوٰانٍ یُسْقیٰ بِمٰاءٍ وٰاحِدٍ وَ نُفَضِّلُ بَعْضَهٰا عَلیٰ بَعْضٍ فِی اَلْأُكُلِ إِنَّ فِی ذٰلِكَ لَآیٰاتٍ لِقَوْمٍ یَعْقِلُونَ (۴) وَ إِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَ إِذٰا كُنّٰا تُرٰاباً أَ إِنّٰا لَفِی خَلْقٍ جَدِیدٍ أُولٰئِكَ اَلَّذِینَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَ أُولٰئِكَ اَلْأَغْلاٰلُ فِی أَعْنٰاقِهِمْ وَ أُولٰئِكَ أَصْحٰابُ اَلنّٰارِ هُمْ فِیهٰا خٰالِدُونَ (۵) وَ یَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّیِّئَةِ قَبْلَ اَلْحَسَنَةِ وَ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ اَلْمَثُلاٰتُ وَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنّٰاسِ عَلیٰ ظُلْمِهِمْ وَ إِنَّ رَبَّكَ لَشَدِیدُ اَلْعِقٰابِ (۶) وَ یَقُولُ اَلَّذِینَ كَفَرُوا لَوْ لاٰ أُنْزِلَ عَلَیْهِ آیَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمٰا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هٰادٍ (۷)

اللغه

۳[رواسی]جبال ثوابت.

[یغشی اللیل النهار]یلبس ظلمه اللیل ضیاء النهار.

۴[صنوان]جمع صنو و هو المثل،و صنوان نخلات یجمعها أصل واحد.

۵[الأغلال]الغلّ طوق تشد به اليد الى العنق.

۶[خلت]مضت [المثلات]العقوبات و مفردها مثله.

ص:۲۹۱

عظمه اللّه تتجلی فی الطبیعه

هدی من الآیات:

السیاق القرآنی یذکرنا بطبیعه الاختلاف الموجود فی الکون،و أن فی هذا الاختلاف دلاله واضحه علی قدره ربّنا سبحانه.

ان ما فی هذه الحیاه یدل علی أن اللّه رب کل شیء،و ما من إله غیره،کما أنّ توحید اللّه یتجلی فی الاختلاف الموجود فی الکون.

لقد مدّ اللّه الأرض و جعل فیها رواسی شامخات لتحفظها من المیلان و التحرک، و خلق فیها من کل شیء زوجین اثنین،و أولج النهار فی اللیل،و اللیل فی النهار الا یدعونا ذلک الی البحث عمّن ینظم هذا الکون،و الا یدلّنا ذلک علی وحده المنظّم، فلو کان المنظم أکثر من واحد هل حدث مثل هذا التناسق العجیب فی الکون؟! و کما ان فی کلّیه الحیاه عبره،فان فی تفاصیل الحیاه عبره اخری،فمثلا طبیعه الأرض الواحده،و اختلافها برغم تجاورها الا تقودنا الی رحاب الأیمان باللّه،فهذه

الأشجار تتفاضل على بعضها فى الأكل،بعضها مفرده و بعضها أزواج..علما بأن هذه الأشجار تشرب من ماء واحده و تنمو فى أرض واحده.

ان هذه الآيات كفيله بتنبيه الغافلين ذلك لمن ألقى السمع و هو شهيد،و لكن بالرغم من كثره هذه الآيات و انتشارها فى أرجاء الكون،يبقى الإنسان يرتاب فى قدره ربه على احيائه بعد مماته.

ان خلق الأشياء و ابتداعها من العدم أصعب من إعاده بنائها،و من جهه ثانيه انهم انما أنكروا البعث لأنهم كفروا بربهم،فلم يعرفوه حق معرفته.

إنّ هؤلاء وضعوا غل الشهوات على افئدتهم فلم يستطيعوا أن يفكروا بحرّيه، و لذلك تراهم يوم القيامه،نزلاء النار خالدين فيها أبدا،و هؤلاء الذين كفروا بربّهم لم تكن الحياه فى صالحهم لأنهم كانوا و لا زالوا يستعجلون بالسيئه قبل الحسنه،و لو لا أنّ رحمه اللّه سبقت غضبه بأن يمهل الإنسان إذا لأخذهم بعذاب بئيس.

و هم عند ما يطالبون الرسول بالآيات لا يعلمون بأن الرسول ليس سوى منذر لا يملك ان يأتى بآيه إلا بإذن اللّه، ثم انهم حين كفروا بما عندهم من الآيات،فمن يضمن ايمانهم بآيات جديده لو جاءتهم،أ ليس هناك احتمال كبير بأن يكفروا بها كما كفروا بما قبلها؟! إذن فالمشكله عند الإنسان هى المنهجيه فى التفكير،و لو صحّت هذه المنهجيه لاستطاع أن يفكر تفكيرا سليما من دون حجاب يمنعه من الوصول الى المعرفه، و المعرفه تعطيه الحكمه التى قال عنها اللّه:« مَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَهَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً »،و القرآن الكريم عبر آياته يهدف إصلاح منهجيه الإنسان فى التفكير بعد ان يبصّره بالقوى الضاغطه عليه،كما أنه يصوّر لنا الطبيعه من جديد حتى يلفتنا إليها و كأننا لم نرها من قبل.

بينات من الآيات:

لَآيٰاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ :

[۳] وَ هُوَ الَّذِی مَدَّ الْأَرْضَ لا بد من ربط جزئيات الحياه بمحور واحد لكى لا تستقطب جزئيات الحياه كل اهتمامنا و تصرفنا عن الهدف،و عند ما لا نربط هذه الجزئيات بالمحور الاساسى نرى الفروق و الاختلاف،بينما حين ننظر إليها معا نهتدى الى المدبّر الواحد و هو اللّه الذى يدّبر هذه الجزئيات و يوجهها.

ما الذى نرى حولنا ضمن هذا الإطار العام.

نرى الأرض و هى كتله كبيره تسبح فى الكون مدّها اللّه سبحانه على طول البصر،و لم يجعل استدارتها شديده لتسهيل البناء عليها و الزرع،و لا منافاه بين استداره الأرض و امتدادها،فالأرض مستديره،و لكنك مهما نظرت إليها من أى جهه فستجدها ممدوده و الامتداد هذا دليل آخر على الاستداره،فأنت مهما سرت فى خط مستقيم تجد الأرض ممدوده الى أن تعود الى مكانك.

وَ جَعَلَ فِيهٰا رَوٰاسِيَ وَ أَنْهٰاراً لم يترك اللّه سبحانه الأرض تميد بمن فيها،بل ثبتها بالجبال،أ ليست الجبال تدل على المدبر؟!و عند ما نذكر الجبال لا بد أن نذكر الأنهار لأن الأنهار صنيعه الجبال،كما

جاء فى توحيد المفضل عن الامام الصادق عليه السلام :

انظر يا مفضل الى هذه الجبال المركومه من الطين و الحجاره التى يحسبها الغافلون فضلا لا حاجه إليها،و المنافع فيها كثيره،فمن ذلك أن تسقط عليها الثلوج فتبقى فى قلالها لمن يحتاج اليه،و يذوب ما ذاب منه فتجرى منه العيون

الغزیره التی تجتمع منها الأنهار العظام

(۱)یقول علماء الجیولوجیا:ان الأرض تعتمد علی شبکه قویه و منظمه من الصخور المتصله مع بعضها داخل القشره الارضیه و التی تکون نتوءات أو مرتفعات بعض الأحیان،و لو لا ـ هذه الشبکه داخل و خارج الأرض لتناثرت الأرض یمینا و شمالا مع دوران الأرض،و لما صار للأرض شکلا معینا،فالجبال و الشبکه الداخلیه لها کالهیکل العظمی للأرض یحفظ شکلها.

وَ مِنْ کُلِّ الثَّمَرٰاتِ جَعَلَ فِیهٰا زَوْجَیْنِ اثْنَیْنِ ما علاقه الأرض بالجبال،و ما علاقه الأنهار بالجبال،و ما علاقه النبات بالأنهار.

هذه أشیاء مختلفه لکن کل واحد یخدم الآخر،ألا یدل ذلک علی وحده الصانع، و أن الأشیاء مهما اختلفت فهناک رابط دقیق یربط بین عناصر الکون.

فالنبات له دلاله کبیره إذ لم یخلق من النبات جنسا واحدا،بل من کل نوع من النبات جنسین ذکر و أنثی لیتم التناسل و التکاثر،الا تکمن حکمه اللّه فی ذلک؟! یُغْشِی اللَّیْلَ النَّهٰارَ و هذا الاختلاف دلیل آخر علی وحدانیه اللّه سبحانه،و اما لماذا قال بأن اللیل هو الذی یغشی النهار،فلأن الأصل فی الحیاه هو اللیل،فتأتی الشمس لتبدد هذا الظلام بعضا من الوقت،هذا من ناحیه،و من ناحیه أخری فانّ اللّیل و النهار لهما

۱- ۱) بحار الأنوار-ج ۳-ص ۱۲۷

فوائد جمه لا يدركها الا العاقلون،و

الامام الصادق عليه السلام يفصل ذلك للمفضل بقوله:

«فكر يا مفضل فی مقادير النهار و الليل كيف وقعت على ما فيه صلاح هذا الخلق،فصار منتهى كل واحد منهما-إذا امتدّ-الى خمس عشره ساعه لا يجاوز ذلك،أ فرأيت لو كان النهار يكون مقداره مائه ساعه أو مائتی ساعه؟الم يكن فی ذلك بوار كل ما فی الأرض من حيوان أو نبات.!؟اما الحيوان فكان لا يهدأ و لا يقر طول هذه المده،و لا الإنسان يفتر عن العمل و الحركه،و كان ذلك سيهلكها أجمع،و يؤديها الى التلف،و أما النبات فكان يطول عليه حرّ النهار و وهج الشمس حتى يجف و يحترق،كذلك الليل لو أمتد مقدار هذه المده كان يعوق أصناف الحيوان عن الحركه و التصرف فی طلب المعاش حتى تموت جوعا،و تخمد الحراره الطبيعيه عن النبات حتى يعفن و يفسد كالذی تراه يحدث على النبات إذا كان فی موضع لا تطلع عليه الشمس» (1) إِنَّ فِی ذٰلِكَ لَآيٰاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ان آيات اللّه فی الكون مبثوثه،و روحك عطشى الى معرفه الحقيقه،و لكن الحقيقه لن تأتی إليك إلا حين تذهب إليها أنت،فأنت بحاجه الى إعمال ذهنك و تفكيرك كی تفهم و تتعظ من هذه الآيات،و التفكير يعتمد على تحريك العقل و اثاره دفائنه،و ربط الأشياء ببعضها،و ربطها كلها بخالقها و مدبرها.

لَآيٰاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ :

[۴] وَ فِی الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجٰاوِرٰاتٌ أن الأرض تحتوی على قطع متجاوره يختلف بعضها عن بعض،فبعضها ارض

۱- ۱) بحار الأنوار-ج ۳-ص ۱۱۸

سبخه،و بعضها أرض زراعيه،و بعضها صخريه..و هكذا..و

قد جاء فی الحدیث عن العیاشی:

«یعنی هذه الأرض الطیبعه مجاوره بهذه الأرض المالحه و لیست منها،کما یجاور القوم القوم و لیسوا منهم» (۱).

وَ جَنّٰاتٌ مِنْ أَعْنٰابٍ وَ زَرْعٌ وَ نَخِیلٌ صِنْوٰانٌ وَ غَیْرُ صِنْوٰانٍ یُسْقیٰ بِمٰاءٍ وٰاحِدٍ كما ان اختلاف الأرض المتجاوره آیه لله تدل علیه،فالجنان و الخمائل الغنّاء من الأعناب و الزروع المختلفه و النخیل آیات أخری،و العجیب أن بعض هذه النخیل اثنتین تخرج من أصل واحد،و الأعجب هو اختلاف ثمار الأشجار علما بأنها تستقی من ماء واحد،و تستمد الغذاء من ارض واحده،و أن الشجره تنبت نوعا واحدا مهما وضعتها فی تربه مختلفه أو فی جو مختلف.

وَ نُفَضِّلُ بَعْضَهٰا عَلیٰ بَعْضٍ فِی الْأُكُلِ لم یقل:«انها تتفاضل علی بعضها»و انما قال«و نفضّل»أی ان اللّه هو الذی أعطی لكل ثمره خاصیه فی الطعم و اللون و الشكل و المنفعه،و ما اختلاف الطعم الاّ دلاله علی اختلاف المواد و الفوائد،و ما اختلاف المواد و الفوائد الا دلیل علی حكمه ربانیه،فجسمك یحتاج الی نسبه معینه من الحدید،لذلك تجدها فی بعض الخضروات،و كذلك بالنسبه أنواع الفیتامین و السكریات و غیرها..علما بأن مقدار ما یحتاجه جسمك موجود فی فاكهه معینه أو لیس هذا دلیل علی وجود تدبیر موحد بین حاجه الجسم و نسبه هذه الحاجه فی هذه الثمره،ثم ألیس یدل علی أن رب الثمره و خالقها هو خالقك؟

۱- ۱) تفسیر العیاشی ج ۲۰۳/۲

إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَآیاتٍ لِقَوْمٍ یَعْقِلُونَ العقل هو الاستیعاب،و قد أکد علیه هنا بینما فی المره السابقه قال:« إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَآیاتٍ لِقَوْمٍ یَتَفَکَّرُونَ »فهاتان الآیتان تقودنا الی فکره و هی:أن التفکیر بدایه العقل و العقل هو طریقه الهدایه.

لماذا الکفر بالبعث؟

[۵] وَ إِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَ إِذٰا کُنّٰا تُرٰاباً أَ إِنّٰا لَفِی خَلْقٍ جَدِیدٍ إذا کنت تعجب من شیء فهناک شیء أعجب و هو قول الکفار بإنکار البعث بعد الموت،و لکن هل ان الموت نهایه کل شیء؟ فی الحقیقه ان العقل یقضی بأن یکون هناک یوم یحاسب فیه کل إنسان، و یرجع لیقف امام ظالم فینتصف منه،أو ینتصف هو منه إذا کان ظالما له، و الإنسان الذی یری عظمه الکون کیف ینکر البعث،أ لیس ذلک دلیل علی عدم استیعابه لحقائق الکون؟أو لیس من العبث أن یعیش الإنسان خبالا مضلا و یترک؟و لکن هل من المستحیل علی خالق هذا الکون ان یعیده کما کان؟!إنّ انکار البعث فی الحقیقه هو انکار للمسؤولیه،و جحد للأمر المفترض اتباعه و من هنا فان إنکار الحقیقه الواضحه یسمی کفرا.

أُولٰئِکَ الَّذِینَ کَفَرُوا بِرَبِّهِمْ قد یقول البعض:اننا نؤمن بالله و لکن لا نؤمن بالبعث،و الحقیقه ان الکفر بالبعث ینسحب علی سائر الأشیاء،فالکفر بالبعث کفر بالله بدرجه أولی،لأنه إنکار لقدره اللّه و عدله،و هل یکون المنکر لصفات اللّه کلا أو بعضا الا کافرا؟ وَ أُولٰئِکَ الْأَغْلاٰلُ فِی أَعْنٰاقِهِمْ

یظهر من النصوص أنّ:«الجزاء من جنس العمل»فلأنهم غلوّا أعناقهم فی الدنیا بأغلال المصلحیه و الأفکار البعیده و أو صدوا أبواب فکرهم کان جزاؤهم فی الآخره ان یغلوا کما غلوّا أنفسهم.

وَ أُولٰئِکَ أَصْحٰابُ النّٰارِ هُمْ فِیهٰا خٰالِدُونَ هذه هی النهایه المثلی لمن یکفر بالآخره،و ما جزاء من یتهرب من المسؤولیه فی الدنیا الا أن یسجن فی الآخره،و ما جزاء من یرفض الأمر الواقع،الا أن یقع فی واقع النار!! و قد سماهم اللّه أصحاب النار.أی بینهم و بین النار صداقه لا یفترقان،و قد سماهم اللّه أصحاب النار فی الدنیا،لأن النار نتیجه حتمیه لهم،و النار وفیّه لأصحابها.

سنه اللّه و موقف الکفار:

[۶] وَ یَسْتَعْجِلُونَکَ بِالسَّیِّئَهِ قَبْلَ الْحَسَنَهِ ألیس من الحمق أن یفضل الإنسان السیئه علی الحسنه،هل لأن الحسنه لا تعجبه فیتمنّی العذاب،و لکنهم فی الحقیقه نسوا ما حل بمن قبلهم قوم نوح،و عاد، و ثمود،و قوم لوط،و أصحاب الرس..و غیرهم.

وَ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلاٰتُ وَ إِنَّ رَبَّکَ لَذُو مَغْفِرَهٍ لِلنّٰاسِ عَلیٰ ظُلْمِهِمْ ان رحمه اللّه سبقت غضبه،فهذه بشاره اللّه للمذنبین بأن یتوب علیهم إن هم تابوا إذ ان،مشکله أغلب الناس أنهم عند ما یرون أنفسهم فی الفساد ییأسون من رحمه اللّه،و یجزمون بأن اللّه لا یغفر لهم فیبقون علی ما هم علیه.

ص:۲۹۹

وَ إِنَّ رَبَّکَ لَشَدِیدُ الْعِقٰابِ ان اللّه رحیم بعباده و یقبل التوبه عنهم،و لکنه شدید العقاب لمن استمر فی ظلمه،فمغفرته تقف فی حدود الحیاه الیومیه،و لکن إذا عتی الإنسان فی الظلم فان جهنم هی المثوی و المصیر.

فی مجمع البیان: لما نزلت هذه الآیه قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم:

«لو لا عفو اللّه و تجاوزه ما هنأ أحد العیش،و لو لا وعید اللّه و عقابه لاتّکل کل أحد» (۱)

الاستخلاف:

[۷] وَ یَقُولُ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ لاٰ أُنْزِلَ عَلَیْهِ آیَهٌ مِنْ رَبِّهِ هؤلاء لا یکفیهم ما عندهم من الآیات،بل یریدون المزید، و لکن اللّه یصف الرسول بقوله:

إِنَّمٰا أَنْتَ مُنْذِرٌ هذه حدودک أیها الرسول،فلیس من مسئولیتک ان تأتی بالآیات..

وَ لِکُلِّ قَوْمٍ هٰادٍ هذه الآیه نزلت فی رسول اللّه و علی بن أبی طالب علیه السلام إذ هو الهادی لأمه محمد صلی الله علیه و آله بعده،و قد بلغت الروایات فی هذا المجال حد الاستفاضه و منها ما

جاء

۱- ۱) تفسیر الصافی-ج ۳-ص ۵۸

فی دعاء الندبه فی حق علی علیه السلام :

«إذ کان هو المنذر و لکل قوم هاد » و

قد جاء فی تفسیر العیاشی،قال أمیر المؤمنین علیه السّلام:

«فینا نزلت هذه الآیه» إِنَّمٰا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَ لِکُلِّ قَوْمٍ هٰادٍ فقال رسول اللّه صلی الله علیه و آله :

«انا المنذر و أنت الهادی یا علی،فهنا الهادی و النجاه و السعاده الی یوم القیامه» (۱)

۱- ۱) تفسیر نور الثقلین-ج ۲-ص ۴۸۴

[سوره الرعد (۱۳): الآیات ۸ الی ۱۴]

اشاره

اَللّٰهُ يَعْلَمُ مٰا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثىٰ وَ مٰا تَغِيضُ اَلْأَرْحٰامُ وَ مٰا تَزْدٰادُ وَ كُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدٰارٍ (٨) عٰالِمُ اَلْغَيْبِ وَ اَلشَّهٰادَةِ اَلْكَبِيرُ اَلْمُتَعٰالِ (٩)
سَوٰاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ اَلْقَوْلَ وَ مَنْ جَهَرَ بِهِ وَ مَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَ سٰارِبٌ بِالنَّهٰارِ (١٠) لَهُ مُعَقِّبٰاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ
يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اَللّٰهِ إِنَّ اَللّٰهَ لاٰ يُغَيِّرُ مٰا بِقَوْمٍ حَتّٰى يُغَيِّرُوا مٰا بِأَنْفُسِهِمْ وَ إِذٰا أَرٰادَ اَللّٰهُ بِقَوْمٍ سُوْءاً فَلاٰ مَرَدَّ لَهُ وَ مٰا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وٰالٍ
(١١) هُوَ اَلَّذِي يُرِيكُمُ اَلْبَرْقَ خَوْفاً وَ طَمَعاً وَ يُنْشِئُ اَلسَّحٰابَ اَلثِّقٰالَ (١٢) وَ يُسَبِّحُ اَلرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَ اَلْمَلاٰئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَ يُرْسِلُ
اَلصَّوٰاعِقَ فَيُصِيبُ بِهٰا مَنْ يَشٰاءُ وَ هُمْ يُجٰادِلُونَ فِي اَللّٰهِ وَ هُوَ شَدِيدُ اَلْمِحٰالِ (١٣) لَهُ دَعْوَةُ اَلْحَقِّ وَ اَلَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لاٰ
يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلاّٰ كَبٰاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى اَلْمٰاءِ لِيَبْلُغَ فٰاهُ وَ مٰا هُوَ بِبٰالِغِهِ وَ مٰا دُعٰاءُ اَلْكٰافِرِينَ إِلاّٰ فِي ضَلاٰلٍ (١۴)

اللغه

٨[تغیض]الغیض ذهاب المائع فی جهه العمق،و غاضت المیاه نقصت و غیّضته نقصته.

١٠[سارب]السارب الساری الجاری بسرعه،و السرب الماء السائل من المزاده.

ص:٣٠٢

۱۱[معقبات]المتناوبات التی یخلف کل واحد منها صاحبه و یکون بدلا منه،و أصل التعقیب أن یکون الشیء عقیب آخر،و المعقب الطالب دینه مره بعد مره،و منه العقاب لأنه یستحق عقاب الجرم.

۱۳[الصواعق]جمع صاعق و هی نار تسقط من السماء.

[المحال]الأخذ بالقوه.

ص:۳۰۳

هدى من الآيات:

يـذكرنا السـياق القرآنى فى سوره الرعـد بآيـات اللّه فى الكون،و يوجهنا الى النظر «العبرى»إليها لكى نصل من خلالها الى معرفه اللّه سـبحانه،لأن الغايه التى خلق اللّه من أجلها هـذا الكون هى معرفته فى الـدرجه الأولى،و آيات اللّه فى الطبيعه أقرب ما تكون الى الإنسان و تصوره،لأن الإنسان تراب و يحنّ الى أصله،و كل شىء فى الكون تجسيد لاسمائه سبحانه،و ينحرف الإنسان إذا ما اتبع عقله فى كشف حقائق الكون.

و هـذا الـدرس يذكر ببعض صـفات اللّه،و يذكر الإنسان بهذه الحقائق التى يغفل عنها و ينساها دائما فالله سـبحانه يعلم ما تحمل الإنـاث فى بطونهن من ذكر أو أنثى-ليس ذلـك فحسب-بل يعلم تفاصـيل حياه الجنين و ما يحمل من صـفات وراثيه.و غيرها و علم الأجنه هو أحد العلوم الخمسه التى لا يعلمها غيره،قال تعالى:

إِنَّ اللّٰهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السّٰاعَهِ وَ يُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَ يَعْلَمُ مٰا فِى الْأَرْحٰامِ،وَ مٰا تَدْرِى نَفْسٌ

مٰا ذٰا تَكْسِبُ غَداً،وَ مٰا تَدْرِی نَفْسٌ بِأَیِّ أَرْضٍ تَمُوتُ،إِنَّ اللّٰهَ عَلِیمٌ خَبِیرٌ (۳۴/القمان) و علم اللّٰه لا یقف عند حدود الأجنه،بل هو یعلم کل مکنون من القول و کل ظاهر منه،و کل من سار باللیل أو سرب فی النهار،و علم اللّٰه لیس الشهود وحده أو الغیب وحده،بل علمه محیط بهما معا،فعلمه بالغیب کعلمه بالشهاده،و کیف لا و هو مع کل شیء،و أقرب الی کل شیء من أی شیء،و هو معنا أینما کنا،و أقرب إلینا من حبل الوتین،فسبحان اللّٰه الکبیر المتعال:أکبر من التصور،متعال عن مجانسه الخلق.

و من آیاته ان جعل مع کل نفس ملائکه تحفظها من الأخطار،فاذا جاء أجلها خلّوا بینها و بین الأجل..الا یدل ذلک علی رحمه ربنا،و أنّه أرحم بنا منّا،و أنّه کیف نحفظ أنفسنا و نحن لا نستطیع ان ندفع عنها ضرا أو نجلب لها نفعا،و لو قلنا بأننا نستطیع أن ندفع عن أنفسنا حال غفلتنا و انشغالنا،إذا فالإنسان لیس سید نفسه،بل اللّٰه سیده علی نفسه،و ان له الولایه المطلقه،و لکن اللّٰه سبحانه مع حفظه للإنسان یسمح بمرور العذاب و البلاء بمقدار ما تستحق کل نفس إِنَّ اللّٰهَ لاٰ یُغَیِّرُ مٰا بِقَوْمٍ حَتّٰی یُغَیِّرُوا مٰا بِأَنْفُسِهِمْ .

و من آیات اللّٰه ان یرافق السحب الثقال البروق و الرعود خوفا من عقابه و رجاء لرحمته،فهذا الرعد الذی یسبح بحمده یهز ضمائرنا،و یذکرنا بعظمه الجبار،و سرّ عظمه الرعد أنه خاضع للّه،مسبح بحمده،و لیس الرعد وحده هو الذی یسبح بحمده،بل أن الملائکه التی تقوم بأمر الرعد و السحاب تسبح کذلک خشیه منه..

هُوَ شَدِیدُ الْمِحٰالِ .

أبعد هذه الآیات یکفر الإنسان بالله و یشرک به غیره؟!إن هو آمن بالله وفّقه للخیرات،و ان أشرک به لم یوفق للخیرات و لن یصل الی غایه حمیده فسوف یبقی فی

عطش،و لن ترويه الآلهه الاخرى،و دلاله اخرى على علم اللّه و مقـدرته أنه يسـتجيب لمن يؤمن به،لأنه فى موقع العلم بالمسأله و موقع القـدره على الاجـابه،امـا الآلـهه الأـخرى فهم أعجز من ان يحيطوا علما بما تكن نفس البشـر،و أعجز من أن يسـتطيعوا تلبيه مطالبه.

بينات من الآيات:

علم اللّه:

[٨]لـو عرف الإنسـان أن ربـه محيـط بـه علمـا لاطمأن الى رحمته، و لخشـى عـذابه لأـنه آنئـذ يشـعر بـأن اللّه يحيـط بسـكناته و حركاته..سرّه و جهره،و لاستقامت سيرته و سلوكه،و الآيات القرآنيه تذكرنا بهذه البصيره المره بعد الأخرى،و ذلک بسبب غيابها عنـا،و عـدم حضورها فى تصورنا،و غيابها عنا كان السـبب المباشـر لانحرافاتنا و علم اللّه بالإنسان شامل فمنـذ ان كان جنينا يعلم تفاصيل حياته.

اَللّٰهُ يَعْلَمُ مٰا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثىٰ وَ مٰا تَغِيضُ الْأَرْحٰامُ وَ مٰا تَزْدٰادُ ان علم اللّه أحاط بالجنين هل هو ذكر أم أنثى،و هل سيعيش شقيّا أم سعيدا، و يعلم أثناء الحمل و عند الولاده ما سيحمله الجنين من صفات كما انه دبر أمر الإنسان جنينا فأطعمه و سقاه.

جاء فى توحيد المفضل عن الامام الصادق عليه السلام :

«اعتبر يا مفضل فيما يـدبر به الإنسان فى هـذه الأحوال المختلفه،هل ترى مثله يمكن ان يكون بالإهمال..؟أ فرأيت لو لم يجر اليه ذلک الدم و هو فى الرحم،ألم يكن سيذوى و يجف كما يجف النبات إذا فقد الماء؟!. » و

فى موضع آخر قال المفضل: فقلت:صف نشوء الأبدان و نموها حالا بعد حال

حتی تبلغ التمام و الکمال،قال علیه السّلام:

«أول ذلک تصویر الجنین فی الرحم حیث لا تراه عین،و لا تناله ید،و یدبره حتی یخرج سویا مستوفیا جمیع ما فیه قوامه،و صلاح الأحشاء و الجوارح و العوامل الی ما فی ترکیب أعضائه من العظام و اللحم و الشحم و العصب و المخ و العروق و الغضاریف،فاذا خرج الی العالم تراه کیف ینمو بجمیع أعضائه و هو ثابت علی شکل و هیئه لا تتزاید و لا تنقص الی أن یبلغ أشدّه..» (۱)و علم اللّه محیط بما تحمل الإناث من الأجنه«و ما تغیض» أی ما تفیض و تسقط مما لم یکتمل خلقه،«و ما تزداد»سواء کانت الزیاده فی العدد أو الزیاده فی الأعضاء.

جاء فی تفسیر العیاش عن الامام الصادق علیه السلام :

«ما تحمل أنثی:الذکر و الأنثی،و ما تغیض الأرحام:ما کان من دون التسعه و هو غیض،و ما تزداد:ما رأت الدم فی حال حملها ازداد به عن التسعه أشهر».

«ما تغیض:ما لم یکن حملا،و ما تزداد:الذکر و الأنثی جمیعا» (۲) وَ کُلُّ شَیْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدٰارٍ لکل شیء فی هذا الکون حدّ محدود،و قدر مکتوب فنحن لا نعرف هذه الأقدار لذلک ننسب الأشیاء الی الکبر و الصغر،و الطول و القصر،و لکن لو تعمقنا لعلمنا ان

۱- ۱) بحار الأنوار-ج ۳-ص ۱۱۷-۱۱۹

۲- ۲) تفسیر الصافی-ج ۳-ص ۵۹

الحراره فی جسم الإنسان بقدر معيّن،و ان للجبال قدرا و أوزانا معينه،بل لكل معدن قدر معين فی الكثافه و الكتله و الوزن،و حتى الهواء و الضياء له وزن و مقدار.

مظاهر علم اللّه:

[٩] عٰالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهٰادَةِ الغيب عنده كما الشهود،كلاهما يتساوى عنده فی الظهور.

اَلْكَبِيرُ الْمُتَعٰالِ انه أكبر من ان يوصف و انما يتفاضل الأشياء بالكبر و يقاس ببعضها إذا كانت من جنس واحد و ليس اللّه من جنس الأشياء بل انه الخالق و هی مخلوقات لذلك

جاء فی الحديث: ان رجلا كبّر عند الامام الصادق عليه السلام فسأله عليه السلام :

«اللّه أكبر من أی شیء؟ فقال(الرجل):من كل شیء،فقال عليه السّلام:

حدّدته! فقال الرجل:كيف أقول؟قال:

قل:اللّه أكبر من أن يوصف » و

فی حديث: ان الامام بعد ما سأل الرجل عن أن اللّه أكبر من أی شیء؟ و قال له:أنه أكبر من كل شیء.أجابه الامام فقال:

«و كان ثمّه شیء فيكون أكبر منه!!!

ص:٣٠٨

فقال:و ما هو؟فقال:

أكبر من ان يوصف» (۱)و المتعال:مهيمن على كل شيء و متعال عليه،و أنه لا يماثل شيء و لا شيء يماثله.

[۱۰] سَوٰاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَ مَنْ جَهَرَ بِهِ وَ مَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَ سٰارِبٌ بِالنَّهٰارِ كما الغيب و الشهاده عنده سواء كذلك المكتوم من القول و المجهور به،و كذلك هو محيط علما بمن يكمن فى الليل ساريا بظلامه،و من يتحرك نهارا ساربا فى ضوءه.

حَتّٰى يُغَيِّرُوا مٰا بِأَنْفُسِهِمْ :

[۱۱] لَهُ مُعَقِّبٰاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّٰهِ أى ملائكه يتعاقبون بعضهم بعد بعض ليحفظوا الإنسان من الوقوع فى الاخطار، و لكن إذا كانت الملائكه تحفظنا من الوقوع فى الأخطار فلما ذا نموت،و لماذا تصيبنا المخاطر كل لحظه؟ اما لماذا نموت فان أجل الإنسان إذا جاء لا تمنع الملائكه منه،بل انها سوف تخلى بين الإنسان و بين حتفه،اما لماذا نتعرض للمشاكل كل لحظه،فهذا ما ستجيب عليه نهايه الآيه:

۱- ۱) تفسير الصافى-ج ۳-ص ۲۲۸

و لنا ان نتساءل:ما علاقه الإنسان بالملائكه حتی یحفظوه؟ أولا:الملائکه عباد مکرمون للّه،لا یعصون اللّه ما أمرهم و یفعلون ما یؤمرون.

ثانیا:ان لکل شیء فی الحیاه ملکا موکلا به،فللسحاب ملک موکل به و للرعد ملک موکل به،و للبحر ملک موکل به-و هکذا..یکون للإنسان ملک موکل به، لأنه جزء من الطبیعه.

ثالثا:ان اللّه عند ما أسجد ملائکته لآدم فان ذلک دلاله علی سجود الطبیعه و تسخیرها له و هکذا سخر اللّه الملائکه لخدمه الإنسان.

إذا لنرجع الی نهایه الآیه و نقول:ان الإنسان هو الذی یصنع واقعه بنفسه،و لا نشک ان للتصرفات و السلوک الانسانی دخلا فی صنع الظروف المؤثره فیه، فباستطاعتک ان تغیّر نفسک،و إذا غیرت نفسک فانک آنئذ تغیّر ما حولک.

و هکذا الظروف التی تمر بها الأمه الاسلامیه،و ما مرت به بالأمس انما کان بسبب نفسی،فاذا لا یجب ان نلقی اللوم علی الحکام وحدهم،بل یجب ان نراجع حساباتنا،و نمارس النقد الذاتی الصریح بحق أنفسنا..و هذا هو العلاج الأمثل لذلک قال ربنا:

إِنَّ اللّهَ لاٰ یُغَیِّرُ مٰا بِقَوْمٍ حَتّٰی یُغَیِّرُوا مٰا بِأَنْفُسِهِمْ وَ إِذٰا أَرٰادَ اللّٰهُ بِقَوْمٍ سُوْءاً فَلاٰ مَرَدَّ لَهُ وَ مٰا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وٰالٍ ان اللّه هو المهیمن الواحد ان شاء أعطی،و ان شاء محق النعم،و لکن اللّه سبحانه لن یصیب قریه بالسوء و أهلها مصلحون،فاذا دبّر اللّه لأی قوم سوء،فانما ذلک بما کسبت أیدیهم،و حین یصب اللّه السوء علی قوم فلیس هناک من یحول بینه و بین إرادته.

آيات القدره و الهيمنه فى السماء:

[۱۲] هُوَ الَّذِی یُرِیکُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَ طَمَعاً خوفا من الصواعق،و طمعا لما تنبئ به من المطر.و الخيرات.

وَ يُنْشِئُ السَّحٰابَ الثِّقٰالَ السحاب المثقل بالأمطار.

جاء فى حديث طويل فى جدال للإمام الصادق مع ملحد فى التوحيد يشتهر باسم توحيد الاهليليجيه:

«ثم نظرت العين الى العظيم من الآيات من السحاب المسخر بين السماء و الأرض بمنزله الدخان،لا جسد له يلمس بشيء من الأرض و الجبال،يتخلل الشجر فلا يحرك منها شيئا و لا يهصر منها غصنا،و لا يعلق منها بشيء،يعترض الركبان فيحول بعضهم من بعض من ظلمته و كثافته،و يحتمل من ثقل الماء و كثرته ما لا يقدر على صفته،مع ما فيه من الصواعق الصادعه،و البروق اللامعه،و الرعد و الثلج ما لا تبلغ الأوهام صفته،و لا تهتدى القلوب الى كنه عجائبه،فيخرج مستقلا فى الهواء يجتمع بعد تفرقه،و يلتحم بعد تزايله،تفرّقه الرياح من الجهات كلها الى حيث تسوقه بإذن اللّه ربها،يسفل مره،و يعلو اخرى،متمسک بما فيه من الماء الكثير الذى إذا أزجاه صارت منه البحور،يمرّ على الاراضى الكثيره، و البلدان المتنائيه،لا تنقص منه نقطه حتى ينتهى الى ما لا يحصى منه الفراسخ فيرسل ما فيه قطره بعد قطره،و سيلا بعد سيل،متتابع على رسله حتى ينقع البرک، و تمتلئ الفجاج،و تمتلئ الاوديه بالسيول كأمثال الجبال غاصه بسيولها،مصمخه الآذان لدويها و هديرها،فتحيى بها الأرض الميته فتصبح مخضره بعد ان كانت مغبره،و معشبه بعد ان كانت مجدبه،قد كسيت ألوانا من نبات عشب ناضره

زاهره،مزیّنه،معاشا للناس و الانعام فاذا أفرغ الغمام ماءه أقلع و تفرق و ذهب حیث لا یعاین و لا یدری این تواری» (۱) [۱۳] وَ یُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ التسبیح هو التنزیه،فهذا الرعد بقوته یخضع الی اللّه سبحانه،و من تخضع له القوه ألیس بقوی؟! وَ الْمَلائِکَهُ مِنْ خِیفَتِهِ هذه الملائکه هی المهیمنه علی الطبیعه،آیه سلطان هیمنه اللّه علینا تسبح بحمد اللّه خوفا منه لبعض المعرفه بالله و

قد ورد فی الدعاء فی الصحیفه السجادیه عن الامام علی بن الحسین علیهما السلام فی دعائه للملائکه و السلام لهم:

«و علی الملائکه الذین من دونهم من سکان سماواتک،و أهل الامانه علی رسالاتک،و الذین لا تدخلهم سأمه من دؤوب،و لا إعیاء من لغوب و لا فتور،و لا تشغلهم عن تسبیحک الشهوات،و یقطعهم عن تعظیمک سهو الغفلات،الخشع الأبصار فلا یرمون النظر إلیک،النواکس الأذقان الذین قد طالت رغبتهم فیما لدیک،المستهترون بذکر آلائک،و المتواضعون دون عظمتک و جلال کبریائک، و الذین یقولون إذا نظروا الی جهنم تزفر علی أهل معصیتک،سبحانک ما عبدناک حق عبادتک،فصل علیهم» (۲) وَ یُرْسِلُ الصَّواعِقَ فَیُصِیبُ بِها مَنْ یَشاءُ

۱- ۱) بحار الأنوار-ج ۳-ص ۱۶۳

۲- ۲) الصحیفه السجادیه-ص ۴۶

الصاعقه آیه من آیات القدره یرسلها اللّه علی من یشاء من عبیده العاصین.

وَ هُمْ یُجٰادِلُونَ فِی اللّٰهِ وَ هُوَ شَدِیدُ الْمِحٰالِ ابعد هذه القدره و الهیمنه یجادلون فی اللّه؟بلی ان اللّه شدید القوّه و المکر،سیصیبهم بما کسبوا قارعه أو یحل قریبا من دارهم البوار.

الایمان باللّه و متاهات الشرک:

[۱۴]لَهُ دَعْوَهُ الْحَقِّ أی الیه ترجع دعوه الحق،فالعباده الصحیحه ترفع الی اللّه سبحانه و یستجیب لها.

وَ الَّذِینَ یَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لاٰ یَسْتَجِیبُونَ لَهُمْ بِشَیْءٍ إِلاّٰ کَبٰاسِطِ کَفَّیْهِ إِلَی الْمٰاءِ لِیَبْلُغَ فٰاهُ وَ مٰا هُوَ بِبٰالِغِهِ هذا هو حال من یعبد غیره،انه لن یصل الی نتیجه ما،فهو یعبد غیره لعلّه یصل الی مراده،و لکنه لن یصل،و سیبقی عطشانا أبدا،لأنه رام الارتواء من غیره و

قد جاء فی تفسیر(علی بن إبراهیم)عن الامام الباقر علیه السلام :

«فهذا مثل اضربه للذین یعبدون الأصنام و الذین یعبدون آلهه من دون اللّه، فلا یستجیبون لهم بشیء و لا ینفعهم الا کباسط کفّیه الی الماء لیتناوله من بعید و لا یناله» (۱) وَ مٰا دُعٰاءُ الْکٰافِرِینَ إِلاّٰ فِی ضَلاٰلٍ .

۱- ۱) تفسیر نور الثقلین-ج ۳-ص ۴۶۱

[سوره الرعد (۱۳): الآيات ۱۵ الى ۱۸]

اشاره

وَ لِلّٰهِ يَسْجُدُ مَنْ فِى اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ طَوْعاً وَ كَرْهاً وَ ظِلاٰلُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَ اَلْآصٰالِ (۱۵) قُلْ مَنْ رَبُّ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ قُلِ اَللّٰهُ
قُلْ أَ فَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيٰاءَ لاٰ يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعاً وَ لاٰ ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِى اَلْأَعْمىٰ وَ اَلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى اَلظُّلُمٰاتُ وَ اَلنُّورُ
أَمْ جَعَلُوا لِلّٰهِ شُرَكٰاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشٰابَهَ اَلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اَللّٰهُ خٰالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَ هُوَ اَلْوٰاحِدُ اَلْقَهّٰارُ (۱۶) أَنْزَلَ مِنَ اَلسَّمٰاءِ مٰاءً
فَسٰالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهٰا فَاحْتَمَلَ اَلسَّيْلُ زَبَداً رٰابِياً وَ مِمّٰا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى اَلنّٰارِ اِبْتِغٰاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتٰاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذٰلِكَ يَضْرِبُ اَللّٰهُ اَلْحَقَّ
وَ اَلْبٰاطِلَ فَأَمَّا اَلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفٰاءً وَ أَمّٰا مٰا يَنْفَعُ اَلنّٰاسَ فَيَمْكُثُ فِى اَلْأَرْضِ كَذٰلِكَ يَضْرِبُ اَللّٰهُ اَلْأَمْثٰالَ (۱۷) لِلَّذِينَ اِسْتَجٰابُوا لِرَبِّهِمُ
اَلْحُسْنىٰ وَ اَلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مٰا فِى اَلْأَرْضِ جَمِيعاً وَ مِثْلَهُ مَعَهُ لاَفْتَدَوْا بِهِ أُولٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ اَلْحِسٰابِ وَ مَأْوٰاهُمْ جَهَنَّمُ وَ
بِئْسَ اَلْمِهٰادُ (۱۸)

اللغه

۱۵[و ظلالهم]الظلال جمع الظل و هو ستر الشخص ما بإزائه،و الظل الظليل هو ستر الشمس اللازم.

ص:۳۱۴

۱۷[أوديه]الوادى سفح الجبل العظيم المنخفض الذى يجتمع فيه ماء المطر، و منه اشتقاق الدّيه لأنه جمع المال العظيم الذى يؤدى عن القتيل.

ص:۳۱۵

هَلْ يَسْتَوِی الْأَعْمیٰ وَ الْبَصِیرُ

هدی من الآیات:

فی سیاق سوره الرعد التی تدلنا علی اللّه من خلال کائناته،یذکرنا هذا الدرس بأن کلّ شیء خاضع للّه من ملائکته و سائر خلقه طوعا أو کرها،و لیست الأشیاء وحدها خاضعه للّه.بل حتی ظلالها و انعکاسها خاضع له سبحانه،و إذا تساءلت من الذی یدبر أمر السماوات و الأرض؟لجاءک الجواب:بأنه اللّه سبحانه،إذا فلما ذا یتّخذ الإنسان ولیا من دونه؟!و هل هناک إله یملک النفع و الضر سواه؟کلا..

إن الفرق بین من یؤمن باللّه و بین من لا یؤمن به کالفرق بین البصیر و الأعمی، و النور و الظلمات،و المؤمن عند ما یتصل باللّه یتحول من لا شیء الی شیء،و لأن اللّه مهیمن علی کل شیء و خالق کلّ شیء و به تقوم الأشیاء فانه کلما کان الایمان أعمق کلما کان الإنسان أکبر.

إن اللّه سبحانه رازق کلّ شیء فمثل رسالته کمثل غیث ممطر من السماء علی

ص:316

الأرض فتستقبلها الأوديه ليروى الزرع و الضرع،و يجعل الأرض مخضرّه،و يزيل شوائب الحياه«الزبد»و لكن الإنسان بدل أن يهتم بالماء نجده يهتم بهذا الزبد الطافح عليه،ألاّ يدل ذلك على قصر النظر؟!فليس النفع فى الزبد و لكن النفع فى الماء،و الزبد هو الشيء الظاهر،و الإنسان لا يبحث غالبا عن الظّاهر،و هو عاده يحبّ المظاهر،فالزّبد يمثل متع الحياه الدنيا و ليست الحياه الدنيا بأفضل من الزبد،بل هى و الزبد سواء.

بينات من الآيات:

الخضوع بين الطوع و الإكراه:

[١٥] وَ لِلّٰهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ طَوْعاً وَ كَرْهاً «من»اسم موصول للعاقل و يبدو ان المراد منه هنا مطلق الأشياء.و ذلك لأنّ ما نسب إليها هو فعل العقلاء فللّه يسجد من فى السماوات و الأرض من الكائنات كالحيوان و الإنسان،و غيرهما مما لا يعلمه إلا اللّه،انما تسجد للّه خاضعه له بإرادتها فان لم تسجد للّه طوعا أسجدها اللّه له كرها،و السجود بالنسبه للمكرهين تعبير عن الخضوع لأمره،فهذا الإنسان محكوم بقوانين وضعها اللّه له فى كل جوانب حياته، و بعد مماته.

وَ ظِلاٰلُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَ الْآصٰالِ الغدو صباحا مع شروق الشمس،و الآصال مساء عند غروب الشمس،و هذا تعبير عن حركه الأرض حول الشمس،و الغدو و الآصال هو بدايه و نهايه نشوء الظل،فالظل يبتدئ طويلا فيأخذ بالقصر حتى منتصف النهار،حيث ينعدم و يبدأ فى الطول،حتى ينعدم نور الشمس،فهو يبتدئ طويلا،و ينتهى طويلا، و ينعدم فيما بينهما.و هكذا تخضع الظلال لحركه الشمس المسخره بدورها للّه

سبحانه.أ فلا يدلنا ذلک علی سجود الطبيعه للّه.

[۱۶] قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ قُلِ اللّٰهُ ليس العجب فی الظل بل فی منشأ الظل،فكما قلنا:إن منشأ الظلّ هو دوران الأرض حول الشمس،إذا فالعجب كلّ العجب فی هذين الخلقين السماوات و الأرض،من ربهما و مسيرهما؟بالطبع هو اللّه وحده.

قُلْ أَ فَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيٰاءَ إذا كـان اللّه بهـذه القوه و الهيمنه،إذا فلمـا ذا نتخـذ غيره وليّا لا يملک من هـذه القوه و الهيمنه شيئا،بل لا يملک قوه ذاته،و لا هيمنه علی قواه.

لاٰ يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعاً وَ لاٰ ضَرًّا هذه الأصـنام الحجريه أو البشـريه لا تملک النفع لنفسـها،و لا دفع الضـر عنها، فهل هی قادره علی إعطائک النفع أو دفع الضـر عنک؟! قُلْ هَلْ يَسْتَوِی الْأَعْمیٰ وَ الْبَصِيرُ المشكله ليست فی الحقائق من حولک،إنما المشكله فی أعيننـا،فالعين مـدخوله، أما الحقائق فموجوده،و العمی و البصـر الحقيقيان ليسا فی العين،بل فی القلب كما قال تعالی: فَإِنَّهٰا لاٰ تَعْمَی الْأَبْصٰارُ وَ لٰكِنْ تَعْمَی الْقُلُوبُ الَّتِی فِی الصُّدُورِ .

أَمْ هَلْ تَسْتَوِی الظُّلُمٰاتُ وَ النُّورُ الظلمات كما جاء فی الخبر هی الكفر،و النور هو الإيمان.

أَمْ جَعَلُوا لِلّٰهِ شُرَكٰاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشٰابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللّٰهُ

خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لا يستطيع أيّ إنسان مهما كان أن يدّعى أنّ هناك خالقا غير اللّه لهذا الكون، فإذا لم يعترف باللّه مثلا فلن يقول:إن الكون خلق نفسه، قال تعالى: وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضَ وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللّٰهُ فَأَنّٰى يُؤْفَكُونَ /٦١العنكبوت.

وَ هُوَ الْوٰاحِدُ الْقَهّٰارُ قد يكون الواحد قهّارا و قد لا يكون،و لكن اللّه واحد و قهار..واحد تدل على ذلك آياته،و قهّار غالب على كلّ شىء بقدرته و إرادته،أما عصيان البشر له فليس انحسارا لقهره،بل لأنّه يمهل الكافرين ليزدادوا إثما مع إثمهم،و إنما عجله اللّه و انتقامه السريع هو الانحسار الحقيقى لقهر اللّه فكما

ورد فى الدعاء: [إنّما يعجل من يخاف الفوت،و إنما يحتاج الى الظلم الضعيف].

فأما الزبد فيذهب جفاء:

[١٧] أَنْزَلَ مِنَ السَّمٰاءِ مٰاءً فَسٰالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهٰا أىّ ان الأوديه تسيل بقدر قطر المطر،و هذه الآيه تلمح الى أن المطر له مقادير معينه يقدرها اللّه حسب طاعه أو معصيه العباد،كما فى قصه أصحاب الأحقاف (قوم هود)لما كفروا قطع اللّه عنهم المطر سبع سنوات،و بعد أن جاءهم أهلكهم، و قد قال تعالى: اِسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كٰانَ غَفّٰاراً يُرْسِلِ السَّمٰاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرٰاراً .

فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رٰابِياً يقال:حمل للحامل بإرادته أو كان راضيا،أما احتمل أىّ حمّل قسرا،كما يقال للضيف الثقيل:احتملت الضيف،أو كما يقال:احتمل الأذى،فالسيل

یحتمل الزبد،و کأن الزبد غیر مرغوب فیه،و الزبد هو المخلفات و الأوساخ یجرفها السیل معه،و قال صاحب المجمع:الاحتمال رفع الشیء علی الظهر بقوه الحامل له، و یقال:علا صوته علی فلان فاحتمله و لم یغضب،و الزبد و ضر الغلیان،و هو خبث الغلیان،و منه زبد القدر و زبد السیل،و رابیا:مرتفعا یتزاید باستمرار تدفق السیول علیه.

وَ مِمّا یُوقِدُونَ عَلَیْهِ فِی النّارِ ابْتِغاءَ حِلْیَهٍ أَوْ مَتاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ کما أن ما یجرفه السیل زبد،فکذلک المعادن التی تصهر بالنار لتصنع منها الحلی هی زبد أیضا،و هذه إشاره بأن صناعه الحلی تعتمد علی الصهر بدرجات حراریه کبیره،و سبب أن متع الحیاه زبد أنها تشغل الإنسان بالظاهر،و تدعه ینسی هدفیه الحیاه،و یتصور أن هدفیّه الحیاه هو ما یحصل من هذه المتع.

کَذٰلِکَ یَضْرِبُ اللّٰهُ الْحَقَّ وَ الْبٰاطِلَ إذا فمتع الحیاه مثل الزبد،و هذا هو الباطل،أما الحق فعاده ما یغفل عنه، ذلک لأنّ الحق لیس الذی یستهویک،انما الحق هو الذی یکمن خلف المباهج،فلا تغرنک المباهج بل ابحث خلفها عن الحقیقه الناصعه.

فَأَمَّا الزَّبَدُ فَیَذْهَبُ جُفٰاءً أیّ ان الزبد یتلاشی و یضیع هدرا،قال الراغب فی مفرداته:جفاء:و هو ما یرمی به الوادی أو القدر من الغثاء الی جوانبه،یقال:أجفأت القدر زبدها:ألقته إجفاء،و أجفأت الأرض:صارت کالجفاء فی ذهاب خیرها. (۱)

۱- ۱) مفردات ألفاظ القرآن-ص ۹۲.

وَ أَمّا مٰا يَنْفَعُ النّٰاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذٰلِكَ يَضْرِبُ اللّٰهُ الْأَمْثٰالَ إذا زال الزبد بقى الجوهر،و الباطل لا يستطيع أن يغطى الحق أبد الآبدين، فالباطل سريع الزوال،لأنه ضد الطبيعه،و ان الباطل لا يمتلك مؤهلات الوجود ليستمر.

[١٨] لِلَّذِينَ اسْتَجٰابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنىٰ وَ الَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مٰا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَ مِثْلَهُ مَعَهُ لاَفْتَدَوْا بِهِ أُولٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسٰابِ وَ مَأْوٰاهُمْ جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ الْمِهٰادُ هذه العبره من الأمثال:فالذين استجابوا لرساله ربهم المتمثله فى المطر، و ساحت أوديه قلوبهم،استجابوا بالإيمان فان لهم الحسنى جنات تجرى من تحتها الأنهار،و الذين لم يستجيبوا لرساله اللّه لو أن عندهم ما فى الأرض و مثله معهم من الزبد لما منع عنهم سوء الحساب و جهنم.نعوذ باللّه منها.

[سوره الرعد (۱۳): الآیات ۱۹ الی ۲۴]

اشاره

أَ فَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمٰا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ اَلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمىٰ إِنَّمٰا يَتَذَكَّرُ أُولُوا اَلْأَلْبٰابِ (۱۹) اَلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اَللّٰهِ وَ لاٰ يَنْقُضُونَ
اَلْمِيثٰاقَ (۲۰) وَ اَلَّذِينَ يَصِلُونَ مٰا أَمَرَ اَللّٰهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَ يَخٰافُونَ سُوءَ اَلْحِسٰابِ (۲۱) وَ اَلَّذِينَ صَبَرُوا اِبْتِغٰاءَ وَجْهِ
رَبِّهِمْ وَ أَقٰامُوا اَلصَّلاٰةَ وَ أَنْفَقُوا مِمّٰا رَزَقْنٰاهُمْ سِرًّا وَ عَلاٰنِيَةً وَ يَدْرَؤُنَ بِالْحَسَنَهِ اَلسَّيِّئَةَ أُولٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى اَلدّٰارِ (۲۲) جَنّٰاتُ عَدْنٍ
يَدْخُلُونَهٰا وَ مَنْ صَلَحَ مِنْ آبٰائِهِمْ وَ أَزْوٰاجِهِمْ وَ ذُرِّيّٰاتِهِمْ وَ اَلْمَلاٰئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بٰابٍ (۲۳) سَلاٰمٌ عَلَيْكُمْ بِمٰا صَبَرْتُمْ
فَنِعْمَ عُقْبَى اَلدّٰارِ (۲۴)

ص:۳۲۲

المؤمنون..صفات و تقييم

هدى من الآيات:

ضمن سياق سوره الرعد التى تسوقنا الى الايمان باللّه من خلال آياته،يذكرنا الرب بصفات المؤمنين السلوكيه،و صفاتهم النفسيه،و من أبرز صفات المؤمنين الملتزمين:

الوفاء بعهد اللّه سبحانه الذى عاهد اللّه به الإنسان فى عالم الذر،و الانتماء الى جبهه الرساله،و معاداه غيرها،و خشيه اللّه فى كل حال،و الخوف من سوء الحساب،و الصبر عند الشدائد احتسابا لوجه اللّه،و إقامه الصلاه،و الإنفاق فى السر و العلن،و الخلق الرفيع،و مواجهه الانحراف و الفساد فى المجتمع.

و أخيرا فمن تجسدت فيه هذه الصفات هل هناك جزاء له أحسن من الجنه التى تجرى من تحتها الأنهار،و الملائكه يدخلون عليه من كل باب يرحبون به.

ص:٣٢٣

بينات من الآيات:

أُولُوا الْأَلْبابِ :

[۱۹] أَ فَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّما أُنْزِلَ إِلَيْکَ مِنْ رَبِّکَ الْحَقُّ کَمَنْ هُوَ أَعْمىٰ هناک موقفان من القران:

الموقف الأول:هو الموقف المعترف بالحق الکامل المتجسد فی القرآن.

الموقف الآخر:هو المتعامی عن القرآن الحق،فالقرآن حق به یبصر قوم و یعمی آخرون،و القرآن لا یتأثر بعمی قوم أو إبصار آخرین،لأن القرآن حق ثابت،و نحن الذین نتطور بالقرآن و السؤال من الذی یهدیه اللّه الی القرآن؟الجواب:

إِنَّما یَتَذَکَّرُ أُولُوا الْأَلْبابِ لماذا خصّ من یستفید من القرآن بأصحاب العقول لأنه لا یعرف القرآن و لا یستفید منه الا من نمّی عقله و أخضع سلوکه لعقله.و تجاوز هواه و شهواته،و جدیر بالقرآن ان یفهمه مثل هؤلاء الرجال و هم أولوا العقول.

ما هی صفات اولی الألباب و أصحاب العقول الذین ضبطوا أنفسهم ضمن أطار العقل.

الصفه الاولی:

[۲۰] اَلَّذِینَ یُوفُونَ بِعَهْدِ اللّٰهِ عهد اللّه علی الإنسان فی عالم الذر عند ما قال: وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّکَ مِنْ بَنِی آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّیَّتَهُمْ وَ أَشْهَدَهُمْ عَلیٰ أَنْفُسِهِمْ أَ لَسْتُ بِرَبِّکُمْ قٰالُوا بَلیٰ شَهِدْنٰا أَنْ تَقُولُوا یَوْمَ

الْقِيامَهِ إِنّا كُنّا عَنْ هذا غافِلِينَ* أَوْ تَقُولُوا إِنَّما أَشْرَكَ آباؤُنا مِنْ قَبْلُ وَ كُنّا ذُرِّيَّهً مِنْ بَعْدِهِمْ أَ فَتُهْلِكُنا بِما فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ (١٧٢-١٧٣/الأعراف) و جاء فی القرآن قوله: أَ لَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يا بَنِی آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ وَ أَنِ اعْبُدُونِی هذا صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ (٦٠-٦١/يس) عهد اللّه هو طاعته و تجنب معصيته،فبعد الالتزام بعهد اللّه سبحانه علی الإنسان بالطاعه،تأتی بقيه الصفات.

الصفه الثانيه:

وَ لا يَنْقُضُونَ الْمِيثاقَ الوثاق هو الرباط،و الميثاق:عقد مؤكد بيمين أو عهد،و موثق اللّه هو ما أخذه علی جميع البشر أن يعبدوه و يوحّدوه،و

قد جاء فی الروايات ان موثق اللّه هو موالاه أوليائه،و قد أخذ اللّه علی كل الناس موثقا فقد أخذ موثقا عاما كما قال:

وَ اذْكُرُوا نِعْمَهَ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَ مِيثاقَهُ الَّذِی واثَقَكُمْ بِهِ (٧/المائده) و أخذ علی بنی إسرائيل موثقا آخر كما قال: وَ إِذْ أَخَذْنا مِيثاقَ بَنِی إِسْرائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّهَ وَ بِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً وَ ذِی الْقُرْبی وَ الْيَتامی وَ الْمَساكِينِ وَ قُولُوا لِلنّاسِ حُسْناً وَ أَقِيمُوا الصَّلاهَ وَ آتُوا الزَّكاهَ (٨٣/البقره) و قد أخذ اللّه علی النبيين ميثاقا أيضا: وَ إِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثاقَ النَّبِيِّينَ لَما آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتابٍ وَ حِكْمَهٍ ثُمَّ جاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِما مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَ لَتَنْصُرُنَّهُ قالَ أَ أَقْرَرْتُمْ وَ أَخَذْتُمْ عَلی ذلِكُمْ إِصْرِی قالُوا أَقْرَرْنا قالَ فَاشْهَدُوا وَ أَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشّاهِدِينَ (٨١/آل عمران)

و لموثق اللّه معنیان أولا:طاعه اللّه کما قال: وَ إِذْ أَخَذْنٰا مِیثٰاقَ بَنِی إِسْرٰائِیلَ کما سبق،ثانیا:تجنب معصیه اللّه و الافتراء علیه: أَ لَمْ یُؤْخَذْ عَلَیْهِمْ مِیثٰاقُ الْکِتٰابِ أَنْ لاٰ یَقُولُوا عَلَی اللّٰهِ إِلاَّ الْحَقَّ (۱۶۹/الأعراف)

الصفه الثالثه:

[۲۱] وَ الَّذِینَ یَصِلُونَ مٰا أَمَرَ اللّٰهُ بِهِ أَنْ یُوصَلَ ما أمر اللّه به أن یوصل هو الرحم،و

قد جاء فی الحدیث عن زین العابدین علیه السلام أنه قال لابنه الباقر علیه السلام :

یا بنی إیّاک و مصاحبه القاطع لرحمه فانی وجدته ملعونا فی کتاب اللّه عزّ و جل فی ثلاث مواضع قال فی البقره: اَلَّذِینَ یَنْقُضُونَ عَهْدَ اللّٰهِ مِنْ بَعْدِ مِیثٰاقِهِ وَ یَقْطَعُونَ مٰا أَمَرَ اللّٰهُ بِهِ أَنْ یُوصَلَ وَ یُفْسِدُونَ فِی الْأَرْضِ أُولٰئِکَ هُمُ الْخٰاسِرُونَ (۱)-و الحدیث طویل-.

و قد تظافرت النصوص بحیث لا تقبل الشک لکثرتها و تواترها:ان ما امر اللّه به ان یوصل هم أهل البیت،و لکن لا یعنی ان الآیات لا تنطبق علی کل رحم کما

جاء فی الحدیث عن عمر بن یزید قال: قلت لأبی عبداللّه علیه السلام :

اَلَّذِینَ یَصِلُونَ مٰا أَمَرَ اللّٰهُ بِهِ أَنْ یُوصَلَ فقال:

«نزلت فی رحم آل محمد صلّی اللّه علیه و آله،و قد یکون فی قرابتک،ثم قال:

۱- ۱) تفسیر نور الثقلین-ج ۱-ص ۴۵

فلا تکونن ممّن یقول للشیء أنه فی شیء واحد» (۱)

الصفه الرابعه:

وَ یَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ خشیه اللّه هی الضمان الحقیقی من الانحراف کما قال:«و لا تخشوهم و اخشونی»و الخشیه من اللّه هی الخوف من أن یصب علینا عذابه،و یأخذنا علی حین غرّه،و قبل أن نبادر بالأعمال.

الصفه الخامسه:

وَ یَخٰافُونَ سُوءَ الْحِسٰابِ یبدوا أن الفرق بین الخشیه و الخوف،ان الخوف أقل من الخشیه کما قال العلامه الطباطبائی (۲)فی المیزان:و الظاهر ان الفرق بین الخشیه و الخوف،ان الخشیه تأثر القلب من إقبال الشر أو ما فی حکمه،و الخوف هو التأثر عملا بمعنی الاقدام علی تهیئه ما یتّقی به المحذور و ان لم یتأثر به القلب،و لذا قال سبحانه فی أنبیائه:

وَ لاٰ یَخْشَوْنَ أَحَداً إِلاَّ اللّٰهَ (۳)فنفی عنهم الخشیه عن غیره،و قد اثبت الخوف لهم عن غیره فی مواضع من کلامه کقوله: فَأَوْجَسَ فِی نَفْسِهِ خِیفَهً مُوسیٰ (۶۷/طه) و قوله: وَ إِمّٰا تَخٰافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِیٰانَهً فَانْبِذْ إِلَیْهِمْ عَلیٰ سَوٰاءٍ (۵۸/الأنفال) و سوء الحساب هو:ان لا تقبل حسناتهم،بل یؤخذون بسیئاتهم،و قد جاء فی

۱- ۱) تفسیر المیزان-ج ۱۱-ص ۳۴۹

۲- ۲) تفسیر المیزان-ج ۱۱-ص ۳۴۳

۳- ۳) .(۳۹/الأحزاب)

معنى سوء الحساب أنه:هو الاستقصاء و المداقه،و سمى سوء الحساب لهوله و شدته كما

جاء فى الحديث:

«ما من عبد انصبته للحساب الا هلك » أن المؤمن يخاف من إحصاء سيئاته فلا تغفر،و تعد حسناته فلا تقبل.

الصفه السادسه:

[۲۲] وَ الَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ فاذا أنت أوكلت أمرك لله سبحانه فستجد أن اللّه يعينك على ما صبرت عليه، و ما أجمل الصبر إذا كان اللّه وراءه،و لكن لماذا الصبر ابتغاء وجه اللّه؟ لان اللّه سبحانه هو الذى يبتلى الإنسان.اما ليختبره كما قال:« أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّهَ وَ لَمّا يَعْلَمِ اللّهُ ما فِي قُلُوبِكُمْ » أو يبتليهم بما كسبت أيديهم لينقيهم و يصفيهم من الذنوب،فاذا صبرت و احتسبت فأجرك على اللّه.فهذا يدل على صدق الايمان كما،يدل على رضى الإنسان بقضاء اللّه و قدره.

الصفه السابعه:

وَ أَقامُوا الصَّلاهَ القيام بالصلاه غير أداء الصلاه،و إقامه الصلاه مشروطه بالعزم و الاهتمام بسائر شروط و مواصفات الصلاه.

الصفه الثامنه:

وَ أَنْفَقُوا مِمّا رَزَقْناهُمْ سِرًّا وَ عَلانِيَهً

ص:۳۲۸

الإنفاق بالسر ضد الرياء،و الإنفاق فى العلن تحدّ لمن لا يريد منک الإنفاق،أو تشجيعا للإنفاق.

الصفه التاسعه:

وَ يَدْرَؤُنَ بِالْحَسَنَهِ السَّيِّئَهَ معاملتهم مع الناس ليس معامله البغض و العداوه،بل معامله العطاء،فهم لا يصعّدون الصراع مع الناس،بل يحاولون احتواء البغضاء بالحلول الهادئه،و الدرء هو التحصين أى يتحصنون بالحسنه من مضاعفات السيئه و هذا معنى آخر تحمله الآيه، و

قد ورد فى الحديث:ان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم قال لمعاذ بن جبل:

إذا عملت سيئه فاعمل بجنبها حسنه تمحها لَهُمْ عُقْبَى الدّارِ ؟ أُولٰئِکَ لَهُمْ عُقْبَى الدّارِ ما هى عقبى الدار؟ [۲۳] جَنّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهٰا وَ مَنْ صَلَحَ مِنْ آبٰائِهِمْ وَ أَزْوٰاجِهِمْ وَ ذُرِّيّٰاتِهِمْ ايمانهم يتعدى حدود إنقاذهم لأنفسهم وحدهم الى الآباء و الأزواج و الأبناء، فايمان المرء نجاه لذويه،و هذا أفضل جزاء لهم،فمع فرحهم بالجنه تقرّ أعينهم برؤيه ذويهم يلتحقون بهم.

و

قد ورد فى الأحاديث:

«ان المؤمن يشفّع فى مثل ربيعه و مضر »

[۲۴] وَ الْمَلاٰئِكَهُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بٰابٍ* سَلاٰمٌ عَلَيْكَمْ بِمٰا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدّٰارِ هـذا من أفضل الجزاء الـذى ساقه اللّه للصابرين على البأساء و الضراء، و الصابرين على الطاعه لوجه اللّه،و الصابرين عن ممارسه الباطل.

ص:۳۳۰

[سوره الرعد (۱۳): الآيات ۲۵ الی ۲۹]

اشاره

وَ اَلَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اَللّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثاقِهِ وَ يَقْطَعُونَ ما أَمَرَ اَللّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَ يُفْسِدُونَ فِی اَلْأَرْضِ أُولئِكَ لَهُمُ اَللَّعْنَهُ وَ لَهُمْ سُوءُ اَلدّارِ (۲۵) اَللّهُ يَبْسُطُ اَلرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ وَ يَقْدِرُ وَ فَرِحُوا بِالْحَياهِ اَلدُّنْيا وَ مَا اَلْحَياهُ اَلدُّنْيا فِی اَلْآخِرَهِ إِلاّ مَتاعٌ (۲۶) وَ يَقُولُ اَلَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَهٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اَللّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ وَ يَهْدِی إِلَيْهِ مَنْ أَنابَ (۲۷) اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ تَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اَللّهِ أَلا بِذِكْرِ اَللّهِ تَطْمَئِنُّ اَلْقُلُوبُ (۲۸) اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا اَلصّالِحاتِ طُوبی لَهُمْ وَ حُسْنُ مَآبٍ (۲۹)

اللغه

۲۷[أناب]الإنابه الرجوع الی الحق بالتوبه،انتاب فلان القوم أتاهم مره بعد مره.

ص:۳۳۱

۲۹[متاب]المتاب التوبه.

[سيّرت]التسيير تصيير الشیء بحيث يسير.

[قطّعت]التقطيع تكثير القطع،و القطع تفصيل المتصل.

ص:۳۳۲

هدی من الآیات:

حدّثنا الدرس السابق فی سوره الرعد عن صفات المؤمنین،أمّا فی هذا الدرس فیحدثنا عن نقیضهم(الکفار)،و صفاتهم بعکس صفات المؤمنین.

عند ما یسود المجتمع..ای مجتمع ثقه متبادله بین أبنائه فان تفاعل هذا المجتمع مع بعضه یجری کمجری الدم فی العروق السلیمه،و کلما ازداد التفاعل و التکامل بین أعضاء المجتمع کلما کان أقرب الی الحضاره،و الحضاره هی:حضور الإنسان عند الإنسان،و سیاده العداله و الثّقه المتبادله،أما إذا انعدمت هذه الشروط فی الحضاره فانها ستضمحل و یحل محلها التخلف حتی و ان ظهرت علی السطح صور حضاریه،فلیست الحضاره هی التقدم التکنولوجی،و لکن الحضاره ما سبق ذکره.

و کلما کانت الصله بین أبناء المجتمع أمتن.کلّما کانت رحمه اللّه إلیهم أقرب.و أما إذا قطعوا الصله التی أمر اللّه بها.فان لعنه اللّه المتمثله فی الحرمان و العذاب تنزل بهم.و لهم سوء الدار.

و الرزق من اللّه.كما أن منعه بيـد اللّه،و أكبر من رزق الـدنيا.هو نعيم الآخره بينما الكفار يفرحون بما فى الدنيا و ما فى الدنيا غير متاع.

و يطـالب الكفـار أبـدا بـآيه.و كـان النقص فى الآيات.كلاّ.انمـا النقص فى أنفسـهم إذا اللّه يضل من يشاء،بسـبب سوء إختياره و يهدى اليه من أناب اليه.

و من هم المنيبون انهم المؤمنون حقا و هم الـذين تطمئن قلوبهم بذكر اللّه. بلى إن ذكر اللّه فعلا يعطى سـكينه النفس و اطمئنان القلب.

إن هؤلاء الذين آمنوا و عملوا الصالحات لهم حياه طيبه فى الدنيا.و لهم حسن مآب فى الآخره.

بينات من الآيات:

صفات الكفار:

/انقض العهد:

[۲۵] وَ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ من ابرز صـفات الكفار نقض عهد اللّه،و من ينقض عهد اللّه فهو لا يحترم نفسه،و من لا يحترم نفسه لا يحترم الآخرين،و أخيرا فهو يتحـدى اللّه و يخالف أمره، و عنـد ما ينقض الإنسان عهـده فان ذلك لا يجعل حيـاته مرسومه ضـمن خطه بعيـده المـدى،بـل تكون أعمـاله مجرّد ردود أفعـال لا أكثر أو بمعنى آخر انعكاس لظروف متغيره،و العهـد عهدان:عهد مع اللّه اخذه اللّه على الإنسان فى عالم الذر،و العهد الثانى:عهد مع الآخرين أشـهد اللّه عليه،فنقضك عهدك مع اللّه كفر،و نقضك عهدك مع الناس لؤم.

/۲قطع الرحم:

وَ يَقْطَعُونَ مٰا أَمَرَ اللّٰهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ يقطعون أرحامهم أو رحم أهل بيت الوحى كما سبق ذكره.

/۱۳لفساد فی الأرض:

وَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ بنشر الفساد،و هناك معنى آخر نستوحيه:انهم يفسدون بيئه الأرض،و هذه حاله الكفار فهم ينتقمون من الطبيعه،و ما الاسلحه الاستراتيجيه و الميكروبيه الاّ دليل على نشر الدمار كما ان تلويث البيئه الطبيعيه دليل نشر الفساد.

أُولٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ اللعنه الطرد و الابعاد عن رحمه اللّه فى الدنيا.

وَ لَهُمْ سُوءُ الدّٰارِ بالاضافه الى طردهم من رحمه اللّه فى الدنيا،إذ يعيشون القلق،فلهم سوء الدار.

ملاحظتان:

الملاحظه الاولى:

ان الصفات الحسنه كما الصفات السيئه أخوات،فالصفه الحسنه تجر وراءها صفات أخرى حسنه مثلها،كما

ورد فى معنى الحديث:

«إذا رأيت من أخيك اكرومه حسنه فانتظر مثيلاتها » و هكذا الصفات السيئه.

ص:۳۳۵

اما لماذا ذلک؟فلان الصفه الحسنه مصدرها نفسیه حسنه و هذه النفسیه الحسنه تعطی بدورها صفات حسنه اخری،و العکس صحیح،فلذلک فان اللّه یسوق الصفات الحسنه مع بعضها،و الصفات السیئه مع بعضها.

الملاحظه الثانیه:

ان للإنسان أربع علاقات:

١-علاقته مع ربه.

٢-علاقته مع نفسه.

٣-علاقته مع الناس.

۴-علاقته مع الطبیعه.

و علاقه الکافر بهذه الأصناف مقطوعه أو هی علاقات سلبیه،فعلاقته مع ربه مقطوعه،کما قال: وَ الَّذِینَ... وَ یَقْطَعُونَ مٰا أَمَرَ اللّٰهُ بِهِ أَنْ یُوصَلَ .و علاقته مع نفسه مقطوعه إذ أنه لا یحترمها و علاقته مع الناس کذلک کما قال سبحانه: وَ الَّذِینَ... وَ یَقْطَعُونَ مٰا أَمَرَ اللّٰهُ بِهِ أَنْ یُوصَلَ و علاقته مع الطبیعه سلبیه کما قال: وَ یُفْسِدُونَ فِی الْأَرْضِ .

وَ مَا الْحَیٰاهُ الدُّنْیٰا فِی الْآخِرَهِ إِلاّٰ مَتٰاعٌ :

[٢۶] اَللّٰهُ یَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ یَشٰاءُ وَ یَقْدِرُ ان اللّه یوسّع الرزق علی من یشاء من عباده برحمته و یضیق عمن یشاء بحکمته.

و قد یشاء الإنسان الدنیا فیبسط اللّه الرزق له،کما قال: وَ مَنْ یُرِدْ ثَوٰابَ الدُّنْیٰا نُؤْتِهِ مِنْهٰا وَ مَنْ یُرِدْ ثَوٰابَ الْآخِرَهِ نُؤْتِهِ مِنْهٰا وَ سَنَجْزِی الشّٰاکِرِینَ (١۴۵/آل عمران)

ص:٣٣۶

و قد يبسط اللّه الرزق للإنسان بعد ابتلائه ليأخذه على حين غره كما قال:

وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا إِلى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْناهُمْ بِالْبَأْساءِ وَ الضَّرّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ* فَلَوْ لا إِذْ جاءَهُمْ بَأْسُنا تَضَرَّعُوا وَ لكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ ما كانُوا يَعْمَلُونَ* فَلَمّا نَسُوا ما ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنا عَلَيْهِمْ أَبْوابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتّى إِذا فَرِحُوا بِما أُوتُوا أَخَذْناهُمْ بَغْتَةً فَإِذا هُمْ مُبْلِسُونَ (۴۲-۴۴/الانعام) اما نعم اللّه على الإنسان فبالاضافه الى ما سبق ربما تكون عذابا كما

جاء فى الحديث:

«ان العبد ليحرم الرزق لذنب أذنبه » و ربما يكون امتحانا و أخيرا إذا قتر عليك الرزق فلا تيأس من روح اللّه،كما لا تعجب بما أتاك اللّه فقد يسلبه منك.

و انّ من حكمه اللّه سبحانه أيضا انه يهىء الدنيا للكافر ليلهو عن الحق، و يبتعد عن الرساله،فالدنيا كما جاء سجن المؤمن و جنه الكافر.

وَ فَرِحُوا بِالْحَياةِ الدُّنْيا الفرح هو حاله الإشباع النفسى،مثل الطفل تشبع نفسه بمجرد حصوله على لعبه يريدها فبعض الناس تكون نفوسهم ضيقه تشبع بمجرد ان تواتيها الدنيا،فالإنسان الذى تشبع نفسه يغفل عن مسئوليته،و لا يجد للالتزام داعيا.

وَ مَا الْحَياةُ الدُّنْيا فِي الْآخِرَةِ إِلاّ مَتاعٌ المتاع هى الكماليات مما ليس ضروريا،حيث يمكن الاستغناء عنها أو الاستعاضه بغيرها إذا اهترأت..بلى إن الحياه مزرعه الآخره،هنا عمل بلا حساب،

ص:۳۳۷

و هناك حساب بلا عمل.

ان الذى يعلم بأنه محتاج الى اللّه يجب عليه أن يرتبط معه.

يحكى ان ملكا كان يخوض حربا ضروسا،فنذر نذرا:ان هو انتصر ليزيدن فى أجر الجند،فبعد ان انتصر قدّر المبلغ فوجده كبيرا،فأراد أن يخلف نذره،فاستقرّ رأيه أخيرا ان يحتكم لدى أول من يدخل عليه،فبينما هو جالس فى مجلسه إذ دخل عليه اعرابى فاحتكم اليه،فقال له الاعرابى:ان كنت ترى انك لن تحتاج الى ربك فلا تف بنذرك معه،و ان كنت ترى انك ستحتاج اليه فأوف بنذرك معه،فرأى الملك انه محتاج الى اللّه فى كل لحظه،فوفى نذره.

كيف يطمئن القلب:

[٢٧] وَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لاٰ أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ الإنسان الذى يريد النظر يكفيه البصيص من النور،اما الذى لا يريد ان يبصر فضوء الشمس لا يكفيه.

قُلْ إِنَّ اللّٰهَ يُضِلُّ مَنْ يَشٰاءُ وَ يَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنٰابَ يريد الإنسان الهدايه فيهديه اللّه،و يريد الضلاله فيمد اللّه له فى ضلالته و هذا واضح من الاسم الموصول مّن الذى يطلق للعاقل.

[٢٨] اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ تَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللّٰهِ الاطمئنان:السكون و الاستقرار.

و القلب المطمئن هو نفسه النفس المطمئنه كما قال سبحانه فى آخر سوره

ص:٣٣٨

الفجر: يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّهُ ارْجِعِی إِلَی رَبِّکِ رَاضِیَهً مَرْضِیَّهً فَادْخُلِی فِی عِبَادِی وَ ادْخُلِی جَنَّتِی و ذکر اللّه هو مطلق توجه الإنسان للّه.

أَلاٰ بِذِکْرِ اللّٰهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ فی زحمه الحیاه و مع تراکم الأعمال،و مع جو الارهاق و العمل،و أثناء القلق النفسی الذی یعصف بالکثیرین ترکن النفس و تطمئن لذکر اللّه،و حری بنا ان نعالج مشاکلنا النفسیه بذکر اللّه لأنه أنجح علاج یمکن ان یستفید منه الإنسان و خاصه فی هذا الزمن،زمن التیارات و الصراعات التی یغذّیها الاستعمار شرقه و غربه.

[۲۹] اَلَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ طُوبیٰ لَهُمْ وَ حُسْنُ مَآبٍ فی الدرس السابق بعد ذکر صفات المؤمنین ذکر مصیرهم بقوله: أُولٰئِکَ لَهُمْ عُقْبَی الدّٰارِ* جَنّٰاتُ عَدْنٍ یَدْخُلُونَهٰا وَ مَنْ صَلَحَ مِنْ آبٰائِهِمْ وَ أَزْوٰاجِهِمْ وَ ذُرِّیّٰاتِهِمْ وَ الْمَلاٰئِکَهُ یَدْخُلُونَ عَلَیْهِمْ مِنْ کُلِّ بٰابٍ* سَلاٰمٌ عَلَیْکُمْ بِمٰا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَی الدّٰارِ .

اما الآن فیذکر مصیرهم بأن لهم طوبی و حسن مآب.و لعلّ المراد من الطوبی الحیاه الأعظم طیبا.

و هذا یدلل لنا بأن للمؤمنین فی الجنه فی کل یوم صنف جدید من النعیم،فلا هم یملون،و لا اللّه یقترّ علیهم.

ص:۳۳۹

[سوره الرعد (١٣): الآيات ٣٠ الی ٣۵]

اشاره

كَذٰلِكَ أَرْسَلْنٰاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهٰا أُمَمٌ لِتَتْلُوَا عَلَيْهِمُ اَلَّذِي أَوْحَيْنٰا إِلَيْكَ وَ هُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمٰنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَ إِلَيْهِ مَتٰابِ (٣٠) وَ لَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ اَلْجِبٰالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ اَلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ اَلْمَوْتىٰ بَلْ لِلّٰهِ اَلْأَمْرُ جَمِيعاً أَ فَلَمْ يَيْأَسِ اَلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشٰاءُ اَللّٰهُ لَهَدَى اَلنّٰاسَ جَمِيعاً وَ لاٰ يَزٰالُ اَلَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمٰا صَنَعُوا قٰارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيباً مِنْ دٰارِهِمْ حَتّٰى يَأْتِيَ وَعْدُ اَللّٰهِ إِنَّ اَللّٰهَ لاٰ يُخْلِفُ اَلْمِيعٰادَ (٣١) وَ لَقَدِ اُسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كٰانَ عِقٰابِ (٣٢) أَ فَمَنْ هُوَ قٰائِمٌ عَلىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمٰا كَسَبَتْ وَ جَعَلُوا لِلّٰهِ شُرَكٰاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمٰا لاٰ يَعْلَمُ فِي اَلْأَرْضِ أَمْ بِظٰاهِرٍ مِنَ اَلْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَ صُدُّوا عَنِ اَلسَّبِيلِ وَ مَنْ يُضْلِلِ اَللّٰهُ فَمٰا لَهُ مِنْ هٰادٍ (٣٣) لَهُمْ عَذٰابٌ فِي اَلْحَيٰاةِ اَلدُّنْيٰا وَ لَعَذٰابُ اَلْآخِرَةِ أَشَقُّ وَ مٰا لَهُمْ مِنَ اَللّٰهِ مِنْ وٰاقٍ (٣۴) مَثَلُ اَلْجَنَّةِ اَلَّتِي وُعِدَ اَلْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا اَلْأَنْهٰارُ أُكُلُهٰا دٰائِمٌ وَ ظِلُّهٰا تِلْكَ عُقْبَى اَلَّذِينَ اِتَّقَوْا وَ عُقْبَى اَلْكٰافِرِينَ اَلنّٰارُ (٣۵)

اللغه

٣٢[فأمليت]الإملاء التأخير.

ص:٣۴٠

للّه الأمر جميعا

هدى من الآيات:

ضمن آيات هـذا الدرس يذكرنا القرآن الحكيم بأن الهدى و الضـلاله من عنده إذا أرادها الإنسان لنفسه،و ان الرساله المحمديه هى امتـداد طبيعى لرسالاـت الأنبيـاء السابقين و مكمّله لها و مهيمنه عليها جميعا،و أن سـنن اللّه واحـده تطبق على سائر الأمم فى سائر الأجيال،فكما انطبقت على تلك الأمم هذه السنن كذلك تنطبق على هذه الامه.

و يذكرنا السـياق بأن أساس كفر الكفّار ليس برساله الرسول،بل بالرحمن،ثم بما يتفرع منه من رسالات الرحمن،فعلى الرسول أن يتوكل على اللّه لو كذّبوه،و لو أن اللّه استجاب لهم بطلبهم المزيد من الآيات لما زادهم ذلك الاّ عنادا و استكبارا،ثم هل هناك آيه أكبر من هـذا القرآن الـذى لو كان من المقـدر ان يسـير الجبال و يكلم الموتى لكان به و أكبر دليل على ذلك أن كثيرا من القوارع نزلت على من قبلهم أو قريبا منهم فلم يتّعظوا،و لو أنهم يريدون الهدايه بالآيات لاهتدوا بتلك القوارع

و اتّعظوا بها،فهذه الأمم أعطيت مهله كما أعطوا هم مثلها،فعاجلهم اللّه بالعقاب لما اختاروا الكفر على الأيمان.

و بعد ذلك يسأل:هل إن اللّه هو القائم على كل نفس بما كسبت من خير أو شرّ أم الشركاء؟!و هل الشركاء هم الذين ينبئون اللّه و يوحون اليه؟! ان مكرهم السيئات،و تزيين ذلك فى نفوسهم،و الصدّ عن سبيل اللّه كان السبب الرئيسى فى إضلال اللّه لهم،و من يضلّ اللّه فلن تجد له هاديا مرشدا،و أما نهايه هؤلاء فاما عذاب الدنيا و الآخره،أو عذاب فى الآخره،و أما نهايه المؤمنين فأحسن منهم مقاما و أفضل نديّا.

بينات من الآيات:

وَ هُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمٰنِ :

[٣٠] كَذٰلِكَ أَرْسَلْنٰاكَ فِى أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهٰا أُمَمٌ ان اللّه أرسل الرسول الى أمه سبقتها أمم جرت عليها السنن الإلهيه كما ستجرى على امه الرسول صلى الله عليه و آله أيضا،و هذه الآيه توضح الامتداد الطبيعى للبشريه، و أن فى البشريه خطّا متكاملا،و أن الأمم مهما اختلف زمانها و مكانها عن امه الرسول فهناك جامع مشترك بين سائر الأمم،و هى كما سبق ذكره محكومه بسنن واحده تجرى على الكل.

لِتَتْلُوَا عَلَيْهِمُ الَّذِى أَوْحَيْنٰا إِلَيْكَ الهدف من رساله الرسول ان يكون معبّرا عن حقيقه الرساله،و ان الرسول مهما تحمل من الجهد فهو مجرد تال لما نزل عليه،اى أن الرسول ليس صانعا للوحى،و انما يؤدى دور المرآه إذ يعكس الرساله الى أمته.

وَ هُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمٰنِ جذر كفرهم انما هو بالرحمن و ليس بك،و

قد جاء فى الدر المنثور عن ابن جريح فى قوله: وَ هُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمٰنِ قال:لما كاتب رسول صلى الله عليه و آله قريشا فى الحديبيه كتب بسم الله الرحمن الرحيم قالوا:لا نكتب الرحمن،و ما ندرى ما الرحمن؟! و ما نكتب الا باسمك اللهم(!)فانزل اللّه، وَ هُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمٰنِ .

قُلْ هُوَ رَبِّى لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ هذا هو الرحمن الذى يكفرون به،لا اله غيره،رب الأرباب،لا ندّ له و لا نظير.

عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ فى دعوتى إليكم مع تكذيبكم بى.

وَ إِلَيْهِ مَتٰابِ اليه بخوعى و انابتى.

حقيقه القرآن:

[۳۱] وَ لَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبٰالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتىٰ لما واجههم الرسول بعد طلبهم الآيات بالقرآن،و أكّد على انه المعجزه الكبرى تعللوا بأن هذا القرآن المعجزه لو سيّرت به الجبال من حولنا(حول مكه)حتى نستطيع أن نزرع،أو قطعت به الأرض كما كان سليمان يرسل الرياح فيقطّع بها

الأرض،أو كلم به الموتى،كما كان موسى و عيسى لكانوا يؤمنون به،و لكن لو أنزل اللّه مثل هذه الآيات،أ كانوا يؤمنون بها؟!و لكن قصدهم التعجيز و تحدى الرساله، فلن يرسل اللّه مثل هذه الآيات،و هذا القرآن له القدره على هذه الأشياء لو عرف الإنسان كيف يستغله، و قد قال اللّه سبحانه: لَوْ أَنْزَلْنٰا هٰذَا الْقُرْآنَ عَلىٰ جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خٰاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللّٰهِ .

بَلْ لِلّٰهِ الْأَمْرُ جَمِيعاً ان اللّه يستطيع ان ينزل هذا القرآن،و قد أنزله فعلا.

جواب«لو»فى الآيه وَ لَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ محذوف و تقديره أحد هذين المعنيين:

أولا:لما أفادهم.

ثانيا:لكان هذا القرآن.

و حسب نظرى ان كلا الجوابين صحيحان،فلو كان القرآن كذلك لم ينفعهم كون القرآن تسير به الجبال و تقطّع به الأرض و يكلّم به الموتى،و ثانيا:ان القرآن كذلك،و قد استطاع(كما أسلفنا)المؤمنون حقا الذين استوعبوا حقائق القرآن ان يستفيدوا منه هذه الفوائد.

اليأس من الإصلاح:

أَ فَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشٰاءُ اللّٰهُ لَهَدَى النّٰاسَ جَمِيعاً منع اللّه الآيات عنهم ليس سببا لضلالتهم،بل لأن اللّه لم يهدهم،فان اللّه لا يهدى الاّ من ينيب.

و اليأس هنا له معانی،فمن معانيه العلم،ای أَ فَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشاءُ اللّهُ لَهَدَی النّاسَ جَمِيعاً و هی لغه هوازن،و قال عضهم:ان اليأس معناه القنوط و شرّب معنی العلم فيكون المعنی: أَ فَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشاءُ اللّهُ لَهَدَی النّاسَ جَمِيعاً ،و ال بعضهم ان هناك باء محذوفه فيكون تقدير الكلام أَ فَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشاءُ اللّهُ لَهَدَی النّاسَ جَمِيعاً .

و فی الحقيقه فان هناك جامعا مشتركا لهذه الحقائق الثلاث-فمن جهه يجب أن ييأسوا من اهتداء هؤلاء،و يعلموا بأن هؤلاء لن يهتدوا،و بالتالی يجب أن يعلموا بأن اللّه لو يشاء لهدی الناس جميعا،فالمعنی واحد.

وَ لا يَزالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِما صَنَعُوا قارِعَهٌ «و لا يزال»تفيد الاستمراريه،و ربما تعبر هذه الكلمه عن تضمين معنی السنّه الدائمه،و ثانيا:ان الإنسان هو الذی يصنع مصيره بنفسه،فالعذاب هو نتيجه ما اقترفت اليدان من الذنوب،و القارعه هی الكارثه.

فهذه الكوارث الالهيه تصب و لا تزال تصب علی رؤوس الكافرين.

أَوْ تَحُلُّ قَرِيباً مِنْ دارِهِمْ فمكه مثلا لم تكن تصاب بالحروب أو بالزلازل،بل تنزل هذه المصائب فيما حولها،و لكن لم يتعظ الكافرون.

حَتّی يَأْتِیَ وَعْدُ اللّهِ هذه القوارع ما هی الا إرهاصات يصبّها اللّه عاجلا علی الكافرين،اما القارعه الحقيقيه فهی فی الآخره اَلْقارِعَهُ* مَا الْقارِعَهُ* وَ ما أَدْراكَ مَا الْقارِعَهُ* يَوْمَ يَكُونُ

النّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ* وَ تَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ (١-القارعه) إِنَّ اللّهَ لاٰ يُخْلِفُ الْمِيعٰادَ ان اللّه لن يخلف موعده مع الكفار بأن يأخذهم فى ذلك اليوم حيث لا يستقدمون عنه ساعه و لا يستأخرون.

فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا :

[٣٢]يسترسل القرآن فى الفكره التى بدأها فى بدايه هذا الدرس بتكذيب الأمم رسلها،و ان موقف الأمم عبره لمن ألقى السمع،و موقف الرسل عبره للرسول، فيقول اللّه سبحانه:

وَ لَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا كما ان إرسال الرسل سنه،فكذلك تكذيب الأمم سنه أيضا،و ليس التكذيب هو الأسلوب الوحيد للمواجهه،بل هناك أسلوب آخر يعتمده الكفار ضد الرسل و هو أشدّ أثرا بنفسيه الرسل الا و هو أسلوب الاستهزاء،و أسلوب الاستهزاء مجموع نوعين من أساليب الكفار،فلا يكون الاستهزاء الا بالتكذيب،و من ثم بالسخريه و الاستخفاف،و هناك فى زماننا الكثير ممن تركوا رسالتهم لأن الناس واجهوهم.

و الامهال و الاملاء هو من حكمه اللّه الماضيه على عبيده العاصين

جاء فى الحديث:

«كم من مستدرج بالإحسان اليه،و مغرور بالستر عليه،و مفتون بحسن القول فيه و ما ابتلى اللّه أحدا بمثل الاملاء له» (١)

١- ١) بح ٧٣ ص ٣٨٣ رقم ٨

و قد قال اللّه: وَ أَمْلِی لَهُمْ إِنَّ کَیْدِی مَتِینٌ (۱۸۳/الأعراف) ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَکَیْفَ کٰانَ عِقٰابِ ای کیف کان عقابی لهم؟!و هذا تعبیر عن الشده فی الأخذ،و هذه النتیجه السیئه لمن یکذب بالرسل و یستصغر شأنهم.

[۳۳] أَ فَمَنْ هُوَ قٰائِمٌ عَلیٰ کُلِّ نَفْسٍ القائم علی کل نفس:الحافظ لها،و قیل معناه:انه قائم علی کل نفس بالرزق،و ربما ما بعدها یحددها.

بِمٰا کَسَبَتْ بما عملت،فحکم نفسک لیس بیدک،و لا تستطیع نفسک ان تفلت من زمام التقدیر،فان اللّه لو ترکها لحظه لانتهت،و لما بقی لها من الوجود شیء،و اللّه لا یعصی عن غلبه،و أنت إن أعطیت التخییر فی الطاعه أو المعصیه،فأنت مسیر من قبل اللّه،و أکبر دلیل علی ذلک روحک و قلبک و سائر أعضاء جسمک التی تعمل و لو حدها و لا تدخلّ لک فی ایقافها أو عملها.

وَ جَعَلُوا لِلّٰهِ شُرَکٰاءَ أبعد ان أراهم اللّه الآیات فی القیمومه علی أنفسهم یشرکون باللّه سبحانه؟! و کیف یشرکون به و قد أراهم من عظیم الخلقه،و دقیق الصنعه.

قُلْ سَمُّوهُمْ ای اذکروهم،و لعلّ ذکر الاسم هنا لیس ذکر الاسم الذی یتسمون به،بل

یعنی اذکروا صـفاتهم،و معلوم ان کل شـیء یعکس اسما من أسماء اللّه.فالسماء تجل لاسم العلو و العظمه،و الشمس تجلّ لاسم الحکمه و القدره،فقد یکون قصد اللّه:اخبرونی عن تجلیات اسمائهم فی مصنوعاتهم.

أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمٰا لاٰ یَعْلَمُ فِی الْأَرْضِ ای بما لا یعلم له من شـرکاء،و عدم العلم هنا لیس معناه ان اللّه غیر عالم،بل عالم و لکن لا یعلم أن له شریکا،فلیس له شریک أبدا.

أَمْ بِظٰاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ الشرکاء هی مجرد ألفاظ تسمی من غیر واقع،فکلمه جلاله الملک لیس معنی ذلک ان الملک صار جلیلا،بل رضاه بهذا الاسم یعکس ذلّته.

تغیر المقاییس الفطریه:

بَـلْ زُیِّنَ لِلَّذِینَ کَفَرُوا مَکْرُهُمْ المکر هنا اقتراف العمل السـیء و المکر هو الفساد،قال تعالی: وَ کَذٰلِکَ جَعَلْنٰا فِی کُلِّ قَرْیَهٍ أَکٰابِرَ مُجْرِمِیهٰا لِیَمْکُرُوا فِیهٰا (۱۲۳/الانعـام) و لکن من الـذی زیّن المکر لهم؟ ان الشـیطان هو الـذی یزیّن لهم مکرهم کما قال: وَ زَیَّنَ لَهُمُ الشَّیْطٰانُ مٰا کٰانُوا یَعْمَلُونَ (۴۳/الانعـام) و فی آیـه أخری ینسـب اللّه لنفسه الـتزیین: إِنَّ الَّذِینَ لاٰ یُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَهِ زَیَّنّٰا لَهُمْ أَعْمٰالَهُمْ (۴/النمل)

و لا ـ منافاه فعنـد ما يغضب اللّه على إنسان يكله الى الشـيطان أو الى قرناء السوء فيكون تزيين اللّه لهم بأن يجعل لهم مزينين كما قـال: وَ قَيَّضْـنا لَهُمْ قُرَناءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ (۲۵/فصـلت) إذا فليحـذر الإنسان ان يزيّن له سوء عمله فيراه حسـنا،و عنـد ما يخضع للمزينين كالطواغيت مثلا فان مقاييسه الفطريه تتبدل و تصبح مقاييس عكسيه فالسوء عنده حسن،و الحسن عنده سيء.

وَ صُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ ليسوا هم الذين صدوا أنفسهم عن السبيل،كما أنهم ليسوا هم الذين زينوا لأنفسهم المكر انما الشيطان.

وَ مَنْ يُضْلِلِ اللّهُ فَما لَهُ مِنْ هادٍ ابتلوا هؤلاء بثلاث:

۱-زيّن لهم مكرهم.

۲-صدّوا عن السبيل.

۳-إضلال اللّه لهم.

نهايتان:

[۳۴] لَهُمْ عَذابٌ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَ لَعَذابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَ ما لَهُمْ مِنَ اللّهِ مِنْ واقٍ على الإنسان ان يسـتدل بعذاب الدنيا على عذاب الآخره مع ضرب هذا الرقم

ص:۳۵۰

بالملايين،و ان عـذاب الـدنيا يختلف شـكلا عن عـذاب الآخره،فقـد يكون عـذابهم فی الدنيا نفسـيا أو عذابا جسديا،و قد يكون كلاهما.

[۳۵] مَثَلُ الْجَنَّهِ الَّتِی وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ هذه صفتها..

أُكُلُها دائِمٌ وَ ظِلُّها أهل الجنه يأكلون أبدا.

تِلْكَ عُقْبَی الَّذِينَ اتَّقَوْا هذه نتيجه تقواهم.

وَ عُقْبَی الْكافِرِينَ النّارُ هذه معادله،فالكفر و التقوی يساويان تماما النار و الجنه.

ص:۳۵۱

[سوره الرعد (١٣): الآيات ٣۶ الی ٣٨]

اشاره

وَ اَلَّذِينَ آتَيْنٰاهُمُ اَلْكِتٰابَ يَفْرَحُونَ بِمٰا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَ مِنَ اَلْأَحْزٰابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمٰا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اَللّٰهَ وَ لاٰ أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ
أَدْعُوا وَ إِلَيْهِ مَآبِ (٣۶) وَ كَذٰلِكَ أَنْزَلْنٰاهُ حُكْماً عَرَبِيًّا وَ لَئِنِ اِتَّبَعْتَ أَهْوٰاءَهُمْ بَعْدَ مٰا جٰاءَكَ مِنَ اَلْعِلْمِ مٰا لَكَ مِنَ اَللّٰهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لاٰ
وٰاقٍ (٣٧) وَ لَقَدْ أَرْسَلْنٰا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ وَ جَعَلْنٰا لَهُمْ أَزْوٰاجاً وَ ذُرِّيَّةً وَ مٰا كٰانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاّٰ بِإِذْنِ اَللّٰهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتٰابٌ
(٣٨)

ص:٣۵٢

حكما عربيا

هدى من الآيات:

مواقف الناس من الكتاب ثلاثه.فاما مؤمن به كلّه،أو مؤمن به فى حدود مصلحته،أو كافر به،و بمناسبه الحديث عن أصناف الناس و اتجاهاتهم من الكتاب يحدثنا اللّه عن:ان القرآن عربى،و عروبه القرآن ليس تعصبا بربريا للعربيه فالقرآن عربى إلاّ أنه يخالف كل السخافات العربيه،و القرآن أيضا لا يتنازل عن قيمه مجارات للثقافه العربيه الشائعه آنذاك.

بينات من الآيات:

الايمان المصلحى:

سبق الحديث فى الدرس السابق،ان سبب الكفر بالرساله هو الكفر بالرحمن، فيعنى ذلك أن المؤمنين الصادقين بالقرآن يؤمنون بالرحمن و بالتالى فهم يطبقونه لأنه يجسد اراده اللّه و هداه.

ص:۳۵۳

[۳۶] وَ الَّذِینَ آتَیْنٰاهُمُ الْکِتٰابَ یَفْرَحُونَ بِمٰا أُنْزِلَ إِلَیْکَ تجسد هذه الآیه الحاله النفسیه التی تعتری المؤمنین من أهل الکتاب لدی نزول القرآن،لان نزول القرآن انتصار لهم،و تجسید لارادتهم،و یقول اللّه عنهم: وَ إِذٰا سَمِعُوا مٰا أُنْزِلَ إِلَی الرَّسُولِ تَریٰ أَعْیُنَهُمْ تَفِیضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمّٰا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ.یَقُولُونَ رَبَّنٰا آمَنّٰا فَاکْتُبْنٰا مَعَ الشّٰاهِدِینَ /۸۳المائده.

وَ مِنَ الْأَحْزٰابِ مَنْ یُنْکِرُ بَعْضَهُ و الأحزاب هم الیهود و المشرکون ممّن تحزبوا علی رسول اللّه صلی الله علیه و آله و قد قال اللّه سبحانه: لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النّٰاسِ عَدٰاوَةً لِلَّذِینَ آمَنُوا الْیَهُودَ وَ الَّذِینَ أَشْرَکُوا وَ لَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِینَ آمَنُوا الَّذِینَ قٰالُوا إِنّٰا نَصٰاریٰ ذٰلِکَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّیسِینَ وَ رُهْبٰاناً وَ أَنَّهُمْ لاٰ یَسْتَکْبِرُونَ /۸۲المائده.

الأحزاب هو جمع حزب،و لا یسمی اللّه المؤمنین مهما کانوا أو اختلفوا إلا حزبا واحدا لأنهم تجمعهم الأهداف و المنطلقات فهم متحدون فی کل شیء،اما الأحزاب (الجمع)فتطلق للأحزاب التی تعادی الرساله التی تختلف فیما بینها فی کل شیء الا معاداه الرساله،و عند ما یقول اللّه إِنَّ حِزْبَ الشَّیْطٰانِ فقد ذکر اللّه الصفه البارزه التی تجمع أحزاب الشیطان بأنها علی اختلاف مشاربها تتفق علی قاسم مشترک و هو اتباع الشیطان،مثل الشرق و الغرب یختلفون فی کل شیء الا فی استغلال العالم و نهب ثرواته.

هذه الأحزاب تحاول احتواء الرساله.تفضل الحل الوسط بعد معرفتها بصدق الرساله،و هی تأخذ من القرآن ما یحفظ لها مصالحها،و یدعم امتیازاتهم.

قُلْ إِنَّمٰا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللّٰهَ وَ لاٰ أُشْرِکَ بِهِ

انما يؤمن بالكتاب حقا من يؤمن بالله،فهناك تلازم بين الايمان بالكتاب و الايمان بالتوحيد.

إِلَيْهِ أَدْعُوا وَ إِلَيْهِ مَآبِ اليه دعوتى ان ضاقت بى المسالك،و اليه مآبى و رجوعى فى جميع أمورى و معادى.

الحقائق القرآنيه فى مواجهه الأهواء:

[۳۷] وَ كَذٰلِكَ أَنْزَلْنٰاهُ حُكْماً عَرَبِيًّا الحكم هو القضاء،و العربى:بمعنى الاعراب،و الاعراب هو الإفصاح،و ليس معنى قولنا:ان القرآن عربى انه يوافق العرب فى اعتقاداتهم.

وَ لَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوٰاءَهُمْ بَعْدَ مٰا جٰاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ اللغه عربيه و لكن المحتوى إلهى،و العربيه لغه و ليست مشرّعه،أما التشريع الالهى فهو علم،و العلم هو معرفه الحقائق و كشفها،و الأهواء شهوه عاجله.

مٰا لَكَ مِنَ اللّٰهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لاٰ وٰاقٍ اللّه ولى الـذين آمنوا كما قال و أن الكافرين لا مولى لهم،فلئن اتبع الرسول أهواء قومه سيفقد ولايه اللّه و من ثم لا ينصره،و عند ما يتخلى الرسول عن العلم إلى الهوى.آنئذ يعذّبه اللّه و لا يجد له من دونه واقيا،فاذا خالفك الناس سينصرك اللّه، و إذا خالفت اللّه متبعا أهواء الناس سيخذلك اللّه و لا تجد من دونه نصيرا.

حیاه الرسل و قدراتهم:

[۳۸] وَ لَقَدْ أَرْسَلْنٰا رُسُلاً مِنْ قَبْلِکَ وَ جَعَلْنٰا لَهُمْ أَزْوٰاجاً وَ ذُرِّیَّهً ان الأنبیاء بشر،تطرأ علیهم نفس العوامل التی تطرأ علی البشر،فهم یتزوّجون و ینجبون،فلیس الأنبیاء ممن یتعالون علی جنسهم.

وَ مٰا کٰانَ لِرَسُولٍ أَنْ یَأْتِیَ بِآیَهٍ إِلاّٰ بِإِذْنِ اللّٰهِ إن الرسول لا یملک بـذاته أمر الآیات،بل إن اللّٰه یظهرها متی شاء علی یـد نبیّه من دون ان یؤثّر فیها.

لِکُلِّ أَجَلٍ کِتٰابٌ کل شیء محدود بأجل.

ص:۳۵۶

[سوره الرعد (۱۳): الآیات ۳۹ الی ۴۳]

اشاره

یَمْحُوا اَللّٰهُ مٰا یَشٰاءُ وَ یُثْبِتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ اَلْکِتٰابِ (۳۹) وَ إِنْ مٰا نُرِیَنَّکَ بَعْضَ اَلَّذِی نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّیَنَّکَ فَإِنَّمٰا عَلَیْکَ اَلْبَلاٰغُ وَ عَلَیْنَا اَلْحِسٰابُ (۴۰) أَ وَ لَمْ یَرَوْا أَنّٰا نَأْتِی اَلْأَرْضَ نَنْقُصُهٰا مِنْ أَطْرٰافِهٰا وَ اَللّٰهُ یَحْکُمُ لاٰ مُعَقِّبَ لِحُکْمِهِ وَ هُوَ سَرِیعُ اَلْحِسٰابِ (۴۱) وَ قَدْ مَکَرَ اَلَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلّٰهِ اَلْمَکْرُ جَمِیعاً یَعْلَمُ مٰا تَکْسِبُ کُلُّ نَفْسٍ وَ سَیَعْلَمُ اَلْکُفّٰارُ لِمَنْ عُقْبَی اَلدّٰارِ (۴۲) وَ یَقُولُ اَلَّذِینَ کَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ کَفیٰ بِاللّٰهِ شَهِیداً بَیْنِی وَ بَیْنَکُمْ وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ اَلْکِتٰابِ (۴۳)

اللغه

۴۱[معقّب]التعقیب رد الشیء بعد فصله، و منه عقب العقاب علی صیده إذا ردّ الکرور علیه بعد فصله عنه.

ص:۳۵۷

الحتم و الممكن يمحو اللّه ما يشاء

هدى من الآيات:

فى هذا الدرس الأخير من سوره الرعد يذكرنا السياق القرآنى بأن الأمور بيد اللّه و ان إرادته مطلقه تتجاوز التقدير و السنن و انه يمحو ما يشاء و يثبت،و ثانيا:انه ليس على الرسول الاّ البلاغ و ان على اللّه الحساب،فان شاء نزّل العذاب على أولئك الكافرين و ان شاء اخّره.

اللّه مهيمن على الكون فهو الذى ينقص الأرض من أطرافها،و حكمه حكم حتم لا ينقضه أحد،و هو سريع الحساب،و إن اللّه لم يعص عن غلبه،و الذين مكروا السيئات يمكر اللّه بهم و هو خير الماكرين،و غدا حين يحشر الكفار سيعلمون لمن عقبى الدار،أما الذين يقولون بأن الرسول ليس مرسلا فان اللّه يرد عليهم عن لسان نبيه قُلْ كَفىٰ بِاللّٰهِ شَهِيداً... وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتٰابِ .

بينات من الآيات:

[۳۹]جوهر رسالات اللّه يتلخص فى ربوبيه اللّه،و هذه السوره تعمق هذه

ص:۳۵۸

الفكره،و هذه الفكره تشكل الفرق بين رسل اللّه و فلاسفه البشر،فرسل اللّه بشّروا بهذه الفكره،أما ما توصل اليه عقل هذا الإنسان العاجز،ان لهذا الكون خالقا خلقه ثم تركه يسير بالسنن،كمن يخلق ساعه الكترونيه و يتركها تسير ضمن قوانين محدده،و قد صاغ أحد فلاسفه البشر الملحدين هذه الفكره!! و عموما فان فلاسفه البشر ينبئنا عن إله ميت لا ولايه له و لا دعوه،بينما رسالات اللّه تنبؤنا عن إله حيّ قديم لم يزل و لا يزال،و توجد هناك صلتان نستطيع ان نتصل مع اللّه بهما.

أولا:الدعاء:

باستطاعتك ان تتصل بالله عبر الدعاء،و ان باستطاعتك ان تغير ما كتب عليك بسببه،فبالدعاء أنت قادر على تغيير الطبيعه،و تغيير القضاء المحتوم عليك.

ثانيا:صله العمل الصالح:

فلسفه البشر تقول ان اللّه قد كتب على الكون مقدراته،و انه لا ينفع شيء امام هذا التقدير،و هذه فلسفه القدريه الذين آمنوا بالحتميات،فصار عندهم كل شيء محتوم..إذا عملك الصالح لن ينفع أمام التقدير المحتّم،أما نحن فلا نؤمن بالحتميات(السياسيه و الاقتصاديه و الثقافيه و التربويه)نرى ان من الممكن تغيير كل حتميه،فصحيح أنّ هناك قوانين و سننا،و لكن الإنسان يعلو بإيمانه و عمله الصالح على هذه الانظمه و السنن ان اللّه أكبر من القوانين و السنن انه هو صاحب المشيئه المطلقه،و لا شيء محتم عليه،فهو يمحو ما يشاء و يثبت،و الإنسان الذى يتصل بالله يتصل بهذه المشيئه المطلقه التى لا حتميه عندها،أما إذا قلنا بأن القلم قد جفّ،و أن الأجل قد انتهى و أن القدر قد كتب فى الكتاب إذا فلا معنى للدعاء و العمل الصالح.قال تعالى:

ص:۳۵۹

يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَ يُثْبِتُ إذا كنت فى قائمه الأشقياء فباستطاعتك أن تكون من السعداء إذا اتصل قلبك بالله ذى الطول،قال اللّه: وَ إِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ (البقره/١٨٦) و قال: أُدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ (غافر/٦٠) فهو الذى أمرنا بالدعاء و ضمن لنا الاجابه.

وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ الكتاب لفظ يؤدى الى معنيين:المعنى الاول:هو اللوح المحفوظ،و المعنى الثانى:هو أم الكتاب،فأم الكتاب انعكاس لعلم اللّه بما كان و بما يكون،فالله عالم محيط علما بكل شىء،قبل و بعد أن يكون،و علم اللّه ليس علم الكشف،بل انه يتعدى الى المسببات و المؤثرات،لأنه صانعها،فعلم اللّه بالمسبب لا ينفى علمه بالسبب فأنا أعلم ان الصخره تسقط من علّ،فعلمى بالسقوط يسمى كشفا،و لكن لا يعنى ذلك أنى أنا المؤثر فى السقوط،فالمؤثر فى السقوط هى الجاذبيه.

تكشف هذه الآيه فكره البداء،و تعتبر هذه الفكره قطب الرحى فى الحكمه الاسلاميه و هى أكثر الأفكار تقدميه و حضاريه،و أكثر الأفكار تربيه للبشر،فالذى يعلم ان الأقدار بيد اللّه يكون أكثر تحركا،جاء فى الأحاديث:

١-

عن ابن مردويه و ابن عساكر-من أكبر علماء السنه-عن على بن أبى طالب أنه سأل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عن هذه الآيه،فقال:

«لأقرّن عينيك و لأقرّن عين أمتى بعدى بتفسيرها:الصدقه على وجهها يحول

الشقاء الى سعاده،و بر الوالدين يزيد فى العمر،و اصطناع المعروف يقى مصارع السوء. » ٢-

عن أبى عبداللّه عليه السلام قال:

«يمحو اللّه ما يشاء و يثبت»و قال:«و هل يمحى اللّه الا ـ ما كان ثابتا،و هل يثبت الاّ ما لم يكن. » من هذا الحديث نرى أنه لا حتميه فى الحياه،و أن الحياه فى حاله تطور،و هى ليست حياه استاتيكيه قائمه على نظم لا تتغير..كلا.

-٣

عن أبى جعفر الباقر عن فضيل بن يسار،قال:سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول:

«من الأـمور أمور محتومه كائنه لا محاله،و من الأمور أمور موقوفه عند اللّه،يقدّم فيها ما يشاء،و يثبت منها ما يشاء،لم يطلع على ذلك أحدا-يعنى الموقوفه- فأما ما جاءت به الرسل فهى كائنه،لا يكذب نفسه و لا نبيّه و لا ملائكته » ۴-

عن زراره عن أبى جعفر عليه السلام قال:كان على بن الحسين عليهما السلام يقول:

«لو لا آيه فى كتاب اللّه لحدثتكم بما كان و بما يكون الى يوم القيامه،فقلت له:أيّه آيه؟فقال:قال اللّه: يَمْحُوا اللّٰهُ مٰا يَشٰاءُ وَ يُثْبِتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتٰابِ .

[۴٠] وَ إِمّٰا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ من العذاب فى حياتك أو بعد موتك،و على ذلك فليحذر الكافرون و أعداء الرساله ان يصيبهم اللّه بعذاب من عنده ان هم تمادوا فى غيّهم،فاما يدركهم سراعا فينتقم اللّه لرسوله،أو يؤخرهم فيأخذهم أخذ عزيز مقتدر.

فَإِنَّما عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَ عَلَيْنَا الْحِسابُ لا يـد للرسول على قومه سوى تبليغ رساله اللّه،و على اللّه الحساب فى أن يأخذهم متى شاء،و لا يعنى ذلك أنه لا يسـتطيع ان يـدعو عليهم بالعذاب،أو أن اللّه لا يسـتجيب له،و أن اللّه إذا أراد أن يصب العذاب على قوم فلن يستطيع الأنبياء ردّه، كما لم يستطع نوح ان يرد العذاب عن ابنه.

[۴۱] أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُها مِنْ أَطْرافِها فقـد يكون نقص الأـرض من أطرافها باهلاك البشـر المكـذبين كما قال تعالى:

بَلْ مَتَّعْنا هؤُلاءِ وَ آباءَهُمْ حَتّى طالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَ فَلا يَرَوْنَ أَنّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُها مِنْ أَطْرافِها أَ فَهُمُ الْغالِبُونَ (۴۴/الأنبياء) و قد يكون بذهاب العلماء فاذا نقصوا أو قلّوا رزأت الرحمه(اى ولّت)عنهم، فالعلماء هم بمثابه الجبال الراسيات فى الأرض.

و هنا تفسير كونى يقال:أن الأرض آخذه فى التقلص،و ربما هذه الآيه تدل على ان الأرض مفلطحه من القطبين.

وَ اللّهُ يَحْكُمُ لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ان اللّه هو الحاكم الفعلى فى الحياه،و إذا أراد شيئا لن يتوانى ذلك الشـىء عن الاستجابه له،و إذا حكم بشىء فلن يستطيع أحد ان يغيّر حكمه سبحانه.

وَ هُوَ سَرِيعُ الْحِسابِ [۴۲] وَ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلّهِ الْمَكْرُ جَمِيعاً

قد يحسب الإنسان أنه قادر على شيء،فيجيبه اللّه:ان كنت تحاول المكر فأنا أشدّ منك مكرا لأن مكرى الاملاء و الامهال.

يَعْلَمُ مٰا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ من خير أو شر.

وَ سَيَعْلَمُ الْكُفّٰارُ لِمَنْ عُقْبَى الدّٰارِ سيعلمون حين لا ينفع العلم ان المؤمنين هم أصحاب الجنه.

كَفىٰ بِاللّٰهِ شَهِيداً:

[۴۳] وَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً يلخص اللّه مواقف الكفار من الرسالة،و ما يجب ان يكون عليه موقف الرسول، فالكفار يتهمون الرسول بأنه غير مرسل من اللّه،فما الرد الأفضل للرسول؟ قُلْ كَفىٰ بِاللّٰهِ شَهِيداً بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ و لأن اللّه هو الحق و قد شهد على الرساله،فلا يهم بعدها ان شهد الكفار أو لم يشهدوا أ ليس اللّه هو الشاهد الأكبر.

وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتٰابِ لكى يقرب اللّه فكره صدق الرسول للكفار فانه يعطيهم مقاييس يؤمنون بها، فما داموا هم بشر فإنهم سوف يؤمنون بالمقاييس البشريه،فهم ان كذبوا الرساله، فان هناك آخرين يحملون العلم يصدّقون الرسول،و من ظاهر هذه الآيه يتضح ان من عنده علم الكتاب هم اليهود و النصارى.

ص:۳۶۳

سوره إبراهيم

اشاره

ص:۳۶۵

بسم الله الرحمن الرحيم

أحاديث فی فضل السوره:

عن الإمام الحسین علیه السلام قال:

«من قرأ سوره إبراهیم و الحجر فی کلّ رکعتین جمیعا فی کلّ جمعه لم یصبه فقر و لا جنون و لا بلوی» مجمع البیان-ص ۳۰۱-ج ۶ و

عن النبی محمد صلی الله علیه و آله قال:

«من قرأ سوره إبراهیم و الحجر أعطی من الأجر عشر حسنات بعدد من عبد الأصنام و بعدد من لم یعبدها »

ص:۳۶۷

الإطار العام

سميت هـذه السوره باسم إبراهيم رمز التوحيـد،و محطم الأصـنام،لأنها تـدور حول رساله التوحيد التی یحملها الأنبیاء و یخلصون من أجلها.

و فيمـا يبـدو من سـياق دروس السوره أنهـا تـذكرنا بالجـانب الإلـهی من رساله الأنبياء،و كيف انهم يـذكّرون بالله،بل يجسـدون بـدعوتهم أعلی مثل للتوحيد،إذ لا يخشون أحدا الا اللّه،و هدفهم فقط نجاه البشـريه من ظلمات التقليد و الجهل و التبعيه الی نور العقل و الأيمان.

و قال العلامه الطباطبائی«رض»الكلام فی هذه السوره فيما يقتضـيه الصـفات الثلاث:توحده تعالی بالربوبيه و عزته،و كونه حميدا فی أفعاله،فليخف من عزته المطلقه،و ليشكر،و ليوثق بما وعده،و ليتذكر من آيات ربوبيته.

و يبدو ان سياق السوره يثير فينا الاحساس الفطری بالشكر للمنعم،و التذكره بان ابرز الشكر هو معرفه المنعم و التسليم له،و العمل بأهداف النعم النبيله.

ص:۳۶۹

[سوره إبراهيم (۱۴): الآيات ۱ الی ۵]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ . الر كِتٰابٌ أَنْزَلْنٰاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ اَلنّٰاسَ مِنَ اَلظُّلُمٰاتِ إِلَى اَلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلىٰ صِرٰاطِ اَلْعَزِيزِ اَلْحَمِيدِ (۱) اَللّٰهِ اَلَّذِى لَهُ مٰا فِى اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ مٰا فِى اَلْأَرْضِ وَ وَيْلٌ لِلْكٰافِرِينَ مِنْ عَذٰابٍ شَدِيدٍ (۲) اَلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ اَلْحَيٰاةَ اَلدُّنْيٰا عَلَى اَلْآخِرَهِ وَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اَللّٰهِ وَ يَبْغُونَهٰا عِوَجاً أُولٰئِكَ فِى ضَلاٰلٍ بَعِيدٍ (۳) وَ مٰا أَرْسَلْنٰا مِنْ رَسُولٍ إِلاّٰ بِلِسٰانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اَللّٰهُ مَنْ يَشٰاءُ وَ يَهْدِى مَنْ يَشٰاءُ وَ هُوَ اَلْعَزِيزُ اَلْحَكِيمُ (۴) وَ لَقَدْ أَرْسَلْنٰا مُوسىٰ بِآيٰاتِنٰا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ اَلظُّلُمٰاتِ إِلَى اَلنُّورِ وَ ذَكِّرْهُمْ بِأَيّٰامِ اَللّٰهِ إِنَّ فِى ذٰلِكَ لَآيٰاتٍ لِكُلِّ صَبّٰارٍ شَكُورٍ (۵)

اللغه

۳[يستحبون]:الاستحباب طلب المحبه بالتعرض لها،و المحبه اراده منافع المحبوب،و قد يستعمل بمعنى ميل الطباع.

ص:۳۷۰

۵[صبّار]:الصبار كثير الصبر.

مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ

هدى من الآيات:

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ باسم اللّه كانت دعوه الأنبياء..بها ابتدأت و بها صبغت،فاسم اللّه هو صفاته الحسنى التى تتجلى فى الجلال و الجمال،فى القوه و الروعه،فى الرحمه الواسعه المستمره،و اسم اللّه الرحمن الرحيم،هو النقطه المركزيه للإشعاع فى القلب و العقل و السلوك.

[۱]و الهدف من الرسالات و من كتاب اللّه الأخير«القرآن»إخراج الناس من الظلمات التى هم فيها الى النور النازل عليهم.

الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ أولا:الكتاب الذى يرمز اليه الألف و اللام و الراء،انزل من السماء، و انتقل الى الرسول دون ان يكون فيه أثر من شخصه.

ص:۳۷۲

ثانیا:إنه لجمیع الناس،و هذا دلیل انه جاء من أعلی،دون ان یخضع لحدود الزمان و المکان،و محددات الماده.

ثالثا:الظلمات هی الحاله الأولی التی کان البشر فیها علی حاله من العجز و النقص،و غلظه الروح،و انغلاق النفس و الجهل،و غلبه الشهوات،و بتعبیر آخر:

إنها حاله العدمیه المحیطه بالخلق من قبل أن یرشّ علیها ربنا من نوره،خلقا و إنشاء و قوه و علما.

و الرب الحمید الذی نفخ فی هذا الإنسان من نور الإیجاد ما أخرجه به من ظلمات العدم الی نور الخلق.هو الذی بعث بنور الرساله لیخرجه به من ظلام الجهل الی نور العقل و العلم،و من ظلام الجهاله و الجاهلیه و الفوضی الی نور التزکیه و التسلیم و النظام.

بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلیٰ صِرٰاطِ الْعَزِیزِ الْحَمِیدِ فلیس اللّه باعث النور فقط،بل هو الذی یرعاه أیضا لحظه بلحظه،و خطوه بخطوه،فلو لا تأییده لرسله لم یقدروا علی إنقاذ البشر من الظلام،و اشاعه النور فی حیاتهم.

و النور الإلهی هو الهدایه الی السبیل المؤدی الی اللّه العزیز،الذی قهر بقوته کل شیء،و الحمید الذی وسعت رحمته کل شیء،فلم یأخذ أحدا بقوته الا بعد ان أتم علیه حجته و أسبغ علیه من نعمه ظاهره و باطنه.

وَ وَیْلٌ لِلْکٰافِرِینَ مِنْ عَذٰابٍ شَدِیدٍ :

[۲]السماوات و الأرض لله،فمن أعز منه جانبا،و من هو أحق بالخوف منه و هو الذی لا یرحم الکافرین،بل یهددهم بعذاب شدید،و ویل و ثبور.

اَللّٰهِ الَّذِی لَهُ مٰا فِی السَّمٰاوٰاتِ وَ مٰا فِی الْأَرْضِ وَ وَیْلٌ لِلْکٰافِرِینَ مِنْ عَذٰابٍ شَدِیدٍ هذا صراط العزیز الذی أحاط بملکوته ما فی السموات و الأرض،و ینتقم بشده ممن یکفر به،أو یتنکب عن صراطه.

[۳]لا یجوز لنا نحن البشر ان نتکئ علی رحمه اللّه و ننسی عقابه،و نأمن من انتقامه،لان تجربتنا فی الحیاه کشفت لنا عن وجود الآلام و المآسی الی جانب البرکات و الرحمات،و لکن بالرغم من ذلک نجد البعض یغترون بالجانب المخملی من الدنیا.لأنهم یفضّلون العاجله علی الآخره.

اَلَّذِینَ یَسْتَحِبُّونَ الْحَیٰاهَ الدُّنْیٰا عَلَی الْآخِرَهِ فهم کالطفل لا ینظر ابعد من واقعه الحاضر،و لا یؤمنون الا باللحظه التی هم فیها.أما المستقبل و العاقبه،فهم یکفرون بهما،شأنهم شأن الأنعام.

و هذه الجاهلیه هی التی تدفعهم الی الکفر بما رواء حاضرهم المشهود من غیب معلوم.

و تراهم یصدون الآخرین عن سبیل اللّه،و لا یدعون الناس یؤمنون بالیوم الآخر،ربما من أجل ابتزازهم و استغلالهم،بل أکثر من هذا فهم یحتالون علی فکر الناس و یضلونهم بغیر علم،من أجل تحکیم سیطرتهم علی المستضعفین.

وَ یَصُدُّونَ عَنْ سَبِیلِ اللّٰهِ إن الکافر الذی حلیت الدنیا فی عینه،لا یردعه عن الشهوات و المصالح دین، فاذا علم ان مصالحه تتعارض و تعالیم الدین فسوف یعارضها،و إن وجد مقاومه من

قبل الملتزمين بالدين،فسّرها حسبما شاء كما تفعل الصحف اليوم،و قديما الأنظمه الفاسده التى تمنع انتشار الوعى الدينى الاّ أنها كانت تنشر الضلاله باسم الدين.

وَ يَبْغُونَهٰا عِوَجاً يريدون دينا يدعم مصالحهم،و يؤيد استغلالهم للناس.

أُولٰئِكَ فِي ضَلاٰلٍ بَعِيدٍ فهم يحسبون الدنيا خالده،و يزعمون ان اللذات العاجله كل شيء بالنسبه إليهم!كلا..أنها سبيلهم الى عذاب شديد.

إتمام الحجه:

[۴]كون ربنا عزيزا فانه حميد أيضا،لا يعذب الناس الاّ بعد ان يتم حجته عليهم.و لكن كيف؟قال تعالى:

وَ مٰا أَرْسَلْنٰا مِنْ رَسُولٍ إِلاّٰ بِلِسٰانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ بكل وضوح و بعبارات مفهومه و أمثله و قصص،لتذكر من أراد الآخره،و سعى لها سعيها فان اللّه يهديه إليها،و من اعرض عنها و استحب الدنيا،فان اللّه يضله.

فَيُضِلُّ اللّٰهُ مَنْ يَشٰاءُ وَ يَهْدِي مَنْ يَشٰاءُ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ فلا يضل أحدا أو يهديه الا بحكمته البالغه.

(۵)و التاريخ يشهد على هذه الحقيقه،فعند ما أرسل ربنا موسى بآياته التى تستجلى الفطره،و تبهر العقل،بعصاته و يده البيضاء،و أمره اللّه بان يذكرهم بأيام اللّه حين ينتصر المظلوم على الظالم فى الدنيا و الآخره،لعله يخرجهم بهذه التذكره من

ظلمات الإرهاب و العذاب و عباده الطاغوت الى نور الحريه و الرفاه و عباده الرحمن.

وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا مُوسىٰ بِآياتِنا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ وَ ذَكِّرْهُمْ بِأَيّامِ اللّٰهِ فجاء ذلك اليوم الـذى أغرق اللّه فيه فرعون و قومه سريعا،و أورث بنى إسرائيل أرضهم و ديارهم،و لكن لم يتم ذلك و لم يكن ليتم الا بالصبر و الشكر،و المزيد من تحمل الصعاب،و المزيد من العمل الذى يفتح العقل و يهدى به اللّه السبيل.

إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآياتٍ لِكُلِّ صَبّارٍ شَكُورٍ

ص:۳۷۶

[سوره إبراهيم (۱۴): الآيات ۶ الی ۱۲]

اشاره

وَ إِذْ قٰالَ مُوسىٰ لِقَوْمِهِ اُذْكُرُوا نِعْمَةَ اَللّٰهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجٰاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ اَلْعَذٰابِ وَ يُذَبِّحُونَ أَبْنٰاءَكُمْ وَ يَسْتَحْيُونَ
نِسٰاءَكُمْ وَ فِي ذٰلِكُمْ بَلاٰءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (۶) وَ إِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَ لَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذٰابِي لَشَدِيدٌ (۷) وَ قٰالَ
مُوسىٰ إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَ مَنْ فِي اَلْأَرْضِ جَمِيعاً فَإِنَّ اَللّٰهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ (۸) أَ لَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا اَلَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَ عٰادٍ وَ ثَمُودَ وَ
اَلَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لاٰ يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اَللّٰهُ جٰاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنٰاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوٰاهِهِمْ وَ قٰالُوا إِنّٰا كَفَرْنٰا بِمٰا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَ إِنّٰا لَفِي
شَكٍّ مِمّٰا تَدْعُونَنٰا إِلَيْهِ مُرِيبٍ (۹) قٰالَتْ رُسُلُهُمْ أَ فِي اَللّٰهِ شَكٌّ فٰاطِرِ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَ
يُؤَخِّرَكُمْ إِلىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى قٰالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلاّٰ بَشَرٌ مِثْلُنٰا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونٰا عَمّٰا كٰانَ يَعْبُدُ آبٰاؤُنٰا فَأْتُونٰا بِسُلْطٰانٍ مُبِينٍ (۱۰) قٰالَتْ لَهُمْ
رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلاّٰ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَ لٰكِنَّ اَللّٰهَ يَمُنُّ عَلىٰ مَنْ يَشٰاءُ مِنْ عِبٰادِهِ وَ مٰا كٰانَ لَنٰا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطٰانٍ إِلاّٰ بِإِذْنِ اَللّٰهِ وَ عَلَى اَللّٰهِ
فَلْيَتَوَكَّلِ اَلْمُؤْمِنُونَ (۱۱) وَ مٰا لَنٰا أَلاّٰ نَتَوَكَّلَ عَلَى اَللّٰهِ وَ قَدْ هَدٰانٰا سُبُلَنٰا وَ لَنَصْبِرَنَّ عَلىٰ مٰا آذَيْتُمُونٰا وَ عَلَى اَللّٰهِ فَلْيَتَوَكَّلِ اَلْمُتَوَكِّلُونَ
(۱۲)

اللغه

۹[مریب]:الریب أخبث الشک،و المریب المتهم و هو الذی یأتی بما فیه التهمه،یقال:أراب یریب إذا أتی بما یوجب الریبه.

ص:۳۷۸

طاعه الرسل..هدايه و نجاه

هدى من الآيات:

الصراط الذى يدعو اليه الرسل،هو صراط العزيز الحميد كما قال موسى لقومه:

بان يحمدوا ربهم بذكر نعمه النجاه من فرعون الذى كان يذيقهم سوء العذاب، فيقتل أبناءهم و يبقى نساءهم لخدمته،فكان ذلك امتحانا عسيرا من ربهم،و قد أعلن اللّه لهم ان لو شكروا لأكثر نعمه عليهم،و هذا مظهر اسم الحميد للّه،بينما لو كفروا لساقهم بعذاب شديد،و هذا مظهر اسم اللّه«العزيز».

و لان ربنا عزيز،فلو أن أهل الأرض جميعا كفروا به لم ينقصه شيء،لأنه الغنى الحميد.

فكما قال موسى،قال الرسل لاقوامهم فكفروا فأخذهم اللّه بعزته بعد أن أتم حجته عليهم،و نبأ ذلك ان الذين كانوا من قبل قوم موسى مثل قوم نوح و عاد و ثمود، و الذين من بعدهم أولئك قد نسيهم التاريخ فلا يعلم قصصهم الاّ اللّه،حيث

ص:۳۷۹

جاءتهم رسلهم بالحجج الواضحه فردّوا أيديهم فی أفواهم،و قالوا:إنا كفرنا بما أرسلتم به،و أنا لفی شك مما تدعونا اليه مريب،فقالت رسلهم:فيم تشكون أفی اللّه؟!و هو الذی لا شك فيه،و قد فطر السماوات و الأرض،يدعوكم ليغفر لكم بعض ذنوبكم،و يمنع عنكم الآثار السلبيه للذنوب علی حياتكم حتی ينتهی أجلكم الذی حدده اللّه لكم.

و لكنهم عاندوا،و قالوا:نعم لا شك فی اللّه،و لكنكم بشر مثلنا،ثم أنتم تدعوننا لمخالفه سيره آبائنا،و لا تملكون سلطانا مبينا،و حجه واضحه بما فيه الكفايه.

قالت رسلهم:أجل نحن بشر مثلكم و لكن اللّه منّ علينا برسالاته كما يفضّل بعض الناس بمنه علی بعض،و لذلك فنحن لا نملك من دون اللّه ميزه عليكم،و إذا كنا نملك سلطانا فمن اللّه و باذنه.

و قوه الرسل هی بتوكلهم علی اللّه،و بسلامه و وضوح رؤيتهم،و ان علی اللّه يتوكل المتوكلون.

بينات من الآيات:

اُذْكُرُوا نِعْمَةَ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ:

[۶]للعاده سلبيات سلوكيه،و الركون الی النعم عاده سلبيه إذ ينسی البشر أسبابها،و علينا مقاومه حاله الاطمئنان الساذج بهذه النعم عن طريق تذكر الأوضاع السابقه،و تذكر الذی غيّرها بأحسن منها و هو اللّه،و نتساءل أبدا كيف كنا،و لماذا أنجانا اللّه؟! و هكذا أمر موسی قومه بتذكر أيام استضعاف فرعون لهم،و كيف أنجاهم اللّه من عذابه.

وَ إِذْ قٰالَ مُوسىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَهَ اللّٰهِ عَلَيْكَمْ إِذْ أَنْجٰاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَمْ سُوءَ الْعَذٰابِ يسومونكم:أى يذيقونكم.

وَ يُذَبِّحُونَ أَبْنٰاءَكُمْ وَ يَسْتَحْيُونَ نِسٰاءَكُمْ وَ فِي ذٰلِكُمْ بَلاٰءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ أى أعظم امتحان لكم،و أصل البلاء هو إظهار الخفى،و فى الظروف الصعبه يستخرج البشر كنوز طاقاته،و يفجر مواهبه الفكريه و الجسديه.

لئن شكرتم و لئن كفرتم:

[۷]و تذكّر النعمه و من أنعم بها،أحد ابرز أنواع الشكر،و من عرف ان واهب النعمه هو اللّه،فسعى فى مرضاته لكى لا يسلبها عنه زاده،و هكذا أعلن ربنا ان الشكر يزيد النعمه.

وَ إِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ الزمان سيجرى لمصلحه الشاكرين،لأنهم يحتفظون بالعوامل التى أدت بهم الى النعمه من التوكل على اللّه،و السعى السليم و الوحده،و ادخار الثروه،و الاقتصاد فى الاستهلاك،و العداله فى التوزيع.

و إنّ هذا لهو الشكر العملى الواجب بعد الانتصار كما جاء فى آيه كريمه:

اِعْمَلُوا آلَ دٰاوُدَ شُكْراً وَ قَلِيلٌ مِنْ عِبٰادِيَ الشَّكُورُ و بالطبع سيكون تناسى النعمه، و ترك الخصائص الفكريه و السلوكيه التى رافقتها أو استوهبتها،هو الكفر بالنعمه الذى يسبب فى زوالها.

وَ لَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذٰابِي لَشَدِيدٌ

[۸]و قد يمن العاملون على ربهم أنهم يسعون فى مرضاته،و قد يزعمون أنهم لو تركوا ربهم لضارّوه سبحانه.

وَ قٰالَ مُوسىٰ إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً كفرا نظريا أو عمليا بترك الشكر،أو العوده الى جاهليتكم السوداء،فلن تضروا اللّه شيئا.

فَإِنَّ اللّٰهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ و غنى ربنا ليس بسرقه،أو بابتزاز حق،أو لأجل الفساد-سبحانه-كما هو غنى بعض الأغنياء،بل غناه حميد لأنه منه و من أجل خير العالمين،و هكذا ينبغي ان يكون الأغنياء.

و هكذا سعى موسى من أجل إخراج قومه من الظلمات الى النور قبل الانتصار على فرعون و بعده،أما قبل فعن طريق قياده نضال قومه،و أما بعده فبرفع معنوياتهم،و تزكيه نفوسهم لكى لا يفسدوا أو يبطروا بالنصر فيعود إليهم الظلام،أو يبتلوا بظلام جديد.

لَقَدْ كٰانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ :

[۹]و هكذا سعى الأنبياء السابقون على موسى..كم كان عددهم..لا يعلمهم الا اللّه،و لكن قصصهم واحده،و قد جرت ضمن الفصول التاليه:

ألف:جاؤا بالبينات الواضحه.

أَ لَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَ عٰادٍ وَ ثَمُودَ وَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لاٰ يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللّٰهُ جٰاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنٰاتِ

لقـد وفر اللّه للبشـر نور العقـل و هو يكفيه حجه بـأدنى تذكره.بيـد ان ربنا أتم حجته عليهم بالحجـج الواضـحه التى لا ينكرها الاّ المعاندون.

باء:أما الناس فقد ردوا أيديهم و وضـعوها فى أفواههم اشاره الى ضروره السكوت،كما يفعل من لا يريد الكلام فيجعل يده على فمه ليقول للآخر:افعل هكـذا و اسـكت،و هؤلاء لم يكتفوا بطلب السـكوت من الأنبياء بل أشاروا الى ذلك بأيـديهم أيضا توغلا فى العناد،و ليبقى عملهم شاهدا على أنهم أساسا لم يستمعوا الى القول فكيف بقوله.

فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوٰاهِهِمْ قـال بعضـهم:إن النـاس ردوا أيـدى الرسـل الى أفواه الرسل لإسـكاتهم أو ردوا أيـديهم هم الى أفواه الرسل لإسكاتهم.

وَ قٰالُوا إِنّٰا كَفَرْنٰا بِمٰا أُرْسِلْتُمْ بِهِ و كفرهم سبق شكهم.لأنهم قرّروا الكفر عنادا،ثم ارتابوا بعدئذ،كما

جاء فى الحديث:

«لاـ تجعلـوا علمكـم جهلاـو يقينكـم شـكا.إذا علمتـم فـاعملوا،و إذا أيقنتـم فاقـدموا » وَ إِنّٰا لَفِي شَـكٍّ مِمّٰا تَـدْعُونَنٰا إِلَيْهِ مُرِيبٍ [١٠]جيم:أما الرسل فقـد ربطوا بين رسالتهم و بين الـذى اوحى بها و هو اللّه،و بـدأوا من نقطه البدايه قائلين:أفى اللّه شك؟!فمن إذا خالق السماوات و الأرض و فاتقهما بعد ان كانتا رتقا؟!

قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَ فِي اللّٰهِ شَكٌّ فٰاطِرِ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ و ذا أنتفى الشك فى اللّه،فان كل شك و ريب آخر فى الرساله سيكون باطلا، لأنه هو الذى بعث بالرسل،و أظهر على أيديهم المعاجز.

دال:و بعد ان عالجوا المشكله العقليه عندهم بتذكرتهم بفاطر السموات و الأرض و بأنه لا شك فيه لأنه وجدانى.بعدئذ أخذوا يعالجون السبب الحقيقى لكفرهم و هو مشكلتهم النفسيه،و أثاروا فيهم حبهم لأنفسهم فقالوا:ربكم يدعوكم برسالاته لمصلحتكم.

يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ و لنا ان نتساءل:لماذا لا يغفر ربنا كل الذنوب؟ أولا:ان بعض الذنوب يأتى بها العبد تكبرا و عنادا،

ففى الحديث:

«قد يرى اللّه عبده على ذنب فيقول له:افعل ما شئت فانى لا أغفر لك أبدا » ثانيا:ان بقاء بعض الذنوب سيف مسلط على غرور البشر،و أمنه من كيد اللّه،و عجبه بذاته لكى يبقيه أبدا بين الخوف و الرجاء.

وَ يُؤَخِّرَكُمْ إِلىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى ذلك لان دعوه الأنبياء ليست من أجل إخلاد البشر فى نعم الدنيا التى لا تبقى،و هم لا يبقون لها،بل من أجل توفير الفرصه له ليستمر الى آخر اجله المحدد له سلفا،و الا تنزل عليه الكوارث فتبيده قبل حلول أجله.

قٰالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلاّٰ بَشَرٌ مِثْلُنٰا

و كيف نقبل بولايتكم علينا أم كيف يخصكم اللّه بالرساله من دوننا،و كان من ضعف ثقتهم بأنفسهم كبشر انهم لم يصدقوا أنفسهم ان يبعث اللّه إليهم بشرا رسولا.

هاء:ثم قالوا إنّ تعاليمكم مخالفه لتقاليدنا التى ورثناها من آبائنا و تعودنا عليها.

تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونا عَمّا كانَ يَعْبُدُ آباؤُنا واو:فطالبوهم بحجه أقوى من مجرد التذكره،بحجه ماديه مثل احياء الموتى و تفجير ينابيع الأرض ذهبا،و العروج الى السماء،ليضطروا الى الايمان،و لم يكتفوا بهدى عقولهم،و لم يقاوموا ضغط التقاليد بإراده التحرر منها لذلك قالوا:

فَأْتُونا بِسُلْطانٍ مُبِينٍ [۱۱]زاء:و اعترف الرسل بأنهم بشر،لا يتميزون عن غيرهم سوى الوحى الذى هو مضاف الى شخصياتهم،و ليس جزء منها.

قالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلاّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ و هذا التأكيد القرآنى جزء من دعوه الرسل،و دليل صدق على انهم لم يجعلوا الافتراء على اللّه وسيله للمكاسب الماديه،و لا يريدون ذلك و لا يسمح لهم ربهم بذلك أبدا.

وَ لكِنَّ اللّهَ يَمُنُّ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ بالرساله،و بقدر ما يمن اللّه يصبح الرسول عظيما،لذلك لا يملك الرسول قدره الإيتاء بالآيات الجديده حسب رغباته.

وَ مٰا كٰانَ لَنٰا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطٰانٍ إِلاّٰ بِإِذْنِ اللّٰهِ و الأهم من ذلك اننا نعتمد على اللّه فى تبليغ الرساله و حتى دعوتنا لكم ليست بقوانا الذاتيه،و لا بحسب قدراتنا الخاصه عند ما نقوم على أمر،بل بقوه اللّه و قدرته المطلقه.

وَ عَلَى اللّٰهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ [۱۲]التوكل على اللّه عند الأنبياء و المؤمنين بهم أصدق شاهد على انهم من قبل اللّه لماذا؟لما يلى:

أولا:حب الذات و الحفاظ على المصالح،فطره بشريه راسخه فى اعماق ذات كل إنسان،و لا يمكن لأحد الاّ لمجنون ان يعرض نفسه للخطر،لمجموعه أوهام و خرافات لا-تؤمن بها يمكن ان تكذب لتحصل على مصلحه أما ان تكذب لتحصل على صفعه،فمستحيل الا إذا كنت مجنونا.

ثانيا:يختلف الفرد الذى يتحرك فى الناس بقدراته الذاتيه عمن هو مدعوم من قبل قوه أخرى.فسلوك الموظف أو الشرطى أو الجاسوس أو المنتمى الى حزب قوى يختلف كثيرا عن سلوك الفرد العادى.و الرسل عليهم السلام كانوا يقدمون بلا حساب على المخاطر و هم واثقون بالنصر.أو ليس هذا دليل على أنهم قد بلغوا الحقيقه.و لذلك ربطوا بين التوكل الظاهر فى ابعاد حياتهم،و بين الهدى الذى رزقهم اللّه إياه،فهم عرفوا الحق و لذلك ضحّوا من أجله.

وَ مٰا لَنٰا أَلاّٰ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللّٰهِ وَ قَدْ هَدٰانٰا سُبُلَنٰا و كانوا يتحملون الصعاب فى طريق رسالتهم كدليل على انهم واثقون من طريقهم.

ص:۳۸۶

وَ لَنَصْبِرَنَّ عَلىٰ مٰا آذَيْتُمُونٰا وَ عَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ من شاء ان يعتمد على شىء فليعتمد على اللّه الذى لا يخيّب أمل من توكل عليه،فهو إذا حقيق بان يتوكّل عليه المتوكلون.

[سوره إبراهيم (۱۴): الآيات ۱۳ الی ۲۰]

اشاره

وَ قَالَ اَلَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِی مِلَّتِنَا فَأَوْحىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ اَلظّالِمِينَ (۱۳) وَ لَنُسْكِنَنَّكُمُ اَلْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذٰلِكَ لِمَنْ خافَ مَقامِی وَ خافَ وَعِيدِ (۱۴) وَ اِسْتَفْتَحُوا وَ خابَ كُلُّ جَبّارٍ عَنِيدٍ (۱۵) مِنْ وَرائِهِ جَهَنَّمُ وَ يُسْقىٰ مِنْ ماءٍ صَدِيدٍ (۱۶) يَتَجَرَّعُهُ وَ لا يَكادُ يُسِيغُهُ وَ يَأْتِيهِ اَلْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكانٍ وَ ما هُوَ بِمَيِّتٍ وَ مِنْ وَرائِهِ عَذابٌ غَلِيظٌ (۱۷) مَثَلُ اَلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمالُهُمْ كَرَمادٍ اِشْتَدَّتْ بِهِ اَلرِّيحُ فِی يَوْمٍ عاصِفٍ لا يَقْدِرُونَ مِمّا كَسَبُوا عَلىٰ شَيْءٍ ذٰلِكَ هُوَ اَلضَّلالُ اَلْبَعِيدُ (۱۸) أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اَللّٰهَ خَلَقَ اَلسَّماواتِ وَ اَلْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَ يَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (۱۹) وَ ما ذٰلِكَ عَلَى اَللّٰهِ بِعَزِيزٍ (۲۰)

اللغه

۱۵[و استفتحوا]:الاستفتاح طلب الفتح بالنصر.

۱۶[صديد]:الصديد القيح يسيل من الجرح،و انما سمی صديدا لأنه يصد حتی لا يسيل.

۱۷[يتجرعه]:التجرع تناول المشروب جرعه جرعه علی الاستمرار.

[يسيغه]:الاساغه اجراء الشراب فی الحلق،يقال ساغ الشیء و أسغته انا.

ص:۳۸۸

۱۸[اشتدت]:الاشتداد الاسراع بالحركه على عظم القوه.

[عاصف]:شديد الريح،و العصف شده الريح.

ص:۳۸۹

و خاب كل جبّار عنيد

هدى من الآيات:

تطور الصراع،و تجسد عناد الكفار في إرهاب أهوج،و هددوا رسلهم بالإخراج، إذا لم يخضعوا لباطلهم،و أعلمهم ربهم ان الفريق الظالم هو الهالك،و ان الفريق الآخر سوف يسكن الأرض موعدا بنصر اللّه له بسبب خوفه من اللّه و من وعيده.

و كانت محاولات الكفار للفتح تبوء بالفشل،لأنهم تجبروا في الأرض،و علوا فيها بغير حق،كما وقفوا ضد الحق.

و في الآخره،تنتظرهم جهنم التي تسقى نازلها بماء هو القيح،يشر به جرعه جرعه دون ان يقدر على اساغته،و ابتلاعه بينما تحيط به أسباب الموت،لو كان في تلك الدار شيء أسمه الموت،بل يستمر معه عذاب غليظ متكاثف موجه بعد موجه.

أما أعمالهم فهي كالرماد حين تهب عليها ريح شديده العصف،أنهم لا يقدرون على الحصول مما كسبوا على شيء..أو ليس هذا ضلالا بعيدا؟!

نعم..لان خلقه السماوات و الأرض قائمه على أساس الحق،و الضلاله باطله و لذلك فهى لا مكان لها فى الكون.

ثم أنّ اللّه هو المهيمن على السماوات و الأرض،فان يشأ يذهب بهم و يأت بخلق جديد.دون ان يكون ذلك عليه عزيزا.أجل و لذلك لا معنى للتجبر و العناد.

بينات من الآيات:

لَنُهْلِكَنَّ الظّالِمِينَ :

[۱۳]تطور الصراع الى التهديد المباشر للرسل.

وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنا أى فى ديننا الذين نميل اليه،و هكذا أظهروا طبيعتهم الارهابيه،و عبادتهم للقوه مقام الحق.

و حين لا ينفع القول الحق و يعاند الكافر،يستخدم أصحاب الحق القوه لردع الباطل،و لأن الرسل لا يعتمدون على قواهم الذاتيه فى مواجهه عناد الكفار،بعد ان صبروا على أذاهم بل على ربهم.لذلك لم يتركهم ربهم طويلا.بل أوحى إليهم بكل وضوح أنه سيهلك بالتأكيد الظالمين.

فَأَوْحى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظّالِمِينَ و هذه سنه اللّه مع الرسل و الرساليين جميعا،أنه يتركهم يواجهون عدوهم بصبرهم و إرادتهم حتى يجربهم،و لكن إذا حانت ساعه المواجهه الجديه،فان نصره يهبط عليهم بردا و سلاما.

[۱۴]و بشرهم اللّه بأنه مع هلاك الظالمين ينزل الرفاه و الرحمه لهم.

وَ لَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ و لكن ليس جميع الناس يثقون بالكلام الـذى فيه إنـذار و بشاره،بل فقط الذين يخشون ربهم،و يتذكرون مقامه،و مقامتهم أمامه للشهاده.

و لا يستمر النصر الا باستمرار أسبابه،و هو الخوف من مقام اللّه و سمو جلاله، و الخشيه من وعيده و إنذاره.

ذٰلِكَ لِمَنْ خٰافَ مَقٰامِي وَ خٰافَ وَعِيدِ [۱۵]و بثمن الخضوع التام لله،دفع اللّه إليهم هديه النصر،كما ان أعداءهم خابت ظنونهم و آمالهم و ذهبت جهودهم سدى بسبب عنادهم،و كلما طلبوا الفتح أملا و عملا.

وَ اسْتَفْتَحُوا وَ خٰابَ كُلُّ جَبّٰارٍ عَنِيدٍ التجبر طلب علو المنزله بما ليس له غايه فى الوصف،و إذا وصف العبد بأنه جبار كان ذما،لأنه طلب للعلو لا لهدف بل للتعالى،و لإشباع نهم الاستعلاء بحق أو بغير حق،و هذا هو معنى العنيد،و هو الامتناع عن الحق باستمرار.

[۱۶]و اللّه يقابل عناد هؤلاء بجهنم تلهب أكبادهم عطشا،و لا يسقون الاّ بماء كالقيح الذى يصدر من الجروح المتعفنه.

مِنْ وَرٰائِهِ جَهَنَّمُ وَ يُسْقىٰ مِنْ مٰاءٍ صَدِيدٍ و قد يكون هذا القيح هو لعاب ألسنتهم المعانده،التى لا تنطق الا بالباطل.

[۱۷]و هم يشربون الجرعه بعد الجرعه دون ان يجرى ذلك فى مريئهم بسهوله، و لكنهم يحاولون ذلك بسبب عطشهم الملتهب.

ص:۳۹۲

يَتَجَرَّعُهُ وَ لاٰ يَكٰادُ يُسِيغُهُ وَ يَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكٰانٍ وَ مٰا هُوَ بِمَيِّتٍ ذلك أن الموت ينعدم فى الدار الآخره.

وَ مِنْ وَرٰائِهِ عَذٰابٌ غَلِيظٌ أى امامه عذاب كثيف.

المنهج الالهى حصن الحضاره:

[۱۸]و أعمال هؤلاء تذهب عبثا،لأنها لا تجرى مع سنن اللّه فى الأرض، كمثل الذى يحث الخطى بعد أن ضل الطريق و تاه فى الصحراء،فهل يبلغ هدفه؟! مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمٰالُهُمْ كَرَمٰادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عٰاصِفٍ اى يوم اشتدت الرياح فيه عصفا،منذ بدايته الى نهايته،ان الرماد ينبث فى الفضاء بسبب عدم استقراره على أساس ثابت،و عدم وجوده فى حصن منيع،كذلك العمل الذى لا ينبعث من أرض الأيمان الصادق،و لا يحصّنه المنهاج السماوى.

لاٰ يَقْدِرُونَ مِمّٰا كَسَبُوا عَلىٰ شَيْءٍ بالرغم من ان أساس الكون قائم على ان للإنسان ما سعى،و لكن السعى الذى يتبع الهوى،و يخضع لضغط الطبيعه،و لشهوات الناس يكون كالرماد الذى تشتد به الريح لتجد كل جزء منه فى اتجاه بينما السعى الذى يستقيم فى الخط الصاعد، يستمر.

ذٰلِكَ هُوَ الضَّلاٰلُ الْبَعِيدُ الذى لا ينفعه الكسب،و هو أفضل ثمرات العمر.

ص:۳۹۳

[۱۹]و السؤال:لماذا لا تقدّر عداله اللّه،مكاسب هذا الفريق من البشر؟ ذلک لأن اللّه قد بنى السماء و الأرض على أساس سنن و انظمه و مناهج و سبل سماها جميعا بالحق،فمن عرفها و سخّرها قدر على ما أكتسب،و من تحداها بهواه و بضلالته لم يقدر على شیء مما كسب.

أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللّٰهَ خَلَقَ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ كل شیء خاضع لسنه و نظام لا يمكن تجاوزه و لا تسخيره الاّ عبر ذلک النظام، و من الأنظمه ما هو واضح كالجاذبيه و قوانين الفيزياء و الكيمياء و الاجتماع،و من الحق ما هو غامض و يذكر به الشرع مثل آثار الصلاه و الزكاه و الإرث و ما أشبه.

و أنک لا بد ان تخضع لهذه الانظمه،و تأتی الحياه من بابها لتسخرها..أ ليس كذلک،فانک لا تسخر الحياه بالتجبر و العناد،و باتباع اهوائک المتغيره،و بالخضوع لضغوط الشهوات.

انک محكوم فی هذا الكون،و ليس بحاكم و لا بد ان تعترف بهذه الحقيقه،و أبرز شواهد حاكميه اللّه عليک أنه إذا شاء أذهبک و جاء بخلق جديد.أیّ حاكم أنت الذی لا تملک نفسک؟!فلما ذا العناد،و لماذا التجبر؟! إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَ يَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ [۲۰]و يفعل ذلک كله دون ان تقدر على شیء.

وَ مٰا ذٰلِکَ عَلَى اللّٰهِ بِعَزِيزٍ ليس بصعب..فأنت لو تجبرت سوف تصبح أهون هالک لا يسأل عنک أحد، و لا تتعب من يهلکک بشیء سبحانه.

[سوره إبراهيم (۱۴): الآيات ۲۱ الى ۲۷]

اشاره

وَ بَرَزُوا لِلّٰهِ جَمِيعاً فَقٰالَ اَلضُّعَفٰاءُ لِلَّذِينَ اِسْتَكْبَرُوا إِنّٰا كُنّٰا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنّٰا مِنْ عَذٰابِ اَللّٰهِ مِنْ شَيْءٍ قٰالُوا لَوْ هَدٰانَا اَللّٰهُ لَهَدَيْنٰاكُمْ سَوٰاءٌ عَلَيْنٰا أَ جَزِعْنٰا أَمْ صَبَرْنٰا مٰا لَنٰا مِنْ مَحِيصٍ (۲۱) وَ قٰالَ اَلشَّيْطٰانُ لَمّٰا قُضِيَ اَلْأَمْرُ إِنَّ اَللّٰهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ اَلْحَقِّ وَ وَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَ مٰا كٰانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطٰانٍ إِلاّٰ أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاٰ تَلُومُونِي وَ لُومُوا أَنْفُسَكُمْ مٰا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَ مٰا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمٰا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ اَلظّٰالِمِينَ لَهُمْ عَذٰابٌ أَلِيمٌ (۲۲) وَ أُدْخِلَ اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا اَلصّٰالِحٰاتِ جَنّٰاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا اَلْأَنْهٰارُ خٰالِدِينَ فِيهٰا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهٰا سَلاٰمٌ (۲۳) أَ لَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اَللّٰهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهٰا ثٰابِتٌ وَ فَرْعُهٰا فِي اَلسَّمٰاءِ (۲۴) تُؤْتِي أُكُلَهٰا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهٰا وَ يَضْرِبُ اَللّٰهُ اَلْأَمْثٰالَ لِلنّٰاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (۲۵) وَ مَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اُجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ اَلْأَرْضِ مٰا لَهٰا مِنْ قَرٰارٍ (۲۶) يُثَبِّتُ اَللّٰهُ اَلَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ اَلثّٰابِتِ فِي اَلْحَيٰاةِ اَلدُّنْيٰا وَ فِي اَلْآخِرَةِ وَ يُضِلُّ اَللّٰهُ اَلظّٰالِمِينَ وَ يَفْعَلُ اَللّٰهُ مٰا يَشٰاءُ (۲۷)

اللغه

۲۱[برزوا]:البروز خروج الشيء عما كان ملتبسا به الى حيث يقع عليه الحس،يقال برز للقتال إذا ظهر له.

[تبعا]:التبع جمع تابع كالغيب جمع غائب.

[مغنون]:اغنى عنه اى دفع عنه فأغناه،اى نفى الحاجه عنه بما فيه كفايته.

[اجزعنا]:الجزع انزعاج النفس بورود ما يغم و نقيضه الصبر.

[محيص]:منجى و مهرب.

۲۲[بمصرخکم]:الاصراخ الاغاثه بإجابه الصارخ،و یقال استصرخنی فلان فاصرخته ای استغاث بی فأغثته.

۲۶[اجتثّت]:الاجتثاث اقتلاع الشیء من أصله،یقال جثه و اجتثه و الجثه أخذت منه.

ص:۳۹۶

فَلاٰ تَلُومُونِی وَ لُومُوا أَنْفُسَکُمْ

هدی من الآیات:

ذکّرنا الدرس الذی مضـی بان أعمال الکفار کالرماد تبذه الریح العاصـفه،و لا یحصـلون مما کسبوا علی شیء،و فی هذا الدرس یـذکّرنا سـبب ذلـک،کما یبین ما یعاکسه من ثبات عمل المؤمنین.و نتساءل کیف و لماذا؟ ان الکفار یعتمـدون علی الطاغوت و الجبت،و همـا غیر مهتـدین و لاـ واثقین من أنفسـهما،فالطـاغوت المتمثـل فی المسـتکبرین یتبرءون یوم القیـام عمن اتبعهم،و إذا سألوهم أنا کنا تبعا لکم فهل أنتم تحملون عنا شیئا من العذاب؟أجابوا:کلا..

لأننا ضالون مثلکم،و ثانیا..لأننا بدورنا لا ندفع العذاب عن أنفسـنا،أما الجبت المتجسد فی الشیطان فانه یأتی یوم القیامه،و یشمت بمن أتبعه و یقـول لهم:ان اللّه وعـدکم حقـا و وعـدتکم باطلاـو لم أکن أسـتطیع اجبـارکم علی اتبـاعی أنمـا أنتم اسـتجبتم لی بحریتکم،فاللوم علیکم و لیس علیّ،ثم یقول لهم:لا أنتم تنقـذونی من العـذاب و لا أنا أنقذکم،و أنی الآن أتبرئ من شـرککم،و أعلن ان الظالمین لهم

ص:۳۹۷

عذاب أليم بعكس و عودى السابقه.

هكذا خابت ظنونهم..أما المؤمنون فإنهم أدخلوا جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها بإذن اللّه،و هم يسلّمون على بعضهم بعكس ما يجرى فى جهنم من صراع،فسبب ثبات أعمال المؤمنين ان اللّه يثبتها،و مثلها مثل شجره طيبه أصلها ثابت و فرعها فى السماء،و أكلها دائم،بينما الكلمه الخبيثه و العقيده الفاسده مثلها مثل شجره خبيثه ليس لها أصل و لا قرار،و هكذا يحصن اللّه أعمال المؤمنين بالعقيده الصالحه و الثواب،بينما يضل الظالمين،و هو قاهر فوق عباده يفعل ما يشاء دون أن يسأل عما يفعل و هم يسألون.

بينات من الآيات:

حوار الضعفاء مع الذين استكبروا:

[۲۱]حين يتبع الإنسان الحق يكون اللّه ضامنا لعمله،أما حين يتبع إنسانا مستكبرا تجبّر عليه زورا و بهتانا،فما الذى يضمن عمله،يوم يأتى المستكبر هو و المستضعف ليقفان أمام اللّه فى صف واحد.

وَ بَرَزُوا لِلّٰهِ جَمِيعاً فَقٰالَ الضُّعَفٰاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا أىّ للأقوياء ممن استكبروا،و اعتبروا أنفسهم أكبر من الناس.

إِنّٰا كُنّٰا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنّٰا مِنْ عَذٰابِ اللّٰهِ مِنْ شَيْءٍ فهل هم ضامنون لعملهم؟و هنا ليس فقط يعترف المستكبرون بضلالتهم،بل و بان استكبارهم كان غلطه العمر بالنسبه إليهم.

قٰالُوا لَوْ هَدٰانَا اللّٰهُ لَهَدَيْنٰاكُمْ سَوٰاءٌ عَلَيْنٰا أَ جَزِعْنٰا أَمْ صَبَرْنٰا مٰا لَنٰا مِنْ

مَحِيصٍ فلا مجال للزحزحه عن عذاب اللّه.

[۲۲]أما الشيطان الذى هو النداء الداخلى الذى يوسوس للقلب،فيتبعه الإنسان،و هو الذى دلّى أبانا آدم بغرور فأخرجه من الجنه،و هو بالتالى إبليس الذى تمرد على اللّه و استكبر،و عزم على خداع البشر،انه هو الآخر اخلف وعده، و كان من قبل يزعم انه قوى،و انه سوف يغيث الذين يتبعونه،فها هو يشمت بمن يتبعه.

وَ قَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللّٰهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ الذى له من العقل و العلم على صدقه شواهد و حجج.

وَ وَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ و وعود الشيطان أمانى و أحلام تتناسب و شهوات الفرد،و هى تشبه التبريرات الثقافيه التى ترتاح إليها النفوس الكسوله و الأمم المتخلفه مثل انتظار المستقبل بلا سعى يصنعه،و إلقاء المسؤوليه على عاتق الزمن،أو لا أقل على كاهل الآخرين أموات أو أحياء.

وَ مَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلاَّ أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَ لُومُوا أَنْفُسَكُمْ إن جذر التبريرات التى يلقيها الشيطان الرجيم فى فؤاد الإنسان هو اشعاره بأنه مكره على أفعاله،و ان قضاء حتميا يفرض عليه هذا العمل أو ذاك و ذلك بتهويل الأشياء و الأحداث و الأشخاص عنده،و تصغير نفسه أمامها و تحجيم دور الإراده

عنده،مثلا يقول له:ان تغير سيره الآباء مستحيل،أو ان تغيير الأوضاع السياسيه أو الاقتصاديه أمر لا نقدر عليه،أو ان مخالفه هذا الأمير و ذلک المستکبر غير ممکنه، أو يقول له:کيف تقوم الحطبه و قد عملت فيها السنون ما عملت،و کيف تغير الزمان و قد أفسده السلطان،و ما أنت و ماذا عسى أن تفعل.

و في يوم القيامه يعترف الشيطان،بأنه کان خادعا في قوله هذا،و ان اراده الإنسان هي التي تصنع واقعه،و انه لا حول و لا قوه له،فلا يغيث و لا يغاث.

مٰا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَ مٰا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ فلا أنا أغيثکم و لا أنتم.

إِنِّي كَفَرْتُ بِمٰا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ و حقيقه الإشراک هو ان تعتقد ان أحدا أو شيئا غير اللّه إله لا يغلب.کلا..بل کل شيء خاضع للّه،و لمن يتوکل.

إِنَّ الظّٰالِمِينَ لَهُمْ عَذٰابٌ أَلِيمٌ إذا کان جذر التبريرات سلب اراده البشر،و تهويل ما دونه في عينه،فان العنوان الظاهر لکل التبريرات هو سلب مسئوليه الفرد عن جرائمه،لذلک أکد الشيطان في يوم القيامه ان للظالمين عذابا أليما،فهم لا يستطيعون ان يهربوا من مسئولياتهم أبدا.

و ادخل الذين آمنوا الجنات:

[۲۳]أما المؤمنون فان ربهم ضمن لهم جزاء أعمالهم الصالحه،و قد صدقوا وعد بعضهم،فتراهم يحبون بعضهم بسلام بعکس أولئک الذين تنابزوا بالألقاب و تبرؤوا

من بعضهم.

وَ أُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ فخلودهم لا يجعلهم آلهه،لأنه خلود قائم على اذن ربهم،و اللّه وعد بذلك فلن يخلف الميعاد.

تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ

كلمه طيبه و كلمه خبيثه:

[۲۴]لماذا تشتد الريح بما كسبه الكافرون؟ لأنه لا يعتمد على أساس راسخ الجذور.

حين تكون عقيده الفرد قائمه على أساس العلم،و تكون إرادته ضمانه لتلك العقيده ضد ضغوط الهوى و المجتمع،حينها يكون قول الفتى ثابتا على الحق،لا يغيره إرهاب أو ترغيب أو عسر أو حرج،فانه يكون مثل الشجره المفيده التى ضربت بجذورها فى تخوم الأرض،و انتشرت فروعها فى عرض السماء.

أَ لَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّٰهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَ فَرْعُهَا فِی السَّمٰاءِ [۲۵]و لأن العقيده الثابته،قويه الجذور،و يتعهدها الفرد بكل طاقاته،فهى ستكون كثيره الثمار من أعمال صالحه،و أقوال طيبه،و سلوك حسن.

تُؤْتِی أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ

ص:۴۰۱

كلّ وقت.

بِإِذْنِ رَبِّها بالتوكل على اللّه.

وَ يَضْرِبُ اللّهُ الْأَمْثالَ لِلنّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ فعن طريق تشبيه الشؤون البشريه بالطبيعه المخلوقه قد يصل العقل الى كنه الحقائق.

و سواء كانت هذه الشجره نخله أو شجره وهميه أو شجره مجهوله أو حتى كان المراد بها الشجره الطيبه للنبى صلّى اللّه عليه و آله و سلم،و أهل بيته الطاهرين كما جاء فى روايات كثيره،فان الهدف معرفه الأمر الحاسم لثبات العقيده الصادقه فى طيب عطاء الفرد و كثرته.

[۲۶]أما الكلمه الخبيثه التى تعنى تلك النفس التى لا تعتمد على أصل العقيده الراسخه،فان مثلها كمثل شجره خبيثه ليس لها قرار فى الأرض،و لا ثمر.

وَ مَثَلُ كَلِمَهٍ خَبِيثَهٍ الكلمه فى القرآن تشير الى محتواها و ليس لفظها،كما ان كلمه اللّه(كن فيكون)اشاره الى إرادته العليا،و عيسى كان تجسيدا لكلمه(كن فيكون)لذلك سمى بكلمه اللّه.

فالكلمه الخبيثه:هى الفكره الخبيثه الباطله،التى تعبر عنها الكلمه و هى كما يشير اليه السياق القادم-ان يجعل للّه أندادا ليضلوا عن سبيل اللّه-.

ص:۴۰۲

كَشَجَرَهٍ خَبِيثَهٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مٰا لَهٰا مِنْ قَرٰارٍ و تشبه هذه الشجره التجمعات القبليه أو الحزبيه الضاله،كبنى أميه فى التاريخ و مثل حزب البعث اليوم.

القول الثابت:

[۲۷]الكلمه الطيبه:هى كلمه التوحيد التى يثبت اللّه عليها المؤمنين و يجعلهم فى حصنه حتى لا تزلزلهم عواطف الشهوات،و لا تزيلهم عواصف الضغوط،فلا ترغيب الأغنياء المترفهين،و لا إرهاب المستكبره قادر على ان يزحزحهم عن مواقفهم الثابته فى الدفاع عن حقوقهم و عن كرامتهم.

يُثَبِّتُ اللّٰهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثّٰابِتِ فِى الْحَيٰاهِ الدُّنْيٰا وَ فِى الْآخِرَهِ لذلك

جاء فى الحديث:

«كلمه لا اله الاّ اللّه حصنى،فمن دخل حصنى أمن من عذابى » و

جاء فى الدعاء:

«بسم اللّه كلمه المعتصمين و أمان المتحرزين » ان النفس البشريه خلقت من ضعف،و ان الشيطان،و دواعى الهوى،و مشاكل الحياه قد تتراكم ضغوطها عليها،و لو لا الأيمان بالله،و تذكر انه الرقيب الشاهد عليها،و الثقه بوعده و بنصره،و التوكل على قوته فى مواجهه بطش الطغاه،و كيد الماكرين إذا لانهارت النفس.لذلك يكرر المؤمنون هذا الدعاء:«اللهم أعنى على نفسى بما تعين الصالحين على أنفسهم».

أما الظالم الـذى يعتدى على حقوق الآخرين،و يبنى ضـرورات حياته و عيشه على البغى فان بقايا النور فى قلبه تسـلب منه و كلما توغل فى سبيل السعى كلما كانت توبته عنه أبعد،و كانت نفسه أميل الى الفساد.

وَ يُضِلُّ اللّٰهُ الظّالِمِينَ وَ يَفْعَلُ اللّٰهُ ما يَشاءُ

ص:۴۰۴

[سوره إبراهيم (۱۴): الآيات ۲۸ الی ۳۴]

اشاره

أَ لَمْ تَرَ إِلَى اَلَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اَللَّهِ كُفْراً وَ أَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دارَ اَلْبَوارِ (۲۸) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَها وَ بِئْسَ اَلْقَرارُ (۲۹) وَ جَعَلُوا لِلَّهِ أَنْداداً لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى اَلنّارِ (۳۰) قُلْ لِعِبادِيَ اَلَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا اَلصَّلاةَ وَ يُنْفِقُوا مِمّا رَزَقْناهُمْ سِرًّا وَ عَلانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَ لا خِلالٌ (۳۱) اَللَّهُ اَلَّذِي خَلَقَ اَلسَّماواتِ وَ اَلْأَرْضَ وَ أَنْزَلَ مِنَ اَلسَّماءِ ماءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ اَلثَّمَراتِ رِزْقاً لَكُمْ وَ سَخَّرَ لَكُمُ اَلْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي اَلْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَ سَخَّرَ لَكُمُ اَلْأَنْهارَ (۳۲) وَ سَخَّرَ لَكُمُ اَلشَّمْسَ وَ اَلْقَمَرَ دائِبَيْنِ وَ سَخَّرَ لَكُمُ اَللَّيْلَ وَ اَلنَّهارَ (۳۳) وَ آتاكُمْ مِنْ كُلِّ ما سَأَلْتُمُوهُ وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اَللَّهِ لا تُحْصُوها إِنَّ اَلْإِنْسانَ لَظَلُومٌ كَفّارٌ (۳۴)

اللغه

۲۸[أحلوا]:الإحلال وضع الشیء فی محل اما بمجاوره ان کان من قبیل الأجسام،أو بمداخله ان کان من قبیل الاعراض.

[البوار]:الهلاک.

۳۱[خلال]:الخلال جمع خله،و خاللته أی صادقته.

ص:۴۰۵

۳۳[دائبین]:الدؤوب مرور الشیء فی العمل علی عاده جاریه فیه.

[اجنبنی]:ابعدنی.

ص:۴۰۶

الشكر بین الصلاه و الزکاه

هدی من الآیات:

و کما ان ربنا،یثبّت الذین آمنوا بما آمنوا،فان ضلاله الظالمین تبدو منهم،الا تری کیف أنهم یبدلون نعمه التوحید و نعمه الرساله و سائر النعم الإلهیه المعنویه و المادیه الی نقمه بسبب کفرهم بها،و ترک شکرها،و هم یقودون قومهم الی دار الهلاک،فی جهنم حین یحترقون بنارها،و یستقرون منها مکانا سیئا و هم یبدلون النعمه کفرا حین یفتشون عن أنداد لهم من سلطات جور و علماء سوء،فیضلون بهم الناس عن اللّه،و ان مصیرهم الی النار.

ان شکر نعمه التوحید هو الصلاه لله لتوثیق عری الایمان،و الإنفاق علی المحرومین فی السر و العلانیه،و الخوف من الحساب فی یوم القیامه حیث لا بیع فیه و لا خلال.

و لماذا لا نشکر ربنا و هو الذی خلق السماوات و الأرض،و انزل من السماء ماء فاخرج به هذه الثمرات المتنوعه رزقا مبارکا لنا،کما سخر الریاح لتحمل الفلک فی

البحر،و سخر الأنهار،و أكثر من هذا سخر الشمس و القمر يعملان باستمرار،و سخر النور و الظلام،و آلاف بل ملايين النعم التى لاـ نحصيها لو أنا أردنا تعدادها،كل ذلك من أجل رفاهنا و تكاملنا،و ان الإنسان لظلوم يطغى فى الأرض،و يكفر بنعم اللّه،و لذلك يكون مثله..مثل شجره خبيثه اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار،كما جاء فى الدرس السابق.

بينات من الآيات:

و أحلوا قومهم دار البوار:

[۲۸]الغايه من نعم اللّه على البشر أن تنعكس فى حياتهم الماديه شكرا فى صوره الوصول بها الى اهدافها،و فى حياتهم المعنويه تكاملاـ و هدى و خلقا رفيعا،بينما ترى بعض كبراء الكفر يسعون فى الأرض فسادا،فبدل ان يطعموا الطعام يتلفونه،و بدل ان يطعموا منه البائس و الفقير يتخذونه وسيله لاستعباد الناس و تذليلهم،و بدل ان تبعث النعمه فى أنفسهم الرضا و السكينه يزدادون بها طغيانا و حرصا و إسرافا، و بالتالى قلقا و توترا،و هكذا يبدلون نعمه اللّه الى كفر.

أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللّٰهِ كُفْراً أظهر امثله نعمه اللّه هى نعمه الرساله التى كفروا بها،و لاـ يزال الكبراء و أشياعهم من خدمه الكفر يكفرون بهذه النعمه و لا يشكرون.

و لكن هذه النعمه ليست الوحيده التى لا يشكرونها بل هناك نعم اخرى كذلك يتخذونها وسيله للكفر،مثل نعمه السلطه و الرفاه و السلامه و الأمن.

و هؤلاء يجعلون قومهم فى منزل الهلاك بسبب كفرهم بالنعم،فيقودون الضعفاء فى حرب ضد أصحاب الرساله.

وَ أَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دٰارَ الْبَوٰارِ ان الهزيمه ستكون من نصيب كبراء الكفار،و لكنهم يسحبون وراءهم جيشا من المستضعفين،و يذيقونهم مراره الهزيمه.

[۲۹]هذا فی الدنیا أما فی الآخره،فان مصیرهم جمیعا..

جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهٰا وَ بِئْسَ الْقَرٰارُ [۳۰]و لکی یدعموا سلطاتهم الطاغوتیه علی الناس،و لکی یواجهوا منطق الحق بباطل مزخرف،فإنهم یدعون الناس الی الأصنام الباطله،مره یرفعون رایه العنصریه و العصبیه العشائریه،و مره ینعقون باسم آبائهم الأولین،و قد یهتفون باسم الأرض أو اللغه أو الوطن،أو باسم الأمن و الرفاه،کل ذلک لیصرفوا الناس عن التوحید الذی هو أسمی قیمه معنویه للإنسان.

وَ جَعَلُوا لِلّٰهِ أَنْدٰاداً لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ و هدفهم من کل ذلک التمتع الساذج بلذائذ هذه الدنیا الدنیّه،و لکن الی متی تدوم لهم النعم؟انها لا تدوم إلاّ الی أجل قریب.

قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النّٰارِ

الشکر الحقیقی:

[۳۱]أما المؤمنون بالرساله فإنهم یشکرون هذه النعمه.

أولا:بإقامه الصلاه و تنمیه روح الأیمان بالله،لکی یزدادوا ثباتا و استقامه.

ثانیا:بالإنفاق الذی هو بدوره یزید النعم.

قُلْ لِعِبادِیَ الَّذِینَ آمَنُوا یُقِیمُوا الصَّلاةَ وَ یُنْفِقُوا مِمّا رَزَقْناهُمْ فانفاق العلم بتعلیمه،و إنفاق الجاه ببذله،و إنفاق القوه بالتعاون مع البؤساء، کل ذلک یزید النعم،و لیکن الإنفاق سرا لضمان الإخلاص،و علانیه لتحدی الکفار.

سِرًّا وَ عَلانِیَةً و لیکن لانفاق بإخلاص تام،و خشیه من النار.

مِنْ قَبْلِ أَنْ یَأْتِیَ یَوْمٌ لا بَیْعٌ فِیهِ وَ لا خِلالٌ فلا تستطیع ان تبدل بما عندک شیئا،کما لا تنفک الشفاعه من قبل الأخلاّء و الأصدقاء.

توالی النعم:

[۳۲]لماذا نکفر بالنعم؟و لماذا لا نؤمن بالله،و نشکره؟و هل کنا فی غنی عن رحمته؟! ان أعظم النعم هی نعمه الخلقه الاولی،ثم نعمه تسخیر السماوات و الأرض لنا بحیث نقدر علی الاستفاده منها،و لو کانت ممتنعتان عنا،أو کنا عاجزین عن الانتفاع منهما بجهل أو بضعف فمن الذی کان یسخرهما لنا؟ اَللّٰهُ الَّذِی خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَراتِ رِزْقاً لَکُمْ انظر الی الطبیعه المخلوقه نظرا جدیدا و عبریا،فهل تری غیر نعم اللّه تحیط بک..

ص:۴۱۰

لماذا لا يهز ضميرك منظر المطر يهبط لك من السماء نعماء و رحمه،من الذى رفع ملايين الأطنان من مياه البحر بعد تصفيتها بالتبخير،و مزجها بأكسجين الفضاء، و بنتروجين الرعود،و نشره فى كل جهه،من الذى جعل فى الأرض الأملاح و الخصوبه و البذور لتتحول الأمطار فيها الى ثمرات مختلفه؟! وَ سَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ أو تزعم ان السفن تبحر فى البحار بأمرك،فلو ان الرياح ركدت أو ان الأمواج تصاعدت،فهل جرت السفن حيث تشتهى.

وَ سَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهارَ [۳۳]و الشمس التى هى أكبر من أرضنا بكثير،و القمر الذى هو أصغر من أرضنا كل يجرى فى فلك و نظام بحيث ينفع الحياه فوق كوكبنا بضوئها و بجاذبيتهما و طريقه دورانهما،من الذى سخرهما أ فلا نشكره؟! وَ سَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ دائِبَيْنِ وَ سَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ فعند ما يعم الظلام الارجاء تخلد الى النوم براحه نفسيه،و عند ما ينبعث ضياء النهار،تنبعث حيويه و همه.

[۳۴]و بالرغم من ان طموحات البشر لا تتحقق عاده جميعها،و لكن هناك تناسب بين هذه الطموحات و بين عطاء اللّه سبحانه،فبقدر أملك فى اللّه، و سؤالك منه ينشر عليك نعمه.

وَ آتاكُمْ مِنْ كُلِّ ما سَأَلْتُمُوهُ ففى ضيق الشدائد،و عند المدلهمات تجد فرج اللّه و روحه« أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ

إِذٰا دَعٰاهُ وَ يَكْشِفُ السُّوءَ »و عنـد ما تتعب سـفينه أمالك ترسو على شاطئ رحمه اللّه الذى يقول لك:« وَ إِذٰا سَأَلَكَ عِبٰادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدّٰاعِ إِذٰا دَعٰانِ ».و هناك تجد تحقيق آمالك و تخاطب ربك قائلا:

«الهى طموح الآمال قد خابت الاّ لديک و معاكف الهمم قد تعطلت الاّ عليک و مذاهب العقول قد سمت الا إليک فأنت الرجاء و إليک الملتجأ» (۱)و أى نعمه تحصـيها عددا،أجل لو كانت الأشجار أقلاما،و البحر يمده من بعده سبعه أبحر،لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربى.

وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللّٰهِ لاٰ تُحْصُوهٰا ان كل خليه فى بلايين الخلايا التى تشكل جسمى نعمه كبرى يعجز القلم عن الاحاطه بها،-فأى نعمه تحصيها-و كيف،و لكن أنت ترى الإنسان كيف يظلم نفسه بالكفر بنعم اللّه.

إِنَّ الْإِنْسٰانَ لَظَلُومٌ كَفّٰارٌ فأكثر الناس يظلمون أنفسـهم و الآخرين بالنعم فيتخـذون من نعمه اللسان وسـيله التشـهير و البهتان،و من نعمه اليـد البطش و الاعتـداء،و من نعمه المال البخل و الترف و الاسـتعلاء،و من نعمه القوه الاسـتكبار و القهر و الـديكتاتوريه،و هكذا يكفرون بنعم اللّه،و لا يحققون بها اهدافها النبيله و لو فعلوا لكان

۱- ۱) من أدعيه ليله الجمعه مفاتيح الجنان قسم أعمال ليله الجمعه.

ذلک شکرا عملیا منهم.

[سوره إبراهيم (۱۴): الآيات ۳۵ الى ۴۱]

اشاره

وَ إِذْ قالَ إِبْراهِيمُ رَبِّ اِجْعَلْ هَذَا اَلْبَلَدَ آمِناً وَ اُجْنُبْنِي وَ بَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ اَلْأَصْنامَ (۳۵) رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِنَ اَلنّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَ مَنْ عَصانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (۳۶) رَبَّنا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ اَلْمُحَرَّمِ رَبَّنا لِيُقِيمُوا اَلصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ اَلنّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَ اُرْزُقْهُمْ مِنَ اَلثَّمَراتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (۳۷) رَبَّنا إِنَّكَ تَعْلَمُ ما نُخْفِي وَ ما نُعْلِنُ وَ ما يَخْفى عَلَى اَللّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي اَلْأَرْضِ وَ لا فِي اَلسَّماءِ (۳۸) اَلْحَمْدُ لِلّهِ اَلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى اَلْكِبَرِ إِسْماعِيلَ وَ إِسْحاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ اَلدُّعاءِ (۳۹) رَبِّ اِجْعَلْنِي مُقِيمَ اَلصَّلاةِ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنا وَ تَقَبَّلْ دُعاءِ (۴۰) رَبَّنَا اِغْفِرْ لِي وَ لِوالِدَيَّ وَ لِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ اَلْحِسابُ (۴۱)

اللغه

۳۷[بواد]:الوادی سفح الجبل العظيم،و منها قيل للأنهار و العظام أوديه لان حافاتها كالجبال لها،و منه الديه لأنه مال عظيم يحتمل فی امر عظيم.

إبراهيم أسوه فی الشكر

اشاره

و الدعوه الصالحه

هدی من الآیات:

لقد أعلن ربنا ان من یشكره یزیده عطاء،و من یكفر به فان عذابه لشدید،و فی هذا الدرس یضرب مثلا للإنسان الشاكر الذی لا یشق له غبار و هو إبراهیم علیه السلام بینما الدرس التالی یذكّر بمصیر الكافرین.

و قد وعد ربنا ان ینصر رسله بسبب خوفهم من ربهم،و هذا إبراهیم یرفع الی اللّه ید الضراعه لیجعل مكه بلدا آمنا،ظاهرا بحرمته،و باطنا بنظافته عن الأصنام التی أضللن كثیرا من الناس حتی فقدت الكثره العددیه شرعیتها،و بقی المقیاس هو الحق،و اتباع الرسل،فمن تبع إبراهیم فهو من إبراهیم،أما من عصاه فان رحمه اللّه فقط و لیس انتماؤه النسبی الی إبراهیم سوف ینقذه بإذن اللّه.

و بعد ان استعرض إبراهیم طاعته لله،حین اسكن بعض ذریته فی صحراء الحجاز حیث لا زرع و لا ضرع،دعا ربه بان یوفقهم لأداء الصلاه علی وجهها،و ان

ص:۴۱۵

يجعلهم قبله القلوب،و ان يرزقهم من الثمرات،كل ذلك بهدف ان يشكروا ربهم، فيستخدموا النعم لراحه الجسد،و أمواج الروح،و أن يجعلوا اللّه الشاهد عليهم لأنه يعلم ما يخفون و ما يظهرون،و لا يخفى عليه شيء لا فى الأرض و لا فى السماء.

و قد استجاب له ذلك،أو ليس هو الذى رزقه على الكبر إسماعيل و إسحاق، فانه إذا سميع الدعاء،و لكى يكون شاكرا فعليه ان يقيم الصلاه،و ان يدعو لأولاده بذلك،و ان يستغفر اللّه لنفسه و لوالديه و للمؤمنين،حتى تكون آصرته الإيمانيه و ليس الأسريه أقوى شيء،و ان يخشى الحساب.

هذا إبراهيم قدوه الشاكرين،أ فلا نكون مثله؟

بينات من الآيات:

الاستقلال الفكرى:

[۳۵]طيله اربع و ستين قرنا لا أقل كانت مكه بلدا آمنا بدعاء ذلك الشيخ الذى تجرد عن ذاته،و عن علاقاته النسبيه،و ترك فلذه كبده إسماعيل و أمه فى تلك الأرض القاحله بهدف اقامه بيت لله،يظلله السلام أمام هجمات الشياطين الماديه و الثقافيه.

وَ إِذْ قٰالَ إِبْرٰاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـٰذَا الْبَلَدَ آمِناً وَ اجْنُبْنِي وَ بَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنٰامَ و هل كان ينفع السلام العسكرى لو تم غزو أبناء إبراهيم ثقافيا و اجتماعيا، و اقتصاديا و سياسيا،لو كنت تزعم بأنك أقل شأنا من الأوربى و ان له حق السياده عليك،أو زعمت بان عائله(آل فلان)هم أصحاب الملك و الحكم عليك،دون ان يكون له حق اختيارهم أو رفضهم،أو زعمت ان الماركسيه و أربابها هى أفضل لك

من عباده اللّه،فهل ينفعک الاستقلال العسکری شیئا.

ان أسوء أنواع العبودیه لا ـ ریب هی السیطره العسکریه و هی ما دعا إبراهیم ربه ان یأمن أهل مکه منها،و قد استجاب له ربه دعاءه،و ابرز مظاهره ذلک هلاک أصحاب الفیل،حیث حمی ربنا البلد الحرام من الاحتلال العسکری،و هو ما یسمّیه بالطاغوت.

و لکن أصنام العبودیه الثقافیه،أو التبعیه الاجتماعیه و الاقتصادیه و السیاسیه أخفی خطرا،و لم یستجب فیها ربنا دعاء إبراهیم،إذ یتنافی و ما قدر اللّه من حریه البشر فی الدنیا.

[۳۶]و لأن أقوی اسلحه الجبت،و عباده الأصنام هو الاحساس القوی عند الفرد بضروره التوافق الاجتماعی،فان إبراهیم(علیه السّلام)أکد ان الأصنام قد أضللن کثیرا من الناس،لکی یعرف الإنسان ان اتباع الناس یعنی الضلاله فی الأغلب فیتحصن ضد غرور الکثره.

رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ کَثِیراً مِنَ النّٰاسِ ان الأصنام تتجسد فی قوی اجتماعیه ثقافیه،أو اجتماعیه و سیاسیه،و ربما لذلک نسب الضلاله إلیهن،و جاءت بصیغه الجمع فلم یقل أضلت بینما کان ذلک الأنسب الی غیر ذوی العقول،لو کانت الأصنام هذه الأحجار و الأخشاب المعبوده.

و من جهه ثانیه:لأن قریشا خدعوا ضمائرهم حین استسلموا لضغوط الأصنام، و برروا موقفهم المتخاذل من التوحید بأنهم أولاد إبراهیم فلا ضیر علیهم،کما فعلت بنوا إسرائیل مثل ذلک،لذلک أکد إبراهیم علیه السلام براءته منهم.

فَمَنْ تَبِعَنِی فَإِنَّهُ مِنِّی وَ مَنْ عَصٰانِی فَإِنَّکَ غَفُورٌ رَحِیمٌ

ربما لم يقل إبراهيم و من عصانى فان عذابک شدید لکی یتجنب الذاتیه فی تعبیره فلا یضمن تعبیره انه هو سبب العذاب.

دعوه إبراهيم لأبنائه:

[۳۷]إبراهیم رجل الرساله،الـذی قضـی عمره یجاهد من أجل التوحید،فلم یسـتجب له الا قلیل،فرزقه اللّه أولیاء یرثون دعوته،بعد ان بلغ من الکبر عتیـا،و هـا هو یؤمر ان یسـکن بعض ذریته فی صـحراء قـاحله فیسـتجیب لربه شاکرا،و هـدفه من الـذریه لم یکن سوی أن یحملوا مشعل التوحید من بعده،و لذلک یطلب من ربه بالنسبه الی ذریته أمرین:

أولا:ان تهوی إلیهم أفئده من الناس،و بسبب حب الناس لهم یستمعون الی تعالیم ربهم.

ثانیا:ان یکفیهم اللّه أمور الدنیا،فیرزقهم من الثمرات حتی لا ینشغلوا بطلب الدنیا عن تبلیغ الرساله.

رَبَّنا إِنِّی أَسْکَنْتُ مِنْ ذُرِّیَّتِی بِوادٍ غَیْرِ ذِی زَرْعٍ عِنْدَ بَیْتِکَ الْمُحَرَّمِ و ترک بأمر اللّه هاجر و ابنها الرضیع إسماعیل فی أرض مکه،و کانت قفرا ذلک الیوم بسبب جذبها.

رَبَّنا لِیُقِیمُوا الصَّلاهَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَهً مِنَ النّاسِ تَهْوِی إِلَیْهِمْ و هـذا یـدل علی ان هـدف الحـج الی الکعبه لیس فقط الطواف حول الأحجار المرصوصه الی بعضـها تخشـعا لله،بل و أیضا التمحور حول أولیائها،الذین هم ورثه إبراهیم،و حمله مشعل الرساله،و هم أئمه الهدی،و العلماء بالله،الأمناء علی حلاله

ص:۴۱۸

و حرامه،و هم بالتالی القیاده الرسالیه التی هی امتداد لقیاده الرسل علیهم صلوات اللّه.

وَ ارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرٰاتِ لَعَلَّهُمْ یَشْکُرُونَ یشکرون حج الناس،و رزق اللّه بخدمه الحاج،و توجیههم و عدم التسلیم لضغوط الغزاه الثقافیین.

کیف نشکر اللّه؟

[۳۸]و ینبغی ان یکون الشکر مخلصا لله،فلا تتجرد خدمه الحجاج عن دعوتهم لی اللّه،و لا یجعل سقایه الحاج و عماره المسجد وسیله المفاخره و التعالی، و بالتالی لا تصبح طقوس الحج قشورا فارغه،بل وسیله للزلفی الی اللّه و الانابه الیه سبحانه.

رَبَّنٰا إِنَّکَ تَعْلَمُ مٰا نُخْفِی وَ مٰا نُعْلِنُ وَ مٰا یَخْفیٰ عَلَی اللّٰهِ مِنْ شَیْءٍ فِی الْأَرْضِ وَ لاٰ فِی السَّمٰاءِ [۳۹]و عاد إبراهیم یذکر نعمه الذریه،ربما لان أهل مکه فی عهد النبی صلی الله علیه و آله کلهم من ذریه إسماعیل الذی هو استجابه دعاء إبراهیم،فلما ذا یکفرون بنعمه اللّه و لماذا ینسون أصولهم.

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِی وَهَبَ لِی عَلَی الْکِبَرِ إِسْمٰاعِیلَ وَ إِسْحٰاقَ إِنَّ رَبِّی لَسَمِیعُ الدُّعٰاءِ فلو شکرنا ربنا و دعوناه لاستجاب دعاءنا کما استجاب لأبینا إبراهیم علیه السلام.

[۴۰]و إبراهيم(عليه السّلام)ذاته كان مقيم الصلاه،و مجده كان بالصلاه فلا نجعل نحن أبناءه انتمائنا اليه نسبيا مجدا من دون اتباع تعاليم السماء،و هو يريد ان نكون مثله.

رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاٰةِ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنٰا وَ تَقَبَّلْ دُعٰاءِ [۴۱]و إبراهيم عليه السّلام كان منتميا بذاته الى تجمع ايمانى أكبر،و لا بد ان نتخذ ذلك التجمع محورا لتحركنا لا الانتماء الى نسبه،و دعاءه للمؤمنين جميعا.

رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَ لِوٰالِدَيَّ وَ لِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسٰابُ و هكذا ضرب اللّه لنا مثلا من واقع إبراهيم،كيف شكر اللّه على نعمائه، و دعائه بتحقيق طلباته،فشكره اللّه و استجاب له،و كذلك يستجيب للمؤمنين.

ص:۴۲۰

[سوره إبراهيم (۱۴): الآيات ۴۲ الی ۵۲]

اشاره

وَ لاٰ تَحْسَبَنَّ اَللّٰهَ غٰافِلاً عَمّٰا يَعْمَلُ اَلظّٰالِمُونَ إِنَّمٰا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ اَلْأَبْصٰارُ (۴۲) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤُسِهِمْ لاٰ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ
طَرْفُهُمْ وَ أَفْئِدَتُهُمْ هَوٰاءٌ (۴۳) وَ أَنْذِرِ اَلنّٰاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ اَلْعَذٰابُ فَيَقُولُ اَلَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنٰا أَخِّرْنٰا إِلىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَ نَتَّبِعِ
اَلرُّسُلَ أَ وَ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مٰا لَكُمْ مِنْ زَوٰالٍ (۴۴) وَ سَكَنْتُمْ فِي مَسٰاكِنِ اَلَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَ تَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنٰا
بِهِمْ وَ ضَرَبْنٰا لَكُمُ اَلْأَمْثٰالَ (۴۵) وَ قَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَ عِنْدَ اَللّٰهِ مَكْرُهُمْ وَ إِنْ كٰانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ اَلْجِبٰالُ (۴۶) فَلاٰ تَحْسَبَنَّ اَللّٰهَ
مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اَللّٰهَ عَزِيزٌ ذُو اِنْتِقٰامٍ (۴۷) يَوْمَ تُبَدَّلُ اَلْأَرْضُ غَيْرَ اَلْأَرْضِ وَ اَلسَّمٰاوٰاتُ وَ بَرَزُوا لِلّٰهِ اَلْوٰاحِدِ اَلْقَهّٰارِ (۴۸) وَ تَرَى
اَلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي اَلْأَصْفٰادِ (۴۹) سَرٰابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرٰانٍ وَ تَغْشىٰ وُجُوهَهُمُ اَلنّٰارُ (۵۰) لِيَجْزِيَ اَللّٰهُ كُلَّ نَفْسٍ مٰا كَسَبَتْ إِنَّ
اَللّٰهَ سَرِيعُ اَلْحِسٰابِ (۵۱) هٰذٰا بَلاٰغٌ لِلنّٰاسِ وَ لِيُنْذَرُوا بِهِ وَ لِيَعْلَمُوا أَنَّمٰا هُوَ إِلٰهٌ وٰاحِدٌ وَ لِيَذَّكَّرَ أُولُوا اَلْأَلْبٰابِ (۵۲)

اللغه

۴۳[و أفئدتهم هواء]:متجوفه لا تعی شيئا للخوف و الفزع شبهها بهواء الجو.

۴۴[ما لكم من زوال]:ليس لكم من انتقال من دار الدنيا الی دار الآخره.

۴۸[و برزوا للّه]:البروز الظهور.

۴۹[مقرّنين]:مجتمعين.

[الأصفاد]:جمع الصفد و هو الغل الذى يقرن به اليد الى العنق.

۵۰[سرابيلهم]:السربال القميص.

ص:۴۲۲

وَ بَرَزُوا لِلّٰهِ الْوٰاحِدِ الْقَهّٰارِ

هدی من الآیات:

الذین یشکرون اللّه،فیستخدمون نعمه فی سبیل خیرهم،یکون مصیرهم الفلاح مثل إبراهیم علیه السلام بینما الذین یتخذون من النعم وسیله للبطش و الظلم فان الأجل الذی حدد لاختبارهم سوف ینقضی و اللّه لیس بغافل عنهم و لا-عن أعمالهم،انما یؤخرهم لیوم القیامه حیث تشخص منه الأبصار،و تترکز الی موضع الخطر لشدته، یسرعون الی الداعی و یرفعون رؤوسهم هلعا،لا-یملکون التحکم بأعینهم،بینما تذهب قلوبهم الی حیث شاءت دون ان یتحکموا فی افکارهم،و سیتمنی الظالمون یوم العذاب لو یؤخرهم ربهم الی أجل قریب حتی یستجیبوا دعوه الحق،و یتبعوا الرسل،و یتساءل القرآن:أو لم تکونوا قد حلفتم انه لا زوال لکم،و قد سکنتم فی منازل الهالکین من اسلافکم الظالمین.و قد رأیتم ماذا فعل اللّه بهم من عذاب،و قد نبهکم اللّه الی هذا المصیر عن طریق بیان القصص الرشیده،و بالرغم من ان الظالمین یخططون لأنفسهم لکی یحصنوها ضد الهلاک،الا ان اللّه یحیط بمکرهم و ان کانت محکمه بحیث تستطیع إرادته ازاله الجبال.

و كما يهلك اللّه الظالمين كذلك يورث الرسل أرضهم بوعده،فلا تظن ان ربك يخلف وعده لأنه عزيز ذو انتقام،و فى يوم القيامه تتحول الأرض غير الأرض حتى تحسبها غير هذه الأرض،كما تتغير السماوات،و وقفوا جميعا امام اللّه الواحد الذى يقهر عباده بسلطانه،و هنالك ترى المجرمين مقرّنين فى الأغلال،يلبسون ثيابا من القطران التى يطلى بها جسم الإبل،بينما تشوى وجوههم النار،و هنالك تتجسد المسؤوليه حيث تلقى كل نفس جزاء أعمالها التى اكتسبتها و التى ضبطها اللّه بسرعه فى الحساب،هذا نذير بليغ للناس لكى يعلموا انما اللّه اله واحد،و لكى يتذكر أولوا الألباب.

بينات من الآيات:

إِنَّما يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصارُ:

[۴۲]قد يرقى الى قلب البشر الشك،فى هلاك الظالمين بعد ان يزداد ظلمهم و تعديهم،فيظن المظلومون ان اللّه غافل عنهم،و لا يدرى ان بعض الظالمين يؤجل حسابهم الى يوم القيامه،فلا يظنوا أو لا يظن المظلوم ان التأخير علامه الإهمال.

وَ لاٰ تَحْسَبَنَّ اللّٰهَ غٰافِلاً عَمّٰا يَعْمَلُ الظّٰالِمُونَ إِنَّمٰا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصٰارُ اى يوم القيامه حيث العذاب الشديد.

[۴۳]و ترى الظالمين يسرعون للفرار من الخطر و حيث يأمرهم الزاجر،و هم رافعوا رؤوسهم خوفا و هلعا،و لا يتحكمون فى حركه أعينهم،كما ان قلوبهم فارغه من التفكير فى أى شىء سوى فى مصدر الخطر.

[مهطعين]

ص:۴۲۴

الإهطاع الإسراع.

مُقْنِعِی رُؤُسِهِمْ الإقناع طأطأه الرأس.

لاٰ یَرْتَدُّ إِلَیْهِمْ طَرْفُهُمْ وَ أَفْئِدَتُهُمْ هَوٰاءٌ

أقسام الظالمین فی العذاب:

[۴۴]یبدو أنه ینقسم الظالمون الی قسمین:من یؤخذ فقط فی الآخره،و هم الذین لا یقاومهم المظلومون،و منهم من یعذبهم اللّه فی الدنیا و فی الآخره،و هم الذین تنذرهم هذه الآیه.

وَ أَنْذِرِ النّٰاسَ یَوْمَ یَأْتِیهِمُ الْعَذٰابُ فَیَقُولُ الَّذِینَ ظَلَمُوا رَبَّنٰا أَخِّرْنٰا إِلیٰ أَجَلٍ قَرِیبٍ نُجِبْ دَعْوَتَکَ وَ نَتَّبِعِ الرُّسُلَ و دور الرسول هو قطع هذه الحجه،فلا ضیر لو لم ینتفعوا من الإنذار.

أَ وَ لَمْ تَکُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مٰا لَکُمْ مِنْ زَوٰالٍ [۴۵]و لکن کیف اطمأنت نفوسکم الی الدنیا،و أنتم ورثتموها من غیرکم، و لو لا هلاککم لما ملکتم بیوتهم،أو لا تسألون أنفسکم لماذا هلک أولئک!؟أو لیس بسبب الظلم الذی اقترفوه؟!فهلاّ اعتبرتم.

وَ سَکَنْتُمْ فِی مَسٰاکِنِ الَّذِینَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَ تَبَیَّنَ لَکُمْ کَیْفَ فَعَلْنٰا بِهِمْ وَ ضَرَبْنٰا لَکُمُ الْأَمْثٰالَ و هذا المنذر هو من تلک الأمثال.

المكر الخاسر:

[۴۶]قد يظن الظالمون أنهم لو كانوا أفضل خطه من السابقين لاستطاعوا ان يحموا أنفسهم من جزاء ظلمهم،و لكن هيهات..كل الظالمين مكروا مكرا،و لكن المكر كان بالتالى فى حدود سلطان اللّه،و فى إطار هيمنته،فهو الذى زودهم بعقل و إراده و قوه حتى خططوا لأنفسهم،و متى ما يشاء يسلب منهم وعيهم،فيتحول مكرهم عليهم.

وَ قَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ أى توسلوا بكل وسيله ممكنه للحفاظ على أنفسهم.

وَ عِنْدَ اللّهِ مَكْرُهُمْ فالأمور بيد اللّه حقا،و ليس بيد العبد،اختيار ما يريد،و ربنا لا يعصى عن غلبه،بل بقوته التى منحها لعباده يعصيه الكفار.

و قد يكون مكر البشر قادرا على ازاله الجبال و لكن الأمر بالتالى بيد اللّه الذى زود الإنسان العقل و العلم.

وَ إِنْ كانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبالُ تزعم الجاهليه الحديثه التى اخترقت الفضاء بادئه عصر الملوك،و غارت فى أعماق المحيطات،و فلقت الذره،و دكت الجبال تزعم انها تستطيع الفرار من عقوبه ظلمها للمحرومين و المستضعفين-و لكن هيهات-ان الذى زود البشر اليوم بهذه الطاقات قادر أن يسلبها منهم متى ما يشاء.

إن كل جيل من الظالمين كان يحسب انه قد بلغ القمه فى تسخير الطبيعه،و لكن

بعـد حلول أجله أحاط به مكره،و هلك فى الأكثر بذات القوه التى زعم انها تحميه، فأغرق اللّه فرعون،و ابتلعت الأرض قارون و كنوزه،و دكّت حصون عاد ذات الصخور التى اعتمدت عليها.

[۴۷]کما انه قـد يزعم الظـالمون ان اللّه يتجـاوز عن ظلمهم،بسـبب أو بـآخر -و لكن هيهـات-و قـد وعـد ربک رسـله بان يأخذ أعداءهم بعزته،و إذا كانت صـفه الرحمه و الغفران أبرز أسـماء اللّه،فان اسم العزيز المنتقم من أسمائه الحسنى أيضا، و انه سوف ينفّذ هذا الاسم عليهم بسبب وعده للرسل،فلا يغرقوا فى الرجاء الساذج، و يتوغلوا فى ظلم العباد.

فَلاـ تَحْسَبَنَّ اللّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقامٍ [۴۸]و يبقى سؤال:إذا لمـاذا لاـ ينتقم الرب من الظـالمين على كـثره ظلمهم؟ أجل انه أخّر انتقامه ليوم القيامه.

يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَ السَّماواتُ فلأن البحار تتبخر،و لأن الجبال تتد كدك،و لان الأرض تصـبح قاعا صفصـفا لا ترى فيهـا عوجـا و لاـ أمتـا،فـان الأـرض تبـدو و كأنهـا غير تلـک الـتى نعرفهـا،کمـا انـه يتغير لـون السـماوات،و تجتمـع أجرامهـا الى بعضها،حيث تجمع الشمس و القمر، و تتناثر نجومها،و تكون السماوات غير هذه التى نراها،و هنالك يظهر الظالمون امام محكمه اللّه.

وَ بَرَزُوا لِلّهِ الْواحِدِ الْقَهّارِ هنالك يتجلى اسم العزيز ذو الانتقام،فهل من مهرب؟

ص:۴۲۷

[۴۹]اما المجرمون فيؤتى بهم على رؤس الأشهاد و قد صفدّوا بالأغلال الموضوعه على أيديهم،حيث يسلكون فى سلسله طولها سبعون ذراعا.

وَ تَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِى الْأَصْفَادِ بعضهم ملتصق بالبعض مغلولين-و العياذ بالله-.

[۵۰]و قد البسوا من ماده القطران سرابيل،حيث تحيط بهم ماده لزجه سوداء نتنه تشبه القار-يطلى بها الإبل-فتصبح كالثوب للقسم الأسفل من أجسادهم، بينما القسم الأعلى منها،يحيط به النار فتصبح كالحجاب.

سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَ تَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ دعنا نتصورهم فى ماده سائله يحترق نصف جسدهم فى الماده و نصفه فى لهيبها، أو ليس اللّه عزيزا ذا انتقام.

[۵۱]و هكذا لا يدع اللّه أيه نفس حتى يجزيها بما كسبت و هو سريع الحساب، حيث يحيط حسابه بكل صغيره و كبيره دون أن يعزب عنه مثقال ذره.

لِيَجْزِيَ اللّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ و هكذا لا ينام أحد على حرير التبرير،و يمنى نفسه بالخلاص من ذنوبه الا بالتوبه و العمل الصالح.

[۵۲]و إذا كان عذاب اللّه شديدا فانه حكيم لم يدع العباد من دون ان ينذرهم بكلام واضح عميق الأثر بلغ قلوبهم و هداهم الى اللّه الواحد الذى لا يشارك ألوهيته شىء أو شخص،فلا أمل فى شفاعه الأصنام،و لكى يتذكر من شاء النجاه و هم أصحاب العقول الذين يستفيدون من عقولهم.

ص:۴۲۸

هٰذٰا بَلاٰغٌ لِلنّٰاسِ وَ لِيُنْذَرُوا بِهِ وَ لِيَعْلَمُوا أَنَّمٰا هُوَ إِلٰهٌ وٰاحِدٌ وَ لِيَذَّكَّرَ أُولُوا اَلْأَلْبٰابِ اللهم فاجعلنا منهم.

ص:۴۲۹

سوره الحجر

اشاره

ص:۴۳۱

بسم الله الرحمن الرحيم

أحاديث فی فضل السوره:

عن الرسول الأکرم صلی الله علیه و آله قال:

«من قرأ سوره إبراهیم و الحجر أعطی من الأجر عشر حسنات بعدد من عبد الأصنام و بعدد من لم یعبدها» (م البیان-ص ۳۰۱-ج ۶-۰-۰) و

عن الامام الحسین علیه السلام قال:

«من قرأ سوره إبراهیم و الحجر فی رکعتین جمیعا فی کل جمعه لم یصبه فقر و لا جنون و لا بلوی» (م البیان-ص ۳۰۱-ج ۶-۰)

ص:۴۳۳

الإطار العام

قصه الحجر تحدثنا عن أرض ثمود الذين كذبوا المرسلين و أعرضوا عن آيات اللّه،و اعتمدوا على بيوتهم المنحوته من الصخور فلم تغن عنهم شيئا،بل اهلكهم اللّه و بقيت قصتهم عبره لنا الاّ نعتمد على الصخور و الأشياء بل على القيم! نظره عامه الى السوره توحى إلينا،بان اطار هذه السوره ينسف ما يعتمد عليه البشر من أفكار تبريريه هى من وحى الشيطان الذى أقسم ان يغوى بنى آدم بكل وسيله ممكنه،كما تنسف السوره اعتماد الإنسان على الطبيعه،و تهدينا الى الركن الأشد،و هو اللّه الذى يحفظ القرآن من التزوير،و التحريف و يحفظ البشر من الأخطار،و يحفظ السماوات و الأرض.

و تؤكد السوره على أجل الإنسان الذى لا يمكن اختراقه أو تجاوزه للدلاله على ان شؤون البشر ليست بيده.

ص:۴۳۵

[سوره الحجر (۱۵): الآيات ۱ الی ۸]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ . الر تِلْکَ آيٰاتُ اَلْکِتٰابِ وَ قُرْآنٍ مُبِينٍ (۱) رُبَمٰا يَوَدُّ اَلَّذِينَ کَفَرُوا لَوْ کٰانُوا مُسْلِمِينَ (۲) ذَرْهُمْ يَأْکُلُوا وَ
يَتَمَتَّعُوا وَ يُلْهِهِمُ اَلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (۳) وَ مٰا أَهْلَکْنٰا مِنْ قَرْيَهٍ إِلاّٰ وَ لَهٰا کِتٰابٌ مَعْلُومٌ (۴) مٰا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّهٍ أَجَلَهٰا وَ مٰا يَسْتَأْخِرُونَ
(۵) وَ قٰالُوا يٰا أَيُّهَا اَلَّذِی نُزِّلَ عَلَيْهِ اَلذِّکْرُ إِنَّکَ لَمَجْنُونٌ (۶) لَوْ مٰا تَأْتِينٰا بِالْمَلاٰئِکَهِ إِنْ کُنْتَ مِنَ اَلصّٰادِقِينَ (۷) مٰا نُنَزِّلُ اَلْمَلاٰئِکَهَ إِلاّٰ
بِالْحَقِّ وَ مٰا کٰانُوا إِذاً مُنْظَرِينَ (۸)

ص:۴۳۶

الأمل الذی لم یسعده العمل

هدی من الآیات:

هـذا الکتـاب الـذی نحن بین یـدیه یقرء و یفهم بوضوح ینـدرنا عن یوم یود الـذین کفروا لو کـانوا مسـلمین أما الیوم فان الأمل یلهیهم عن الحق،و عن الخطر المستقبلی و سوف یعلمون أن افکارهم لم تکن سوی أمانی کاذبه.

و اللّه سبحانه تفضـل علی البشـر حیث أرسـل إلیهم کتابـا یبـدد ظلام الأمل،کما أعطاهم فرصه کافیه للهـدایه،و جعل لهم أجلا معلوما،لا یسبقونه و لا یستأخرون عنه.

و لکن ذات الأفکار التبریریه حجبت هؤلاء عن کتابهم فقالوا للرسول الـذی کان یهبط علیه ما یـذکرهم بصوره تدریجیه حسـب حاجاتهم أنک لمجنون،و طالبوه بان ینزل علیهم الملائکه.أولا یعلمون ان اللّه لا ینزل الملائکه الا بحکمه و عنـدها ینتهی أجلهم حیث لا تزید مهلتهم،و ها هو التاریخ یشهد علی ذلک.

ص:۴۳۷

بينات من الآيات:

اشاره

[۱] بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ،بعلم اللّه بقوته،و برحمته الواسعه،أنزل قرآنا، يشار اليه بألفاظ و لكنها علامات واضحه تهدينا الى الحق.

الر تِلْكَ آيٰاتُ الْكِتٰابِ وَ قُرْآنٍ مُبِينٍ

الأمل الوثيرى:

[۲]الأمل الذى يسوّف به الفرد عمل الخير،و ينام على سريره الوثير قد يتحول الى ندامه،فمن يعيش على«لو»يموت ب«يا ليت»،و من يركب حصان الأمنيه يقتحم به وادى الحسره.

رُبَمٰا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كٰانُوا مُسْلِمِينَ و يكفى ان نظن ظنا أننا سنندم يوما على فعلنا،يكفى ذلك موعظه لنا تهز مشاعرنا من الأعماق لأن الندامه لا تنفع و قد قال شاعرهم:

ليت و هل ينفع شيئا ليت ليت شابا بوع (۱)فاشتريت

[۳]سوف يعلم الكفار يوم يقضى أجلهم ان أملهم يلهيهم،و ان هدفهم كان مجرد التمتع بزينه الحياه الدنيا،و ان الأمل كان مسكنا لوخز ضمائرهم،و حجابا لوهج عقولهم.

ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَ يَتَمَتَّعُوا وَ يُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ

۱- ۱) بوع:اى بيع من باع

سنه العذاب:

[۴]ان ساعه الندامه شدیده الوطئ حتی علینا و نحن نتصورها،کیف هی حاله من یضیع فرصته الوحیده و قد تثیر فی أنفسنا الشفقه،و لکن اللّه یقول:لقد وفرنا کافه الوسائل الکفیله لهدایتهم فعاندوا.

وَ مٰا أَهْلَکْنٰا مِنْ قَرْیَهٍ إِلاّٰ وَ لَهٰا کِتٰابٌ مَعْلُومٌ [۵]و لکن الفرصه لیست أزلیه و إذا انتهت فلن تعاد.

مٰا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّهٍ أَجَلَهٰا وَ مٰا یَسْتَأْخِرُونَ و یلاحظ فی هذه الآیه.

أولا:أن الامه و لیس الفرد قد حدد لها الأجل،و ذلک لأن الإفراد هم اتباع تجمع بر و فاجر.یتفاعلون معه فی خیرهم و شرهم لذلک فان أجل کل مجموعه ینتهی فی وقت واحد.

ثانیا:ان تقدیم الأجل کما تأخیره غیر ممکن الا أن یشاء اللّه،و السبب أن ربنا لا یأخذ أحدا قبل ان یکمل له فرصته و یتم الحجه علیه تماما.

التبریر منطق التقهقر:

[۶]و یبرر الکافر بکفره عناده بالهجوم ضد من یحمل تلک الفکره السلیمه، و هکذا الکفار اتهموا الرسول بالجنون.

وَ قٰالُوا یٰا أَیُّهَا الَّذِی نُزِّلَ عَلَیْهِ الذِّکْرُ إِنَّکَ لَمَجْنُونٌ أنهم کانوا یتهربون من ذکرهم،و یخافون من الهدایه علی متعتهم الزائله،

فبالرغم من اعترافهم بأنه صاحب ذكر يريد بلوره عقولهم و تزكيه نفوسهم اتهموه بالجنون لأنه كان يضحی بكل راحته و متعته من أجل مصلحتهم،و لا يريد مصلحه لنفسه،فای تهمه يمكن الصاقها به غير الجنون-طبعا-حسب ثقافتهم المتوغله فی الماديه،و حسب تفسيرهم للعقل و هو الحصول علی أكثر ما يمكن من المكاسب ينبغی ان يكون المضحی من أجل الهدف و من دون ايه مصلحه ذاتيه ان يكون مجنونا.

أما الجنون بمعنی انعدام العقل فانه ينعكس علی تصرفات الفرد-فی أكله و شربه-فی سلمه و حربه-فی أرادته لأصدقائه-و مقاومته لأعدائه-و هل كان الرسول مجنونا بهذا المقياس،و هل الرساليون السائرون علی نهجه مجانين بهذا المقياس؟أم بمقياس الماديين السادرين فی متع الدنيا الرخيصه؟! [۷]و لكی يبرروا كفرهم طالبوا الرسول بأمر تصوروه محالا و قالوا:

لَوْ مٰا تَأْتِينٰا بِالْمَلاٰئِكَهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰادِقِينَ و هكذا كل فرد لا يريد ان يؤمن بفكره أو يقوم بعمل يتعلل ببعض العلل.

[۸]و لكن الا يعلمون ان نزول الملائكه،يعنی كشف الغيب امام عين البشر، و اللّه جعل الدنيا دار اختبار لعقل البشر و إرادته،و هل يختار الحق علی الشهوات، و يكتشف الحق بين الشبهات أم يخضع لشهواته و يستسلم لها،و حين يشاء بعث الملائكه و كشف الغيب فانه ينهی فتره الاختيار،و بعدها لا تعطی فرصه أخری للأمه.

مٰا نُنَزِّلُ الْمَلاٰئِكَهَ إِلاّٰ بِالْحَقِّ وَ مٰا كٰانُوا إِذاً مُنْظَرِينَ فعند هبوط الملائكه لا يهمل الناس،و كل من يموت قد يشاهد الملائكه و يؤمن بها و لكن من دون فائده.

ص:۴۴۰

[سوره الحجر (۱۵): الآیات ۹ الی ۱۸]

اشاره

إِنّٰا نَحْنُ نَزَّلْنَا اَلذِّكْرَ وَ إِنّٰا لَهُ لَحٰافِظُونَ (۹) وَ لَقَدْ أَرْسَلْنٰا مِنْ قَبْلِكَ فِی شِیَعِ اَلْأَوَّلِینَ (۱۰) وَ مٰا یَأْتِیهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلاّٰ كٰانُوا بِهِ یَسْتَهْزِؤُنَ (۱۱) كَذٰلِكَ نَسْلُكُهُ فِی قُلُوبِ اَلْمُجْرِمِینَ (۱۲) لاٰ یُؤْمِنُونَ بِهِ وَ قَدْ خَلَتْ سُنَّهُ اَلْأَوَّلِینَ (۱۳) وَ لَوْ فَتَحْنٰا عَلَیْهِمْ بٰاباً مِنَ اَلسَّمٰاءِ فَظَلُّوا فِیهِ یَعْرُجُونَ (۱۴) لَقٰالُوا إِنَّمٰا سُكِّرَتْ أَبْصٰارُنٰا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ (۱۵) وَ لَقَدْ جَعَلْنٰا فِی اَلسَّمٰاءِ بُرُوجاً وَ زَیَّنّٰاهٰا لِلنّٰاظِرِینَ (۱۶) وَ حَفِظْنٰاهٰا مِنْ كُلِّ شَیْطٰانٍ رَجِیمٍ (۱۷) إِلاّٰ مَنِ اِسْتَرَقَ اَلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهٰابٌ مُبِینٌ (۱۸)

اللغه

۱۰[شیع]:الشیع الفرق و كل فرقه شیعه و أصله من المشایعه و هی المتابعه.

۱۲[نسلكه]:ندخله.

۱۳[خلت]:مضت ۱۴[یعرجون]:العروج الصعود ۱۵[سكرت أبصارنا]:غشیت و معنی الكلمه انقطاع الشیء عن سننه الجاری و منه السكر فی الشراب انما هو ان ینقع عما هو علیه من المصافی حال الصحو.

ص:۴۴۱

۱۶]:[بروجا]:البروج أصله الظهور و منه البرج من بروج السماء و برج الحصن و يقال تبرجت المرأه إذا ظهرت زينتها.

[استرق السمع]:إذا تسمع مستخفيا،و السرقه عباره عن أخذ الشیء خفيه.

ص:۴۴۲

هكذا يحفظ اللّه رسالته

هدى من الآيات:

الفكر لا يسلم من كيد البشر.إذ ان الإنسان الذى ينحرف يسعى لتبرير انحرافه،و لكى لا يكتشف الفكر الصائب انحرافه يحرّف الكفر ذاته بالتأويل و التفسير،و اللّه أرسل القرآن مقياسا للبشر،و تعهد من ان يحفظه من كيد التحريف، و بالرغم من ان اللّه أرسل من قبل الرسول رسلا فى مختلف فرق الناس الأولين فإنهم كانوا يستهزؤن بالرسل،و يحرفون رسالاتهم،و سوف يحفظ اللّه القرآن و يسلكه فى قلوب المجرمين ليبقى حجه بالغه عليهم لا يقدرون على تحريفه و هم لا يؤمنون به،و سنه اللّه جرت على أمثالهم ثم أخذهم بشده،و ليس عدم ايمانهم بسبب نقص فى الحجه بل فى أنفسهم،فلو ان ربنا فتح بابا فى السماء فأخذوا يصعدون فيه، إذا قالوا لقد سترت أبصارنا عن الحقيقه و سحرنا،و من لا يستضىء بالشمس هل تنفعه الشمعه!ان آيات اللّه فى الكون أكبر من الصعود الى السماء فها هى السماوات ذاتها،و ما فيها من بروج.جعلت بحيث تشع جمالا و بهجه،كما أنها

متینه تتحدی الشیاطین.الا بعض من حاول استراق السمع،فجاءه شهاب مبین، فهل نفعتهم الآیات هذه؟!

بینات من الآیات:

کیف حفظ اللّه کتابه:

[۹]کل الرسالات السماویه تعرضت للتحریف من قبل المبطلین،و القرآن بدوره سوف یتعرض لمثل هذه المحاولات،التی سوف تتجه فی اتجاهین.

ألف:محاوله تغییر النص القرآنی،و تبدیل کلمه بأخری.

باء:تغییر معانی القرآن،و تفسیرها بما یتناسب و مصالح المحرّفین و أهوائهم،و لان کل کتاب ینسخه کتاب الا القرآن الذی جاء خاتمه للرسالات،فان اللّه قد وعد ان یحافظ علیه لکی یتهیأ للأجیال القادمه فرصه للهدایه یقول ربنا:

إِنّٰا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّکْرَ و هو القرآن الذی یثیر فی البشر دفائن عقله التی عفا علیها غبار النسیان.

وَ إِنّٰا لَهُ لَحٰافِظُونَ أما ألفاظ القرآن،فقد حفظها اللّه بنصر الأمه،و دخول الناس أفواجا فی دین اللّه،و إقبال الناس علی کتاب اللّه،بحیث لم یبق مجال لتحریف ألفاظه.

و أما معانی القرآن فقد قیّض اللّه سبحانه لهذه الأمه أئمه هدی و علماء ربانیین حفظوا معالم الدین عن الاندراس،و أصبحوا بأفعالهم و أقوالهم تفسیرا صحیحا لنصوص القرآن،و لا یزال العلماء الربانیون و الشباب المجاهدون ماضین قدما علی

نهج أولئك السلف الصالح فی نفی شبهات الضالین و تحریف المبطلین.

الرسالات و مهمه الوحده:

[۱۰]و لقد أرسل اللّه فی الأمم السابقه علی اختلاف فرقهم رسلا فلم تکن بدعه رساله محمد صلّی اللّه علیه و آله،کما لم تکن بدعه مخالفه الناس لها، و استهزائهم بها،و لکن اللّه سیحفظ هذه الرساله بالرغم منهم.

وَ لَقَدْ أَرْسَلْنٰا مِنْ قَبْلِکَ فِی شِیَعِ الْأَوَّلِینَ و قد تکون الشیع اشاره الی الفرق،«و هی جمع کلمه شیعه و هم الاتباع» للتذکیر بان کل رساله،کانت تهدف فیما تهدف،توحید الفرق المختلفه التی انقسمت علی نفسها بعد الرساله السابقه.

[۱۱]و واجه الناس رسلهم بأسوأ طریقه،حیث استهزؤا بهم.

وَ مٰا یَأْتِیهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلاّٰ کٰانُوا بِهِ یَسْتَهْزِؤُنَ [۱۲]و لکن مع ذلک فان ربنا یتم حجته علی الناس،و یدخل الذکر فی قلوب المجرمین.سواء آمنوا به أم لا لکی لا یقولوا کنا ناسین،أو لم نکن نعرف الحقیقه.

کَذٰلِکَ نَسْلُکُهُ فِی قُلُوبِ الْمُجْرِمِینَ [۱۳]و هذا لا یدل علی إجبار المجرمین علی القبول به،بل انهم لا یزالون علی اختیارهم کبشر،و علی عاداتهم الإجرامیه.

لاٰ یُؤْمِنُونَ بِهِ و هذه سنه اللّه ان من یرتکب الجریمه لا یوفق عاده للأیمان.

وَ قَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ

دليل اللّه فى السماء:

[۱۴]عـدم ايمان هؤلاء لا يـدل أبـدا على نقص فى الأدله،و بالتالى ينبغى الا نجعل ايمان المجرمين مقياسا لقبول فكره الرساله، و الدليل انه لو فتح اللّه عليهم طريقا يصعدون عبره فى السماء لما آمنوا لأن عقولهم فى أكنّه من الشهوات.

وَ لَوْ فَتَحْنا عَلَيْهِمْ باباً مِنَ السَّماءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ اى استمروا يصـعدون دون ان يكون الأمر مجرد لحظات يشـتبهون فيها بأنهم يحلمون مثلا.

[۱۵] لَقالُوا إِنَّما سُكِّرَتْ أَبْصارُنا تتوهم العين برؤيه باب السـماء و الصـعود فيه،بسـبب نشوه أو حجاب،ثم يكتشـفون ان جسدهم يحس أيضا بوضع الصعود،هنالك يقولون:

بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ [۱۶]العروج فى السـماء ليس أكبر آيه لربنا بل أكبر منه هذه السـماء التى جعل اللّه فيها منازل و أجرام،و أسبغ عليها من الجلال و الجمال ما يبهر العقول و العيون.

وَ لَقَدْ جَعَلْنا فِي السَّماءِ بُرُوجاً وَ زَيَّنّاها لِلنّاظِرِينَ فخالق السـماء هو خالق الأرض و الإنسان و ما فيه من غرائز،و هو الـذى خلق الأحساس بجمال النجوم فى السماء.

ص:۴۴۶

[۱۷]و بالإضافه الی الجمال الباهر فی السماء فقد حفظها اللّه من کل شیطان رجیم،فالجن الذین یوهمون البشر بأنهم علی علم بما یجری فی السماء،و أنهم یعلمون الغیب أنهم یکذبون.

وَ حَفِظْنٰاهٰا مِنْ کُلِّ شَیْطٰانٍ رَجِیمٍ حیث أنه یرجم باللعنه و بالشهاب المبین.

[۱۸]نعم یغامر بعض الشیاطین فیقتربون من بعض المواقع للحصول علی بعض الأخبار،فیأتیهم الشهاب المبین لیردعهم لیعودوا خائبین.

إِلاّٰ مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهٰابٌ مُبِینٌ و هکذا نسف القرآن أساس عباده الشیاطین،و اتباع الکهنه و المنجمین الذین یکذبون حتی و لو صدقوا.کما ان القرآن لم ینف وجود بعض المعلومات المتناثره، و لکنها غیر موثوق بها.من هنا فوجود بعض المعلومات لا یدل علی سلامه المصدر، دائما إذ ان هدف الشیاطین من إعطاء المعلومات السلیمه هو تضلیل البشر فی القضایا العامه.تماما مثل وسائل أعلام الطاغوت التی تنقل عشرین خبرا صحیحا لتدس خبرا هاما باطلا.

ص:۴۴۷

[سوره الحجر (١۵): الآيات ١٩ الى ٢۵]

اشاره

وَ اَلْأَرْضَ مَدَدْنٰاهٰا وَ أَلْقَيْنٰا فِيهٰا رَوٰاسِيَ وَ أَنْبَتْنٰا فِيهٰا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ (١٩) وَ جَعَلْنٰا لَكُمْ فِيهٰا مَعٰايِشَ وَ مَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرٰازِقِينَ
(٢٠) وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاّٰ عِنْدَنٰا خَزٰائِنُهُ وَ مٰا نُنَزِّلُهُ إِلاّٰ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ (٢١) وَ أَرْسَلْنَا اَلرِّيٰاحَ لَوٰاقِحَ فَأَنْزَلْنٰا مِنَ اَلسَّمٰاءِ مٰاءً فَأَسْقَيْنٰاكُمُوهُ وَ مٰا
أَنْتُمْ لَهُ بِخٰازِنِينَ (٢٢) وَ إِنّٰا لَنَحْنُ نُحْيِي وَ نُمِيتُ وَ نَحْنُ اَلْوٰارِثُونَ (٢٣) وَ لَقَدْ عَلِمْنَا اَلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَ لَقَدْ عَلِمْنَا اَلْمُسْتَأْخِرِينَ
(٢۴) وَ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (٢۵)

اللغه

٢٢[لواقح]:اللواقح الرياح التى تلقح السحاب حتى يحمل الماء يقال لقحت الناقه إذا حملت و القحها الفحل،و مفردها لاقحه.

ص:۴۴٨

قدره اللّه و حکمته ینبوع العطاء

هدی من الآیات:

کیف امتدت الأرض دون ان تهتز بفعل حرکتها،و من جعل فیها الجبال التی رست بسفینه الأرض،و کیف أنبت اللّه فیها من المعادن و النباتات،الموزونه، و جعل اللّه للإنسان فی الأرض ما یعیش علیه،کما جعل لسائر الأحیاء ما یرزقها دون ان یکون للإنسان أثر فعّال فیه.

و لکل نعمه ینبوع تفیض منه،و ینابیع النعم عند اللّه،و لکنه لا ینزل منها الا بقدر تقتضیه حکمته البالغه مثلا ینبوع المطر الذی جاء من بخار البحار و عواصف الریاح التی تلقحها و تحملها حتی تسقی الناس،ثم تبقی تحت الأرض فی خزائن یملکها اللّه.

و الحیاه بید اللّه،و خزائن الحیاه عنده،و الموت بید اللّه و أسباب الموت عنده و الوارث بعد الموت هو اللّه.

و العلم بمفاتيح الغيب ينبوع من خزائن القدره،فربنا الذی یحیط علمه بالسلف و الخلف،و اليه مصير الناس جميعا.

هكذا:تتصل شؤون البشر بمشيئه اللّه.ابتداء من أمه الأرض-الى معيشته فيها-الى ماء السماء،و اليه المصير.أو ليس الأفضل التسليم له؟

بینات من الآيات:

دلیل اللّه فی الأرض:

[۱۹]أحب البشر أرضه،التی نبت فیها،و ارتضع من خيراتها،و دب عليها، و من أجل الدفاع عن بضعه أشبار منها أرخص دمه.أو لا يعلم ان الأرض هذه خلقها اللّه،و مدها من تحته من بعد ان كانت كتله ملتهبه،ثم قرّر الجبال فيها، و وضعها حيث تحافظ على توازنها على أدق نظام،و هو الذی أحاط علما بوزن الجبال.

وَ الْأَرْضَ مَدَدْنٰاهٰا وَ أَلْقَيْنٰا فِيهٰا رَوٰاسِيَ الرواسی،الثوابت و واحدها راسیه و المراسی ما يثبت به (۱).

وَ أَنْبَتْنٰا فِيهٰا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ الوزن أدق من الكيل،و كل شیء له وزنه الخاص ليس فقط كمجموع بل كما نعلم ان كل ماده كيمياويه تتركب من ترتيب نسب معينه من المواد الاخرى.لا تزيد و لا تنقص بحيث لو زادت أو نقصت لأصبحت ماده أخرى تختلف بل تتناقض

۱- ۱) مجمع البيان ۳۳۲ ج ۵-۶.

خصائصها و میزاتها مع الماده السابقه.

[۲۰]و جعل اللّه،للإنسان معایشه فی الأرض،فعلمه کیف یعیش،و خلق أنواع الصید فی البر و البحر،و علمه کیف یصید و یزرع،و أودع فی الأرض کنوز الخیر یستخرجها البشر بالزراعه،و علمه کیف یحول مواد الأرض بحیث یستفید منها، کما أنه وفر لکل حی رزقا یناسبه هل یرزق البشر بعض أنواع الهوام و الحشرات و الدواب و الطیور،و الأسماک.

وَ جَعَلْنا لَکُمْ فِیها مَعایِشَ معایش جمع معیشه و هی طلب أسباب الرزق مده الحیاه (۱).

وَ مَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرازِقِینَ و قد تفسر الآیه:بان ربنا قد ضمن رزق من لا یملک حولا مثل المرضی و المقعدین.و.و.

[۲۱]و بالرغم من ان الإنسان یسعی من أجل رزقه،فهو مثلا:یحرث الأرض و یطلب الصید،و لکن هذا السعی لیس سوی وسیله لاستدرار رحمه اللّه.ذلک لأن خزائن اللّه ملیئه بالرزق،و تنتظر أوامر اللّه التی لا تأتی الا بحکمه،و متی تقتضی الحکمه؟عند ما یسعی البشر.

وَ إِنْ مِنْ شَیْءٍ إِلاّ عِنْدَنا خَزائِنُهُ وَ ما نُنَزِّلُهُ إِلاّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ فلو أعطی اللّه البشر من دون سعی لشجعه علی الکسل و الترف،و إذا أنزل علیه

ص:۴۵۱

۱- ۱) المصدر

أكثر من حاجته طغى فى الأرض.

[۲۲]و من خزائن رحمه اللّه بركات السماء،فالرياح تهب بسبب حركه الشمس،فتلقح السحب.تجمعها،و تربط السالب و الموجب فيها،و تجعلها مهيأه للمطر.

وَ أَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَ مَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ أنما ربنا الذى يخزن بقيه المياه فى خزائن جوف الجبال.

قدره اللّه و حكمته:

[۲۳]و الموت و الحياه بأمر اللّه،و لو لا الحياه هل كانت اموال الإنسان تنفعه شيئا؟! وَ إِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَ نُمِيتُ وَ نَحْنُ الْوَارِثُونَ فالأموال تعود بالتالى الى اللّه.

[۲۴]و هكذا ينبغى الاّ نعبد الأرض و ما فيها و لا معايشنا،بل نعبد اللّه ربنا لا سيما و ربنا يحيط علما بالبشر الخلف و السلف.

وَ لَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَ لَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ [۲۵]و أنه سوف يحاكم الجميع بعد ان يحشرهم اليه،و هو حكيم لا يجازيهم الا بما كسبوا،عليم بما فعلوا.

وَ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ

ص:۴۵۲

[سوره الحجر (۱۵): الآيات ۲۶ الی ۴۴]

اشاره

وَ لَقَدْ خَلَقْنَا اَلْإِنْسانَ مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (۲۶) وَ اَلْجَانَّ خَلَقْناهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نارِ اَلسَّمُوم (۲۷) وَ إِذْ قالَ رَبُّکَ لِلْمَلائِکَهِ إِنِّی خالِقٌ بَشَراً مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (۲۸) فَإِذا سَوَّیْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِیهِ مِنْ رُوحِی فَقَعُوا لَهُ ساجِدِینَ (۲۹) فَسَجَدَ اَلْمَلائِکَهُ کُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (۳۰) إِلاّ إِبْلِیسَ أَبی أَنْ یَکُونَ مَعَ اَلسّاجِدِینَ (۳۱) قالَ یا إِبْلِیسُ ما لَکَ أَلاّ تَکُونَ مَعَ اَلسّاجِدِینَ (۳۲) قالَ لَمْ أَکُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (۳۳) قالَ فَاخْرُجْ مِنْها فَإِنَّکَ رَجِیمٌ (۳۴) وَ إِنَّ عَلَیْکَ اَللَّعْنَهَ إِلی یَوْمِ اَلدِّینِ (۳۵) قالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِی إِلی یَوْمِ یُبْعَثُونَ (۳۶) قالَ فَإِنَّکَ مِنَ اَلْمُنْظَرِینَ (۳۷) إِلی یَوْمِ اَلْوَقْتِ اَلْمَعْلُوم (۳۸) قالَ رَبِّ بِما أَغْوَیْتَنِی لَأُزَیِّنَنَّ لَهُمْ فِی اَلْأَرْضِ وَ لَأُغْوِیَنَّهُمْ أَجْمَعِینَ (۳۹) إِلاّ عِبادَکَ مِنْهُمُ اَلْمُخْلَصِینَ (۴۰) قالَ هذا صِراطٌ عَلَیَّ مُسْتَقِیمٌ (۴۱) إِنَّ عِبادِی لَیْسَ لَکَ عَلَیْهِمْ سُلْطانٌ إِلاّ مَنِ اِتَّبَعَکَ مِنَ اَلْغاوِینَ (۴۲) وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِینَ (۴۳) لَها سَبْعَهُ أَبْوابٍ لِکُلِّ بابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ (۴۴)

اللغه

۲۶[صلصال]:الصلصال الطین الیابس یسمع له عند النقر صلصله و الصلصله هی القعقعه و یقال لصوت الحدید و لصوت الرعد صلصله و هی صوت شدید متردد فی الهواء وصلّ یصل إذا صوت.

[حمأ]:الحمأ جمع حمأه و هو الطین المتغیر الی السواد.

[مسنون]:من سننت الماء علی وجهه ای جببته و قیل المتغیر.

۲۷[الجان]:مفرد جنان و هو أبو الجن(إبلیس).

[السموم]:الریح الحاره أخذ من دخولها بلطفها فی مسام البدن.

ص:۴۵۳

۳۶[فانظرنی]:أمهلنی فی الدنیا و لا تمتنی.

۳۹[اغویتنی]:الإغواء الدعاء الی الغی و الضلال.

[لأزینن]:التزیین جعل الشیء متقبلا فی النفس و إغواء الشیطان تزیینه الباطل حتی یدخل صاحبه فیه.

ص:۴۵۴

كيف يتحدى المؤمن غوايه الشيطان

هدى من الآيات:

الأرض التى تحتضننا خليقه اللّه،فما ذا عن الإنسان فوق الأرض،و ما هى قصته التى لا تنتهى؟ لقد كان ترابا فجعل طينا،و بقى حتى تسنّه،ثم أصبح صلصالا كالفخار يابسا يخلق منه البشر،و قبلئذ خلق الجان من نار أوجدتها الرياح السامه.

و بدأت القصه حيث قال اللّه للملائكه-و كان بينهم بعض الجان-و هو إبليس:أنى خالق بشرا من طين يابس متخذ حمأ مسنون،و أمرهم بان يسجدوا له متى ما أصبح سويا متكاملا،و عند ما يبعث فيه من الروح التى خلقها،فاذا بهم يسجدون جميعا،و يأبى إبليس،و يسأله الرب:لماذا لم تكن من الساجدين؟ فيجيب:أو لست قد خلقتنى من نار و مثلى لا يسجد لبشر مخلوق من صلصال قد أتخذ من هذا الحمأ المتغير،فيخرجه اللّه من ساحه قربه و يرجمه بلعنته،و يطرده الى ان

یأتی یوم الـدین فیحاسب.بید انه یطلب الامهال الی یوم البعث،فیعطیه الرب مهله معیّنه لا یعرف مداها،و یتوعد بنی آدم:بان یزین لهم فی الأرض و ان یغیرهم أجمعین،و لکنه یعرف ان هناک عبادا لله قد أخصهم ربهم لنفسه بسبب عبادتهم له و تسلیمهم لأوامره،و یؤکد ربنا ان هناک صراطا مستقیما یتعهده اللّه و یسیر علیه عباد اللّه الذین لا سلطان لإبلیس علیهم.انما سلطانه علی من یتبعه و هم الغاوون الذین سیکون مصیرهم جهنم التی لها سبعه أبواب.کل فریق منهم یدخل من باب بینما المتقون فی جنات و عیون یدخلونها و هم سالمون آمنون.لا- یعیش فی قلوبهم غل و هم اخوان یجلسون علی سرر متقابلین.لا- یعتریهم تعب لا یخشون من إخراج.تلک هی قصه الإنسان فوق الأرض فهل نعرف مغزاها؟

بینات من الآیات:

مراحل الخلق:

المرحله الاولی:

[۲۶]کیف خلق اللّه الإنسان الأول؟ ان ربنا أحسن الخالقین قد یخلق شیئا بقوله کن فیکون إِنَّمٰا أَمْرُهُ إِذٰا أَرٰادَ شَیْئاً أَنْ یَقُولَ لَهُ کُنْ فَیَکُونُ و قد یخلقه وفق السنن و الأنظمه،و قد خلق جسد الإنسان بهذه الطریقه حسبما تشیر الیه تکاملیه خلقه و ضمیر الجمع فی«خلقنا»أما روحه فقد نفخها فیه بقدرته المطلقه و بصوره مباشره حسبما توحی الیه ایه قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّی و ضمیر المفرد فی قوله هنا:و نفخت فیه من روحی.

و هکذا تدرج الإنسان من تراب،ثم الی طین لازب و الی حمأ مسنون و الی صلصال کالفخار،و الی ان سواه ربنا إنسانا فنفخ فیه من روحه.

وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ الصلصال:الطين الجاف،الحماه،و الحمأ:طين أسود منسق،و المسنون:المتغير.

يبدو ان ربنا أجرى على التراب ماء فتفاعل معه فأصبح طينا لازبا،ثم تفاعل معه فأصبح متعفنا،ثم نمت الحياه فيه بفعل التفاعل و خلق فيه الحياه فأصبح مستويا،ثم نفخ اللّه فيه روح العقل و الإراده،فاستحق سجود الملائكه.

قال صاحب مجمع البيان:و أصل آدم ترابا،و ذلك قوله:« خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ »ثم جعل التراب طينا،و ذلك قوله:« وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ »ثم ترك ذلك الطين حتى تغير و استرخى و ذلك قوله:« مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ »ثم ترك حتى جف و ذلك قوله:« مِنْ صَلْصالٍ »فهذه الأقوال لا تناقض فيها.إذ هى أخبار عن حالاته المختلفه (۱)

الطبائع البشريه:

و يبدو ان لكل أصل من أصول البشر رواسب فى خلقته،فلأنه من تراب يحن الى الأرض،و يحب العماره فيها،و ينبغى ان يكون خاضعا لله،ساجدا عليها،لا يرى أحد انه أفضل من غيره بطبعه لأن طبعهم جميعا هو التراب.

و لأنه من طين لازب فهو ابن الشهوات و الأهواء،و لكنه يتصلب على شىء بسبب كونه من صلصال،و تلك جميعا طبائع البشر الماديه،أما الروح فلها خصائص أخرى.

[۲۷]قبل ان يخلق اللّه البشر خلق عدوه-الجان-الذى يقابل الأنس،ذكر هنا بلفظه جان للدلاله على طبيعته كما نقول الإنسان،و نشير الى طبيعته دون

۱- ۱) مجمع البيان ج ۵-۶/الصفحه ۳۳۵

ملاحظه أفراده.

كيف خلق الجان،يبدو ان ريحا تحمل السموم بسبب حرارتها،و قد عصفت فاوجدت نارا فخلق اللّه منها الجان.

وَ الْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ [۲۸]و أما كيف أصبح الجان عدو الإنسان فلذلك قصه أخرى بدأت مع اخبار اللّه ملائكته:انه سوف يخلق بشرا.

وَ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاٰئِكَهِ إِنِّی خَالِقٌ بَشَراً مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ و عرف الملائكه طبيعه هذا الخلق كما جاء فی سوره البقره.انه ما دام من الطين فلا بد ان يفسد فی الأرض.

المرحله الثانيه:

[۲۹]و لكن اللّه انبأهم ان له طبيعه اخرى يستحق بها السجود و الخضوع تلك هی روحه الإلهيه.

فَإِذٰا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِی فَقَعُوا لَهُ سٰاجِدِينَ و يبدو ان التسويه هی تكامل جميع الأعضاء،و تعادل الغرائز و هذه مرحله تسبق مرحله بث الروح.

[۳۰]أما الملائكه التی هی الأرواح المطيعه لربها،المكلفه بتسيير الخليقه حسبما يأمرها جبارها،فانها سجدت لآدم لمكان الروح التی نفخت فيه من اللّه.

فَسَجَدَ الْمَلاٰئِكَهُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ

ص:۴۵۸

و كما استوحينا من آيه فى سوره البقره:ان الملائكه ترمز الى قوى الطبيعه التى سخرت للبشر،بينما بقيت قوه فى الطبيعه هذه هى قوه نفسه الموكل بها إبليس.

[۳۱]لذلک لم ینضم إبلیس إلی مجموعه الساجدین متعمدا و عن سبق إصرار.

إِلاّٰ إِبْلِيسَ أَبىٰ أَنْ يَكُونَ مَعَ السّٰاجِدِينَ [۳۲]لم يرضى الرب بذلک،بل نهره قائلا:

قٰالَ يٰا إِبْلِيسُ مٰا لَكَ أَلاّٰ تَكُونَ مَعَ السّٰاجِدِينَ فقوى الشر ليست ضمن برنامج السماء،و لا هى مقضيه من قبل الرب على البشر إنما هى شذوذ عن سنه اللّه،و تمرد مؤقت لإرادته،و لذلک ینبغی الا یستسلم لها البشر و لا یعترف بشرعیتها،و یناضل ضدها أبدا حتى ينتصر عليها بإذن اللّه.

[۳۳]و تعلیل إبلیس کان أسوء من عمله.إذ زعم انه أفضل من آدم،و أخطأ مرتین:

مره حین أعتقد ان ابن النار أفضل من ابن التراب،و اعتقد ان افضلیه المخلوق هی بأصله،لا بعلمه و بفوائده.

و المره الثانيه،حين تمرد على أوامر اللّه،اعتمادا على هذا الزعم،فحتى لو كان أفضل من آدم-جدلا-فان سجوده بأمر اللّه ليس سجودا لآدم-فى الواقع-بل لمن أمره و هو اللّه.ان طاعتک مثلا للنبى أو الامام ليست طاعه له فى الواقع بل لله، و إن تسليمک لأوامر قيادتک الإلهيه ليس تسليما لبشر،بل لمن أمرک بذلک.

قٰالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصٰالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ و نستوحى من هذه الآيه:ان طينه الإنسان لم تكن مقدسه تستدعى السجود من

قبل الملائکه بل ان کرامته من اللّه،و بقدر طاعته لله لان طینته کانت من طین یابس متخذ من طین متعفن،و قد نفرت منه بعض قوی الطبیعه لزعمها أنها أفضل منها.

[۳۴]و لأن التمرد علی اللّه،و مخالفه الحق شذوذ فی برنامج الحیاه و لیس جزء مقدرا منه،أو جانبا مقضیا،فقد طرد ربنا إبلیس من مقام الاراده و التوجیه، و أبعده أیضا عن مقام الطبیعه المأموره،و رجمه باللعنه فهبط إبلیس بذلک ثلاث درجات:

الاولی:حین قال له اللّه:

قٰالَ فَاخْرُجْ مِنْهٰا أی من مقام الملائکه حسبما یهدی الیه السیاق،و قالوا من الجنه أو من السماء أو من الأرض،و لان مقام الملائکه هو مقام الأمر حیث أنهم ینفذون أوامر اللّه علی الطبیعه فهم وسائط امره عز و جل فلذلک کان إخراج إبلیس من ذلک المقام الذی هو السماء بالنسبه إلینا،«السماء مصدر الأمر فی القرآن»اللعنه الاولی.

الثانیه:حیث اسقطه الرب عن مقام سائر ما فی الطبیعه مما استسلمت لأوامر اللّه طوعا فأصبح رجیما و قال له اللّه:

فَإِنَّکَ رَجِیمٌ و نستوحی من الآیه-مره ثانیه-ان العصیان شذوذ فی الطبیعه لا قاعده.

[۳۵]الثالثه:حین کتب علیه الرب اللعنه فأصبحت الطبیعه ضده و قال تعالی.

وَ إِنَّ عَلَیْکَ اللَّعْنَهَ إِلیٰ یَوْمِ الدِّینِ

و اللعنه هی الأبعاد من رحمه اللّه،و یوم الدین هو یوم الجزاء.

المرحله الأخیره:

[۳۶]و انتهت المرحله الثانیه من قصه الخلیقه،و بقیت المرحله الأخیره التی هی عبرتها،و ما یلتصق بحیاتنا أکثر فأکثر،ذلک ان إبلیس طلب من اللّه فرصه الی یوم البعث،فأعطاه اللّه فرصه معینه الی یوم معلوم،قد یکون قبل یوم البعث أو هو یوم البعث ذاته.

قٰالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِی إِلیٰ یَوْمِ یُبْعَثُونَ و هنا کشف القرآن عن فلسفه المسافه الزمنیه التی تفصل بین الجزاء و بین العمل فی الدنیا.

[۳۷]قٰالَ فَإِنَّکَ مِنَ الْمُنْظَرِینَ و البشر بدوره یعطی مهله الی أجل محدود.

[۳۸]و ینتهی الأجل الی وقت معلوم عند اللّه.مجهول عند صاحبه.

إِلیٰ یَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ قال البلخی:«فأبهم و لم یبین لأن فی بیانه إغراء بالمعصیه» (۱).

[۳۹]أخذ یهدد إبلیس بنی آدم الذی کان سبب اختباره و بالتالی لعنته.

قٰالَ رَبِّ بِمٰا أَغْوَیْتَنِی

۱- ۱) المصدر ص ۳۳۸

لـم يضـل اللّه إبليس إلاـ بعـد أن أختـار بكامـل وعيه و بسـابق قصـده عصـيان أمر الرب و يكفى فى معنى السـبب الـذى تـوحيه كلمه«باء»،هذا القدر من العلاقه و خلاصه معناه رب كما انك اختبرتنى ففشلت،فانى سوف أهيئ لهم وسائل الاختبار فيفشلون،و هكـذا أنتقم منهم-و كـان اللّه يريـد ان يختـبر عبـاده-و هـذا إبليس رشـح نفسه لهـذه المهمه،كمـا ان اللّه يريـد ان يعـذب القوم الظالمين فيرشح من هو أظلم منهم نفسه للانتقام فيتركه اللّه-بينه و بينهم-فيصدق

الحديث القدسى:

«الظالم سيفى أنتقم به و أنتقم منه. » أما كيف و بأيه وسيله أراد إبليس إغواء البشر؟فلقد كشفها لنا قائلا:

لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ أى سوف أجعل الأرض جميله فى أفئدتهم حتى تستهويهم.

[۴۰]إغواء إبليس كاغواء اللّه لإبليس.مجرد اختبار و ليس إجبار،و يشهد عليه ان عباد اللّه المخلصين يتمردون عليه.

إِلاّـ عِبادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ [۴۱]و صـراط اللّه مسـتقيم و هـو الى اللّه،و على اللّه المحـافظه عليه مسـتقيما،و الاّـ يـدع التشـويه و الانحراف يصيبه كما قال سبحانه فى الآيه العاشره من هذه السوره:

« إِنّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنّا لَهُ لَحافِظُونَ ».

قالَ هذا صِراطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ فمهما كان لإبليس من قوه الإغراء و من جمال التزيين،فان اللّه لن يدع له المجال لتحويل الحق الى الباطل،و بطمس معالم الدين كليا.

ص:۴۶۲

[۴۲]و أنه لن يدعه يجبر الإنسان على اتباعه،نعم من تبعه يضله اللّه،و لا يعينه على الشيطان الغوى.

إِنَّ عِبٰادِی لَیْسَ لَکَ عَلَیْهِمْ سُلْطٰانٌ إِلاّٰ مَنِ اتَّبَعَکَ مِنَ الْغٰاوِینَ و هم اختاروا سلطه إبليس اختيارا و لم يجبرهم عليها اللّه،فحرام تبرير البعض خطأهم و انحرافهم بأنهم كانوا مجبورين.

[۴۳]أما الغاوون فان اللّه أجل عذابهم الجماعى إلى جهنم.

وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِینَ [۴۴]حيث تختلف أبواب الضلاله و لكنها بالتالى تنهى الى ذات المصير الواحد.

لَهٰا سَبْعَهُ أَبْوٰابٍ لِکُلِّ بٰابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ

[سوره الحجر (۱۵): الآيات ۴۵ الی ۶۰]

اشاره

إِنَّ اَلْمُتَّقِينَ فِی جَنّاتٍ وَ عُيُونٍ (۴۵) اُدْخُلُوها بِسَلامٍ آمِنِينَ (۴۶) وَ نَزَعْنا ما فِی صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْواناً عَلی سُرُرٍ مُتَقابِلِينَ (۴۷) لا
يَمَسُّهُمْ فِيها نَصَبٌ وَ ما هُمْ مِنْها بِمُخْرَجِينَ (۴۸) نَبِّئْ عِبادِی أَنِّی أَنَا اَلْغَفُورُ اَلرَّحِيمُ (۴۹) وَ أَنَّ عَذابِی هُوَ اَلْعَذابُ اَلْأَلِيمُ (۵۰) وَ
نَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْراهِيمَ (۵۱) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقالُوا سَلاماً قالَ إِنّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ (۵۲) قالُوا لا تَوْجَلْ إِنّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ عَلِيمٍ (۵۳)
قالَ أَ بَشَّرْتُمُونِی عَلی أَنْ مَسَّنِیَ اَلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ (۵۴) قالُوا بَشَّرْناكَ بِالْحَقِّ فَلا تَكُنْ مِنَ اَلْقانِطِينَ (۵۵) قالَ وَ مَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَهِ
رَبِّهِ إِلاَّ اَلضّالُّونَ (۵۶) قالَ فَما خَطْبُكُمْ أَيُّهَا اَلْمُرْسَلُونَ (۵۷) قالُوا إِنّا أُرْسِلْنا إِلی قَوْمٍ مُجْرِمِينَ (۵۸) إِلاّ آلَ لُوطٍ إِنّا لَمُنَجُّوهُمْ
أَجْمَعِينَ (۵۹) إِلاَّ اِمْرَأَتَهُ قَدَّرْنا إِنَّها لَمِنَ اَلْغابِرِينَ (۶۰)

اللغه

۴۷[غل]:الغل الحقد الذی ينغل فی القلب،و الغلول الخيانه التی يطوق عارها صاحبها.

[سرر]:السرير المجلس الرفيع موطأ للسرور و جمعه الأسره.

۵۲[و وجلون]:خائفون

ص:۴۶۴

۵۵[القانطین]الذین یقنطون من رحمه اللّه و القنوط هو الیأس.

ص:۴۶۵

النهايه بين المتقين و المجرمين

هدى من الآيات:

تلك كانت البـدايه أما نهايه البشـريه،فان من اتقى فان مقامه جنات تظلله و عيون ترويه،و سـلام أبدى و وئام مع اخوان الصـفا،و راحه بلا نصب،و اقامه بلا إخراج،و غفران من اللّه الغفور الرحيم.أما من أجرم فان له عذابا أليما.

و كمثل على ذلك فى الدنيا،جزاء اللّه لإبراهيم إذ دخل عليه ضـيوف مكرمون فسلّموا عليه،و لكنه أبدى خوفه منهم فطمأنوه بألاّ يخاف لأنهم جاؤوا يبشـرونه بغلام عليم،فاستغرب فرحا و قال:كيف و أنا كبير السن فهل تبشرونى بحق؟!قالوا بلى و لا تكن آيسا من رحمه اللّه،فاستدرك إبراهيم قائلا كيف أقنط و لا ييأس من رحمه ربه إلاّ الضالون،و هذا جانب من فضل اللّه.

ثم سـألهم عن وجهه سـيرهم؟قـالوا:نحن مبعوثـون الى أنـاس مجرمين-هـم قوم لوط-حيث نهلكهم،إلاّ آل لوط المؤمنين الـذين سوف ننجيهم أجمعين،باستثناء امرأته التى ستكون من الهالكين،و هذا جانب من عذاب اللّه.

ص:۴۶۶

بينات من الآيات:

اشاره

[۴۵]من هم المتقون و ما هو جزاءهم؟ المتقون هم الذين لا يستجيبون لإغواء إبليس،و يتجنبون مصائده،و يعرفون كيف يزين لهم في الدنيا،و جزاءهم كالتالي:

أولا:يأكلون و يشربون بلا تعب.

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنّٰاتٍ وَ عُيُونٍ [۴۶]ثانيا:يشعرون بسلام أبدي.

اُدْخُلُوهٰا بِسَلاٰمٍ آمِنِينَ و كلّ الناس يبحثون عن عاقبه أجسادهم و أعراضهم،و عن ضمان مستقبلهم، و لكن المتقين هم وحدهم الذين يدركون كلّ ذلك.

[۴۷]ثالثا:بعد أن يشعر الفرد باطمئنان كاف،يبحث عن مؤمنين يتقاسم معهم النعماء،فالمؤانسه غذاء الروح،و العطاء راحه القلب،و يوفر اللّه للمتّقين هذا الطموح،فينزع كلما في صدورهم من مرض قلبي-كالحسد و البخل و الطمع.و.و.-حتى تكون نفوسهم متلاقيه متساميه عن الحجب،ثم يجلسون على سرر متقابلين،و ما أحلى مقعدهم(!).

وَ نَزَعْنٰا مٰا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوٰاناً عَلىٰ سُرُرٍ مُتَقٰابِلِينَ [۴۸]رابعا:ليسوا بحاجه الى إتعاب أنفسهم أو الخوف من المستقبل.

لاٰ يَمَسُّهُمْ فِيهٰا نَصَبٌ وَ مٰا هُمْ مِنْهٰا بِمُخْرَجِينَ

النصب:التعب،و ربما ارتبط التعب بالخوف من المستقبل فی الآیه،بسبب ان أكثر تعب الناس فی الدنیا أنما هو للحرص علی الدنیا،و الخوف من المستقبل.

[۴۹]كم یبعث السكینه فی النفس البشریه التی تعیش القلق علی المستقبل المجهول،و الخوف من آثار الأخطاء و الذنوب حین یطمأنه رب العالمین بأنه هو الغفور الرحیم،بكلمات ملؤها الحنان فیقول:

نَبِّئْ عِبٰادِی أَنِّی أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِیمُ لقد أعلن الرب رسمیا لمن وصفهم بأنهم عباده قد خلقهم رحمه بهم لأنه هو الغفور.یمحی آثار الذنوب الماضیه،الرحیم یزید من یتوب من رحمته.

[۵۰]و لكنه فی ذات الوقت ینبغی أن یكون مرهوب الجانب.

وَ أَنَّ عَذٰابِی هُوَ الْعَذٰابُ الْأَلِیمُ

ضیف إبراهیم:

[۵۱]و كشاهد علی ذلك،قصه ضیف إبراهیم،حیث جاءت الملائكه إبراهیم بالبشری بینما حملت الی قوم لوط،العذاب الألیم.

وَ نَبِّئْهُمْ عَنْ ضَیْفِ إِبْرٰاهِیمَ [۵۲] إِذْ دَخَلُوا عَلَیْهِ فَقٰالُوا سَلاٰماً قٰالَ إِنّٰا مِنْكُمْ وَجِلُونَ ربما لأنهم جاؤوا فی وقت غیر مناسب،أو لأنّهم لم یأكلوا من طعامه،و كانت العاده تقضی بان من یأكل طعاما فی بیت لا یلحق بأهله أذی احتراما للزاد و الملح، فاذا لم یأكل یعتقد انه ینوی شرا.

[۵۳]قالُوا لا تَوْجَلْ إِنّا نُبَشِّرُکَ بِغُلامٍ عَلِیمٍ فلقد جئناک مبشرین لا منذرین،و نحن ملائکه ربک،و الملائکه کما نعرف تتمثل فی صوره بشر سوی کما تمثل لمریم.

[۵۴]و کان إبراهیم ینتظر بفارغ الصبر هذا الحدث السعید،و قد أشرف علی الیأس بسبب طول الانتظار،و ها هو الرب یبشره لیس بالغلام فقط و إنما أیضا بأنه صاحب فضل و علم،و بالتالی هو الولی الذی ینتظره منذ وقت لیکون وارث علمه و هداه،و لأن إبراهیم فوجئ بالأمر فقد کان رد فعله الأولی التعجب و الاستغراب.

قالَ أَ بَشَّرْتُمُونِی عَلی أَنْ مَسَّنِیَ الْکِبَرُ فانا قد احتوانی عمری الطویل،و قد شارفت علی مرحله الشیخوخه التی لا تقل عن المرض الذی یمس صاحبه.فکیف تبشرونی؟! فَبِمَ تُبَشِّرُونَ هل هذه مجرد أمانی و کلمات ترحاب یتبادلها الناس،أم وعد مؤکد من اللّه.

[۵۵]قالُوا بَشَّرْناکَ بِالْحَقِّ و بأمر من اللّه،و لیس مجرد أمنیه حلوه نتمنی لک تحقیقها.

فَلا تَکُنْ مِنَ الْقانِطِینَ ذلک ان رحمه اللّه واسعه،و تنزل علی البشر بقدر أملهم فی اللّه،و ثقتهم فیه، فلما ذا الیأس.

[۵۶]و نفى إبراهيم أن يكون تساؤله بسبب قنوطه و يأسه من رحمه اللّه،بل ربما كان بسبب عدم معرفه جديه البشاره،لذلك نراه يؤكد ان الضالين الذين لا يعرفون إحاطه اللّه بقدرته و علمه و رحمته على الكون،هم وحدهم الذين يقنطون، فما دام ربك واسع الرحمه،قريب مجيب الدعاء،و قادر على كلّ شيء.فلما ذا القنوط؟! قالَ وَ مَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَهِ رَبِّهِ إِلاَّ الضّالُّونَ [۵۷]و لما اطمأنت نفس إبراهيم الى أن ضيوفه ملائكه اللّه سألهم عن وجهتهم؟و لماذا هبطوا الى الأرض هل لمجرد بشارته،أم لأمر جلل.

قالَ فَما خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ الخطب:الأمر العظيم.

[۵۸] قالُوا إِنّا أُرْسِلْنا إِلى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ [۵۹]و عرف إبراهيم انهم ملائكه العذاب مبعوثون الى قوم لوط و تساءل عن مصير لوط،فقالوا له:

إِلاّ آلَ لُوطٍ إِنّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ هو و من آمن معه من أهله و قومه.

[۶۰]و ليس النجاه لآل لوط لأنهم ينتسبون اليه-لان عذاب اللّه أليم،و لا تحيد عن الظالمين-لذلك فان امرأته جزاءها اللّه الهلاك.

إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْنا إِنَّها لَمِنَ الْغابِرِينَ أىّ الهالكين.

ص:۴۷۰

[سوره الحجر (۱۵): الآيات ۶۱ الی ۸۴]

اشاره

فَلَمّا جاءَ آلَ لُوطٍ اَلْمُرْسَلُونَ (۶۱) قالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (۶۲) قالُوا بَلْ جِئْناکَ بِما کانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ (۶۳) وَ أَتَيْناکَ بِالْحَقِّ وَ إِنّا
لَصادِقُونَ (۶۴) فَأَسْرِ بِأَهْلِکَ بِقِطْعٍ مِنَ اَللَّيْلِ وَ اِتَّبِعْ أَدْبارَهُمْ وَ لا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَ اُمْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ (۶۵) وَ قَضَيْنا إِلَيْهِ ذٰلِکَ
اَلْأَمْرَ أَنَّ دابِرَ هٰؤُلاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ (۶۶) وَ جاءَ أَهْلُ اَلْمَدِينَهِ يَسْتَبْشِرُونَ (۶۷) قالَ إِنَّ هٰؤُلاءِ ضَيْفِی فَلا تَفْضَحُونِ (۶۸) وَ اِتَّقُوا
اَللّهَ وَ لا تُخْزُونِ (۶۹) قالُوا أَ وَ لَمْ نَنْهَکَ عَنِ اَلْعالَمِينَ (۷۰) قالَ هٰؤُلاءِ بَناتِی إِنْ كُنْتُمْ فاعِلِينَ (۷۱) لَعَمْرُکَ إِنَّهُمْ لَفِی سَكْرَتِهِمْ
يَعْمَهُونَ (۷۲) فَأَخَذَتْهُمُ اَلصَّيْحَهُ مُشْرِقِينَ (۷۳) فَجَعَلْنا عالِيَها سافِلَها وَ أَمْطَرْنا عَلَيْهِمْ حِجارَهً مِنْ سِجِّيلٍ (۷۴) إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَآياتٍ
لِلْمُتَوَسِّمِينَ (۷۵) وَ إِنَّها لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ (۷۶) إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَآيَهً لِلْمُؤْمِنِينَ (۷۷) وَ إِنْ كانَ أَصْحابُ اَلْأَيْكَهِ لَظالِمِينَ (۷۸) فَانْتَقَمْنا مِنْهُمْ
وَ إِنَّهُما لَبِإِمامٍ مُبِينٍ (۷۹) وَ لَقَدْ كَذَّبَ أَصْحابُ اَلْحِجْرِ اَلْمُرْسَلِينَ (۸۰) وَ آتَيْناهُمْ آياتِنا فَكانُوا عَنْها مُعْرِضِينَ (۸۱) وَ كانُوا يَنْحِتُونَ
مِنَ اَلْجِبالِ بُيُوتاً آمِنِينَ (۸۲) فَأَخَذَتْهُمُ اَلصَّيْحَهُ مُصْبِحِينَ (۸۳) فَما أَغْنى عَنْهُمْ ما كانُوا يَكْسِبُونَ (۸۴)

اللغه

۶۲[منكرون]:غير معروفين.

۶۵[فأسر]:الإسراء سير الليل.

ص:۴۷۱

۷۲[یعمهون]:من العمه و هو أشد العمی.

۷۵[للمتوسمین]:المتوسم الناظر فی السمه الداله و هی العلامه.

۷۶[لبسبیل مقیم]:فی طریق ثابت.

۷۸[الأیکه]:الشجر الملتف و جمعها أیک.

ص:۴۷۲

العذاب حصاد الظالمين

هدی من الآيات:

و جاء ضیوف إبراهیم الی قری لوط،فلما شاهدهم لوط لم یعرفهم فقالوا نحن جئنا لتحقیق وعد اللّه الذی کانوا یشکون فیه،و هذا هو الحق و نحن صادقون فیه، و أمروه بان یخرج من قریته لیلا هو و أهله و لیکن خلف أهله یشیعهم،و لا یلتفت أحد منهم الی ما وراءه،و لیمضوا الی حیث یأمرهم اللّه دون تردد،و قد نزل بقومه قضاء اللّه الذی قرر أن یهلکهم دون أن یبقی منهم أحد یحفظ سلالتهم.هذا من جهه،و من جهه ثانیه حین اکتشف أهل القریه وجود الضیوف،جاؤوا یستبشرون لیفجروا بهم تصدی لهم لوط و قال:بان هؤلاء ضیفی فلا تفضحونی فی ضیفی، و اتقوا عذاب اللّه،و لا تجلبوا الخزی علیّ.أمّا هم فقد استمروا فی غیهم،و قالوا:

نحن لا نقبل جوارک لأننا قد نهیناک سابقا عن استقبال الضیوف و إجارتهم،فعرض علیهم النکاح من بناته و الاستعفاف بهن عن الفاحشه،و لکنهم کانوا لا یزالون فی سکرتهم یعمهون.

ص:۴۷۳

و هكذا أخذتهم الصيحه فى وقت الشروق،و جعل اللّه عالى القريه سافلها، و أمطر عليهم حجاره من سجيل،و ان قصه هؤلاء عبره لمن ينتفع بالعبر،و انها لعبره قائمه و لكن ليس كلّ شخص يستفيد من العبره إلاّ المؤمنون!.

و مثل لوط قوم شعيب و هم أصحاب حقول مزروعه انتقم اللّه منهم،و كانت قريتهما فى موضع يؤمه الناس.

و أصحاب الحجر كذبوا بدورهم المرسلين،و كلما أتاهم اللّه من آياته أعرضوا عنها،و أخذوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين فيها،فنزل عليهم عذاب اللّه حيث أخذتهم الصيحه فى وقت الصباح،فهل منعت بيوتهم عنهم شيئا من العذاب.

كلا..

بينات من الآيات:

و جاء الضيوف:

[۶۱]جاء ضيف إبراهيم الى قرى لوط حيث كان يقطنها مجموعه من المجرمين،و قطاع الطرق.

فَلَمّٰا جٰاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ و التعبير بكلمه«آل»يدل على أن نظامهم كان عشائريا.شأن سائر القبائل العربيه آنئذ.

[۶۲]فلما رآهم و قد جاؤوا اليه،بهيئه شباب عليهم مسحه من الجمال و الجلال فسألهم بعد أن استضافهم.

قٰالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ

فلستم من أهل المنطقه،و لکی لاـ یمسهم قومه بسوء لذلک أجارهم علی عاده القوانین الشائعه فی قومه التی ینبغی أن یأخذ المؤمن الرسالی بأفضلها و أنفعها.

[۶۳]افصحوا عن أنفسهم و بینوا أنهم ملاـئکه اللّه،و قد جاؤوا بالعذاب الذی شکک قومه فیه أنفسهم طویلا.فها هو العذاب یأتیهم.

قٰالُوا بَلْ جِئْنٰاکَ بِمٰا کٰانُوا فِیهِ یَمْتَرُونَ [۶۴]و کانت المفاجأه،و ارتسمت علی وجه لوط علائم الاستغراب و عاد الملائکه یؤکدون علی أن میعاد العذاب قد حان الیوم بلا شک.

وَ أَتَیْنٰاکَ بِالْحَقِّ وَ إِنّٰا لَصٰادِقُونَ [۶۵]ثم أمروه بالرحیل،و هجره الصالحین نذیر العذاب علی الآخرین و کانت الهجره سریه ربما خوفا من منع الناس لهم،و کان المفروض علی لوط أن یسیر خلفهم و یشهد تحرکهم لکی لا یبقی أحد منهم.

فَأَسْرِ بِأَهْلِکَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّیْلِ یبدو أن لوط أثّر فقط فی أهله بینما بقی الآخرون علی فسادهم.

وَ اتَّبِعْ أَدْبٰارَهُمْ أی اقتفی أثرهم و لان الهجره کانت صعبه لذلک جاءهم الأمر.

وَ لاٰ یَلْتَفِتْ مِنْکُمْ أَحَدٌ أی لا ینظر الی ما وراءه.

وَ امْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ و استمروا من دون تردد أو تراجع،و هكذا ينبغى ان يهاجر الرسالى قومه بعد يأسه منهم دون شفقه عليهم أو حنان،أو ميل الى ما يخلفه فيهم من مال أو أقارب.

[۶۶]و قضى اللّه،و أخبر لوطا بقضائه بذلك الأمر الخطير،و هو الحكم بالأعدام الكامل لسلاله تلك العشيره الفاسده.

وَ قَضَيْنا إِلَيْهِ ذٰلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دٰابِرَ هٰؤُلاٰءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ فلا أحد يبقى منهم ليستمر نسلهم فيه حتى زوجه لوط التى كانت منهم هلكت معهم حيث حنّت على قومها،و التفت الى ما ورائها من أهل و متاع.

و هكذا تجسد الحق فى انتقام شديد من قوم فسدوا و لم ينفعهم الإصلاح شيئا.

[۶۷]هذه صوره من المشهد،أما الصوره الثانيه فإنّ أهل المدينه استبشروا بالضيوف،لأنهم كانوا يفعلون الفاحشه بمن يمرّ عليهم،و كان موقعهم الجغرافى يساعد على هذه الفعله حيث كانوا على الطريق الرئيسى الذى يربط المدينه بالشام على ما نقل عن قتاده.

وَ جٰاءَ أَهْلُ الْمَدِينَهِ يَسْتَبْشِرُونَ

المسؤوليه الاجتماعيه:

[۶۸]فتلقاهم لوط بالنصيحه،و أجار الضيوف.

قٰالَ إِنَّ هٰؤُلاٰءِ ضَيْفِي فَلاٰ تَفْضَحُونِ

و کان الاعتداء علی الضیف بمثابه الاعتداء علی من هو فی بیته فی عرف تلک القبیله الصحراویه.

[۶۹]ثم نصحهم أکثر فأکثر و دعاهم إلی الحذر من عذاب اللّه،و بین أن الاعتداء علی ضیوفه یلحق الخزی به،و هو لذلک یدافع عن شرفه إذا تعرض ضیوفه لأذی.

وَ اتَّقُوا اللّٰهَ وَ لاٰ تُخْزُونِ [۷۰]أما هم فقد رفضوا قبول إجاره لوط،لأنه کان یفعل ذلک دائما،فکلما دخل قریته غریب استضافه حتی لا یصاب بأذی من قبل قومه،و کانوا قد أکدوا علیه ألا یقبل بعدئذ أیّ ضیف.

قٰالُوا أَ وَ لَمْ نَنْهَکَ عَنِ الْعٰالَمِینَ و نستوحی من هذه الآیه أمرین:

الأول:ان القبیله العربیه فقدت مع الزمن خصائصها الانسانیه کاجاره الضیف،و لم تبق فیها بقیه من قیم یتشبث بها الضعیف و الغریب.

الثانی:ان لوطا علیه السّلام ضحی بکلّ ما یملک من أجل الضعفاء،فبذل شرفه و کرامته من أجلهم،و هکذا ینبغی ألاّ یکتفی بترداد شعار الدفاع عن المحرومین،بل لا بدّ أن یدعم بالعمل الواقعی.

[۷۱]و بلغ الأمر بلوط أن عرض علی قومه التزوج ببناته لکی لا یتعرضوا لضیوفه بأذی.

قٰالَ هٰؤُلاٰءِ بَنٰاتِی إِنْ کُنْتُمْ فٰاعِلِینَ

و يبدو أن توجيه لوط الى البنات كان يهدف بالاضافه الى ما قلنا:تذكره قومه ان السبيل القويم لإفراغ الشهوه الجنسيه هو السبيل الفطرى الذى يحافظ على النسل،و ليس الشذوذ الجنسى،و من هنا يكون حديثه شاملا لبناته من صلبه، و بنات قومه باعتباره شيخا،أو قائدا يعتبر كل الفتيات بناته.

[۷۲]و لكنهم كانوا مترفين قد أسرفوا فى الشهوات حتى أسكرتهم الغريزه الجنسيه فلم يعودوا يفرقون بين الإناث و الذكران،و لا بين الغريب و الضيف و المستجار و بين قومهم.

لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ أىّ قسما بحياتك يا رسول اللّه،و أنت يا من تتلوا القرآن ان قوم لوط قد فقدوا أبصارهم بسبب سكره الشهوات،و العمر و لعمر بمعنى و لكن عند الحلف يستخدم عمر بالفتح.

[۷۳]عند ما لم يبق أمام لوط أىّ حل،ركن الى اللّه ذلك الركن الشديد فكشفت الملائكه عن حقيقتهم له،و طمأنوا لوطا بأنهم لن يصلوا اليه،و جرى بينهم و بين لوط،الحوار الذى بيّنه السياق.

فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ عند الصباح،حين لم يستطيعوا أن يردوا عن أنفسهم البأس.

[۷۴]و قلب اللّه مدينتهم على رأسهم.

فَجَعَلْنا عالِيَها سافِلَها وَ أَمْطَرْنا عَلَيْهِمْ حِجارَةً مِنْ سِجِّيلٍ و السجيل فارسى معرب،أىّ سنك و كل(حجاره و طين)و قال أبو عبيده:هو

ص:۴۷۸

الحجاره الشديده (۱).

[۷۵]و ها هی بلادهم مهدمه،فمن یعتبر منها؟بالطبع لیس کل الناس بل المتوسـمون منهم فقط الذین یکتشفون الحقائق من خلال سماتها و علائمها.

إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَآیٰاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِینَ أما الـذین یجمـدون علی ظواهر الأمور،و ینظرون الی رکام الصـخور دون أن یتفکروا انها کانت فی یوم بیوتا معموره فما الذی جعلها هکذا،فهم لا یعتبرون من قصص قوم لوط.

[۷۶] وَ إِنَّهٰا لَبِسَبِیلٍ مُقِیمٍ قال الطبرسـی:معناه ان مدینه لوط بطریق یسلکها الناس فی حوائجهم، فینظرون الی آثارها و یعتبرون بها لان الآثار التی یستدل بها مقیمه ثابته بها و هی مدینه سروم. (۲)

و یبـدو إن ضـمیر«إنهـا»یعود الی الآیـات،فمعناهـا إذا:أن الآیـات قـد وضـعت معـالم علی طریق ثابت،و ثبات الطریق وضوحها،و لذلک

جاء فی الحدیث المأثور عن أهل البیت علیهم السلام: «و السبیل فینا مقیم». (۳)

[۷۷]و لکن لا یسلک هذا الطریق إلاّ المؤمنون،و هم فی المتوسمین حقا لأن

۱- ۱) مجمع البیان-ج ۵-ص ۱۸۳.
۲- ۲) مجمع البیان-ج ۶-ص ۳۴۳.
۳- ۳) المصدر.

الإیمان بصیره المرء،من خلالها ینظر الی الحقائق الظاهره فیؤمن بما ورائها من حقائق واقعیه.

إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَآیَهً لِلْمُؤْمِنِینَ و من هنا

جاء فی الحدیث: «اتّقوا فراسه المؤمن فانّه ینظر بنور اللّه». (۱)

أصحاب الأیکه تحت الغمام:

[۷۸]هناک شاهد تاریخی آخر نجده فی أصحاب الأیکه الذین أتاهم اللّه، حقولا مزروعه فظلموا أنفسهم.

وَ إِنْ کٰانَ أَصْحٰابُ الْأَیْکَهِ لَظٰالِمِینَ [۷۹]و أصبح ظلمهم ظلمات علیهم،فعاقبهم اللّه بالحر سبعه أیام ثم جاءت سحابه استظلوا بها یلتمسون البرد فیها،فلما تجمعوا تحتها تحولت الی صاعقه أحرقتهم جمیعا.

فَانْتَقَمْنٰا مِنْهُمْ و بقیت لنا عبرتهم،و عبره قوم لوط ألاّ و هی:ان تدبیر الحیاه یتم مره بالرحمه و مره بالانتقام فلا ینبغی الرکون الی النعمه،أنما یجب الحذر باستمرار من یوم الانتقام و ها هی قصص قوم لوط و أصحاب الأیکه ظاهره،و آثارها قائمه فی طریق واضح یؤمه الناس.

وَ إِنَّهُمٰا لَبِإِمٰامٍ مُبِینٍ

ص:۴۸۰

۱- ۱) بح ۱۷ ص ۷۵ رقم ۹

و يبدو أن معناه:ان قوم لوط و أصحاب الأيكه كانا مع امام واضح،من رسول و كتاب،فلم نعذبهما من دون إنذار مسبق.

أصحاب الحجر:الأمن الحجرى:

[۸۰]و شاهد ثالث من واقع أصحاب الحجر و هم ثمود الذين كذبوا أخاهم صالحا و كذبوا من ورائه كلّ الرسالات و الرسل.إذ لا ينفع الايمان برسول مضى و الكفر بهذا الرسول.

وَ لَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ و حجر أسم مدينتهم.

[۸۱]و لقد و فر اللّه لهم سبل الهدايه و لكنهم أعرضوا عنها عمدا.

وَ آتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ [۸۲]كلّ ذلك ثقه بحضارتهم و بالمتعه التى شعروا بها فى ظل البيوت الصخريه العاليه التى نحتوها من الجبال.

وَ كَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً آمِنِينَ [۸۳]و لكن الصيحه العاليه التى أخذتهم كشفت عن مدى خطأهم،و ان البيوت لا تعوّض عن القيم،كما ان القوه لا تحمى الشخص عن انتقام الحق.

فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَهُ مُصْبِحِينَ [۸۴] فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ

ص:۴۸۱

فهـل اسـتطاعت مكاسـبهم المـاديه أن تمنع عنهم العـذاب الـذى لحقهم بسـبب كفرهم بالحق و بالقيم الالهيه؟! إذا مقياس الأمن ليس القوه بل الحق لأن بناء السماوات قائم على أساس الحق حسبما يأتى فى الدرس القادم إنشاء اللّه.

ص:۴۸۲

[سوره الحجر (۱۵): الآیات ۸۵ الی ۹۹]

اشاره

وَ مٰا خَلَقْنَا اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضَ وَ مٰا بَيْنَهُمٰا إِلاّٰ بِالْحَقِّ وَ إِنَّ اَلسّٰاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ اَلصَّفْحَ اَلْجَمِيلَ (۸۵) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ اَلْخَلاّٰقُ اَلْعَلِيمُ
(۸۶) وَ لَقَدْ آتَيْنٰاكَ سَبْعاً مِنَ اَلْمَثٰانِي وَ اَلْقُرْآنَ اَلْعَظِيمَ (۸۷) لاٰ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلىٰ مٰا مَتَّعْنٰا بِهِ أَزْوٰاجاً مِنْهُمْ وَ لاٰ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَ
اِخْفِضْ جَنٰاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ (۸۸) وَ قُلْ إِنِّي أَنَا اَلنَّذِيرُ اَلْمُبِينُ (۸۹) كَمٰا أَنْزَلْنٰا عَلَى اَلْمُقْتَسِمِينَ (۹۰) اَلَّذِينَ جَعَلُوا اَلْقُرْآنَ عِضِينَ
(۹۱) فَوَ رَبِّكَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (۹۲) عَمّٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ (۹۳) فَاصْدَعْ بِمٰا تُؤْمَرُ وَ أَعْرِضْ عَنِ اَلْمُشْرِكِينَ (۹۴) إِنّٰا كَفَيْنٰاكَ
اَلْمُسْتَهْزِئِينَ (۹۵) اَلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اَللّٰهِ إِلٰهاً آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (۹۶) وَ لَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمٰا يَقُولُونَ (۹۷) فَسَبِّحْ
بِحَمْدِ رَبِّكَ وَ كُنْ مِنَ اَلسّٰاجِدِينَ (۹۸) وَ اُعْبُدْ رَبَّكَ حَتّٰى يَأْتِيَكَ اَلْيَقِينُ (۹۹)

ص:۴۸۳

فَاصْدَعْ بِمٰا تُؤْمَرُ

هدی من الآیات:

لأن الحق هو محور السماوات و الأرض و به خلقن،فإن الإنسان لا یبقی بلا جزاء و ان لم یر جزاءه فی الدنیا کقوم لوط و ثمود و أصحاب الأیکه،فانه سیراه فی الآخره التی لا ریب من مجیئها،و لماذا الضجر؟دع الکفار یعملون ما یشاءون.

استقم فی طریقک ما دام اللّه هو الخلاق العلیم خلقهم هکذا لیبتلیهم،و أرض یا رسول اللّه و أنت یا من تبعته بالقرآن المتشابهه آیاته،لا تشغل نفسک بما یملکون من نعم متشابهه،و اترک الاهتمام بالکفار و رکز نظرک و اهتمامک بالمؤمنین،و یکفیک بالنسبه الی الکفار أن تنذرهم.

و کما أنذر اللّه الذین اقتسموا القرآن جزء جزء فطبقوا منه ما وافق أهواءهم، و ترکوا الباقی،فهل یحسبون انهم یترکون هکذا.کلا..بل سوف یسألون جمیعا عما عملوا،فأبلغ رسالتک حسبما أمرت و اترک المشرکین و الذین یستهزئون منهم.

یکفیک ربک شرهم،و المشرکون هم الذین یتخذون إلها آخر غیر اللّه،و فی المستقبل

يجازون بأفعالهم.

و لكى يزيدك اللّه سعه فى الصدر تقابل بها استهزاءهم فسبح بحمد ربك و أسجد له،و استقم فى العباده حتى تحصل على أفضل يقين بالعباده الدائمه حتى الموت.

و هذه خلاصه عبره سوره حجر التى ذكرت بمصير المستهزئين فى الدنيا، و استقامه الرسل،و عدم تزلزلهم بأقوالهم، و ينبغى أن يكون كلّ ذلك وسيله لهدايه المؤمنين أيضا.

بينات من الآيات:

[۸۵]تكفينا نظره عميقه الى الطبيعه من حولنا لنعرف أن كل شىء خلق بحكمه و بهدف و لأجل محدود،و هذا يهدينا الى الحكمه من خلق الإنسان.

و نتساءل:إذا كان خلق البشر أيضا لحكمه و إذا كان الإنسان محكوما بسنه الحق كما الكون من حوله،فلما ذا يكتسب بعض الناس الجرائم دون أن يعاقبوا، و يأتى الجواب:

لأن اللّه قد وعد أن يأتى يوم الجزاء بعد يوم الابتلاء،إذا ينبغى ألاّ يضيق صدرنا بما يفعله الكفار،بل نتركهم بعد أن ننذرهم و بعد أن نهتم بشؤون المؤمنين من الناس.

وَ مٰا خَلَقْنَا السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضَ وَ مٰا بَيْنَهُمٰا إِلاّٰ بِالْحَقِّ وَ إِنَّ السّٰاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ بلى إذا تكتّل المشركون و أرادوا منع المؤمنين من أداء فرائض دينهم و منعوا

المستضعفين من الايمان،فان اللّه يأذن للمؤمنين بالجهاد،كما قال تعالى: أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَ إِنَّ اللّهَ عَلىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ .

الصفح:هو الإعراض،و الإعراض الجميل هو الذى يسبقه الوعظ و الإرشاد، و يلحقه التمنى بالهدايه.

[۸۶]و اللّه هو الذى خلق الكون و الإنسان هكذا لحكمه،فلا يجوز أن أهلك نفسى من أجل الناس أو جبرهم على الإيمان.

إِنَّ رَبَّکَ هُوَ الْخَلاّٰقُ الْعَلِيمُ

السبع المثانى:

[۸۷]المشركون يملكون ألوانا من النعم الماديه من الأموال و الأولاد و الزينه و القوه،و نحن بدورنا نملك ألوانا من النعم المعنويه،فلا سبب يدعونا الى محاربتهم للحصول على ثرواتهم لأننا أغنياء بثروتنا المعنويه.

وَ لَقَدْ آتَيْنٰاکَ سَبْعاً مِنَ الْمَثٰانِي وَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ لقد فسروا السبع من المثانى-بأنه سوره الحمد لأنها تحتوى على سبع آيات و ذكرت فيها المترادفات أو المتقابلات مثل« اَلرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ »أو إِيّٰاکَ نَعْبُدُ وَ إِيّٰاکَ نَسْتَعِينُ إذا فهى مثانى،أىّ محتوى آياتها مثنى مثنى.

و يبدو أن القرآن الحكيم قد نزل على سبعه أحرف،أو بتعبير آخر على سبعه أبواب للعلم تتلخص فى سوره الحمد،التى احتوت على معانى القرآن الحكيم بايجاز،و تتبين فى سائر آيات الذكر بتفصيل.

و إذا كان نور القرآن يشع من مشكاه واحده دون اختلاف أو تناقض،فإن آياته

ص:۴۸۶

متشابهه و هی مثانی،کما ان نعم الکفار ذات ألوان و هی أزواج.بعضها یزین بعضا،و آیات القرآن بعضها یفسر بعضا.

و یظهر من هـذا البیـان ان القرآن العظیم هـو السـبع المثـانی و لا ـ منافـاه بین التفسیرین.التفسـیر الـذی یقـول:ان معنی المثـانی هو الحمد،و التفسیر الذی یقول أنه القرآن کله لأن القرآن کله قد أوجز فی تلک السوره.

[۸۸]و المؤمن یستغنی بما لدیه من ینابیع المعرفه،عما یملکه الآخرون من متع الحیاه الدنیا،فلا یطیل النظر فیما یملکه أولئک من زهره الحیاه الدنیا.

لاٰ تَمُدَّنَّ عَیْنَیْکَ إِلیٰ مٰا مَتَّعْنٰا بِهِ أَزْوٰاجاً مِنْهُمْ قال فی المیزان:المراد بالأزواج:الأزواج من الرجال و النساء،أو الأصـناف من الناس کالوثنیین و الیهود و النصاری و المجوس و المعنی لا تتجاوز عن النظر عما انعمناک به من النعم الظاهره و الباطنه الی ما متعنا به أزواجا قلیله أو أصنافا من الکفار. (۱)

وَ لاٰ تَحْزَنْ عَلَیْهِمْ فلا تأبه بکفرهم لان من یبالغ فی الاهتمام بالکفار قد یقع فی بعض الأخطاء.

أولا:قد ینشغل بذلک عن الاهتمام الجدی بالفئه المؤمنه،و السعی وراء تربیتهم و تعبئه طاقاتهم،کالذی یؤتیه اللّه أرضا،فلا یشکر اللّه علیها،و لا یحرثها بل یفکر أبدا بتلک الأرض الاخری التی لم یحصل علیها،و یحزن علیها.

۱- ۱) المیزان-ج ۱۳-ص ۹۲.

ثانیا:قد یدعوه ذلک الحزن الی محاوله إکراههم علی الإیمان بصوره أو بأخری مما یتنافی و سنه الاختیار،و قد یتمّ ذلک عن طریق التنازل عن بعض أرکان الدین کما فعلت الکنیسه فی بعض عصورها فحرفت تعالیم السماء رغبه فی توسیع رقعه نفوذها و الحصول علی المزید من الأتباع.

وَ اخْفِضْ جَنٰاحَکَ لِلْمُؤْمِنِینَ اشاره الی الرفق بهم،و الاهتمام بشؤونهم کما یفعل الطائر إذا أراد أن یضم الیه أفراخه حین یبسط أجنحته علیها ثم یخفضها لها. (۱)

التجزیئیون فی المیزان:

[۸۹]و بقدر ما یهتم الرسول بالمؤمنین یذر الکفار لشؤونهم،و یکتفی بإنذارهم لأن الإیمان أو الکفر لا بد أن یکونا بحریه الفرد التامه.

وَ قُلْ إِنِّی أَنَا النَّذِیرُ الْمُبِینُ [۹۰]و ینذر الرسول کلّ الناس،بعذاب شدید لو ترکوا القرآن أو قسموه أقساما،فترکوا جزء منه ذلک الذی یخالف هواهم.

کَمٰا أَنْزَلْنٰا عَلَی الْمُقْتَسِمِینَ أی أنزل العذاب علیهم.

[۹۱]أما المقتسمون فهم الذین فرقوا دینهم و هم:

۱- ۱) المصدر.

اَلَّذِینَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِینَ عضـین جمیـع عضـه،و أصـلها عضـوه فنقصت الـواو و لـذلک جمعت عضـین،مـأخوذ من الأعضاء،یقال:عضیت الشیء أیّ فرقتّه و بعّضته.

و السؤال:من هم هؤلاء؟ قال بعضـهم:انهم الیهود و النصاری قبل الإسـلام اَلَّذِینَ فَرَّقُوا دِینَهُمْ وَ کانُوا شِیَعاً.کُلُّ حِزْبٍ بِما لَدَیْهِمْ فَرِحُونَ ،و المراد من القرآن هو کتاب اللّه.

بینما قال البعض:ان طائفه من قریش قسموا القرآن فقالوا:هذا سحر-هذا کذب-هذا شعر،و کانوا ینتشرون فی شعاب مکه یضلون الناس عن القرآن، فعذبهم اللّه،و أهلکهم جمیعا.

و یبـدو أن التفسیر الأول:أقرب بالرغم من أن القرآن مثله کمثل الشـمس یجری فی عهـد الیهود و النصاری،کما یجری فی عهد المسـلمین الأول فی أولئک المسـتهزئین،و فی عهـدنا یجری فی أولئک الـذین یؤمنـون ببعض الکتـاب و یکفرون ببعض بینما القرآن نزل مَثانِیَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِینَ آمنوا،و کلّه من عند اللّه.

[۹۲]و لکن هل یترک هؤلاء.أم هل یکتفی ربنا بعذابهم فی الدنیا.کلا..بل ان لهم یوما للحساب طویلا.

فَوَ رَبِّکَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أَجْمَعِینَ [۹۳] عَمّا کانُوا یَعْمَلُونَ [۹۴]أما أنت یا رسول اللّه فعلیک بالإنذار بکلّ وضوح.

ص:۴۸۹

فَاصْدَعْ بِمٰا تُؤْمَرُ و لا تخشاهم و لا تأبه بهم و لا تحاول أن تسترضيهم بإخفاء بعض الكتاب و إظهار بعضه،و معنى الصدع الجهر بالحق.

وَ أَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ [۹۵]و أكثر ما يؤلم الداعيه و يثير أعصابه،و يستقطب اهتمامه هم المستهزئون الذين يستخفون بالرساله و اللّه سبحانه وعد أن يكفى رسوله و الدعاه الى اللّه شر هؤلاء.

إِنّٰا كَفَيْنٰاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ فى التفاسير أنهم كانوا فى عهد الرسول خمسه نفر من قريش أو سته فأهلكهم اللّه عن آخرهم.

[۹۶]و هم فى الواقع لا يستهزئون بك انما هم مشركون،و هم أعداء اللّه.

اَلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللّٰهِ إِلٰهاً آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ فمشكلتهم ليست معك لذلك لا يضيقن صدرك بأقوالهم.

يَضِيقُ صَدْرُكَ :

[۹۷]و لكن الرسول بشر،و كان عليه الصلاه و السلام يحب رسالته و يتفانى من أجلها،فلم يكن من السهل عليه أن يسمع استهزاءهم لذلك سلاّه ربه سبحانه قائلا:

وَ لَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمٰا يَقُولُونَ

[۹۸]و أمره بان يسبح اللّه كلما ضاق صدره فانه منزه عن أقوالهم.

فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ التسبيح اشاره الى أسماء اللّه الجلاليه،و الحمد اشاره الى أسمائه الكماليه.

على المؤمن أن ينزه اللّه عن الضعف و العجز و الموت و الغفله.و.و.كما يذكره بأنه الحى القيوم العليم القدير.و.و.

وَ كُنْ مِنَ السّاجِدِينَ للّه بالصلاه،و كلما سجد العبد لربه كلما تعالى عن التأثر بأذى الكفار، و استهزائهم.

[۹۹]و لكى يحصل الداعيه على أعلى مراتب القرب و الزلفى لا بد أن يديم العباده للّه.

وَ اعْبُدْ رَبَّكَ حَتّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ فلا أجل للعباده الا لقاء اللّه،و أفضل تطلع للإنسان المسلم أن يختم حياته بخير و قد وصّى يعقوب بنيه قائلا: وَ لاٰ تَمُوتُنَّ إِلاّ وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ و سمى الموت باليقين لأنه يكشف للبشر الحقائق العاريه حتى يحصل منها على يقين كامل، و الخطاب ليس فقط للرسول بل لكلّ قارئ.أو لم ينزل القرآن على لغه(إياك أعنى و اسمعى يا جاره).

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم
هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
الزمر: ٩

المقدمة:
تأسّس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية فى أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامى عام ١۴٢۶ الهجرى فى المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين فى الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:
نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر فى العلوم الإسلامية وتبعثرها فى أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية فى أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين فى العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهى منظمة فى برامج إلكترونية وجاهزة فى مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.
وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:
نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبیّ عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصا الشباب على دراسة أدقّ فى المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة فى الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين فى الحوازت العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها فى ملفات الكترونية

السياسات:
مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتنباب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة
العرض العلمى البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فى نشر المعلومات

من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات فى مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما فى الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمية الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة ((sms

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

١.JAVA

٢.ANDROID

٣.EPUB

٤.CHM

٥.PDF

٦.HTML

٧.CHM

٨.GHB

إعداد ۴ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

١.ANDROID

٢.IOS

٣.WINDOWS PHONE

٤.WINDOWS

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة فی تحقیق أهدافنا وعرض المعلومات علینا.

عنوان المکتب المرکزی

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهید محمد حسن التوکلی، الرقم ۱۲۹، الطبقة الأولی.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البرید الالکترونی : Info@ghbook.ir

هاتف المکتب المرکزی ۰۳۱۳۴۴۹۰۱۲۵

هاتف المکتب فی طهران ۸۸۳۱۸۷۲۲ ـ ۰۲۱

قسم البیع ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹شؤون المستخدمین ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹.